الحاج أحمد سهوم

الملحون المغربي

من منشورات « شؤون جماعية »
صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية

● الطبعة الأولـى : نونبر 1993
طبع منها 3000 نسخة
حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة
« شؤون جماعية»

الفهـــــــرس

تقديم : ثمرة الاحتضان . 6

مــوجـز عن حيـاة المـؤلف 7

المقــدمـــة 9

الفصل الاول : فنون الملحون الثلاثة 15

☆ "لـمبيت" أو الملـحـون العـمـودي

☆ "مكســور جنــاح" أو الملحون المرسل

☆ "السوسي" أو النثر الفني في المـلحــون

☆ "السرابـا" أو الاغنية الملحونــــة

☆ أصطلاحات تقنية مطيلعات .. عروبيات .. سـارحا ..

الفصل الثـاني : أغراض الملحون 65

☆ "التوسلات الالهية" بين الذهن والشعور والتصـوف

☆ "المدائـح النبوية" بين العقل والـوجـــدان

☆ "لوصيات" بين الدين والدنيـا والمجتمع والنـاس

☆ "الربيعيات" أو شعر الطبيعـة في الـملحـــون

☆ "العشاقي" في العاطفة والغزل ، والنسيب والتشبيب

☆ مـلحون الغـربة ، والرحـلات والمـراسـلة

☆ "الساقي" خمريات الملحون ، والرمزية الصـوفية

☆ "الترجـما" أو القصـة المـلحـونــة

الفصل الثالث : بديعيات الملحون ، تضمين ـ تجريد ـ جناس .. 215

☆ وأخيـرا مـا معنى كلمة ملحـــون ؟

تمرة الاحتضان

لايحتاج الاستاذ أحمد سهوم الى تقديم .. كما لا يحتاج الملحون الى تعريف، فقد ظلا ملازمين لبعضهما ما يزيد عن اربعين سنة ، بليلاتها ونهاراتها ، حتى أصبح الواحد منهما لايذكر في غيبة الآخر .

وإذا كان عمر الملحون يقاس بعمر الأمة المغربية ،منذ أن رأت نور الشمس ، فإن شخصيته واغواره وسحر بيانه... ماكان لها أن تتجلى في شفافياتها، لو لم يقيض لها الله فنانا مبدعا ، وبحاثا مقنعا ، كالشاعر أحمد سهوم . فلقد كافح الرجل كفاحا مريرا منذ مطلع الخمسينات ، لكي يكون اليوم للملحون هذا الحضور الواسع في حياتنا اليومية ، وعبر أرجاء البلاد كلها ، ببيوتاتها ، وأنديتها ، وأن يحوله الى سمير للفقراء ، وجليس للأغنياء

ولا ريب أن مدينة الصويرة كانت محظوظة يوم انتقل إليها علم من أعلام الملحون ، واختار الإقامة فيها مواطنا صالحا ، وعبقريا مثقلا بالاحلام والهموم المقترنة بمحنة الميلاد والنشوء والارتقاء . فلعل الصويرة ، بما تحمله من دلالات تراثية وشاعرية ، وبما تمتاز به من سكينة وحوار داخلي مع التاريخ ، ومع الانسان ، كانت ، كقطع من الاحجار الكريمة ، قد ترسبت في وجدان هذا الشاعر ، بأزقتها الضيقة ، وحصونها الجبارة ، ودفئها الذي لا يضاهى ، فبقيت في قرار ة الكأس الى أن حان الوقت المناسب .

وإذ تقوم اليوم مؤسسة « شؤون جماعية » باحتضان أستاذ الملحون والمنتج الاذاعي الشهير ، ساعية الى نشر كتابه <<الملحون المغربي>> الذي كتبه في رحاب الصويرة ، فإنها بذلك تكرم الملحون ورجاله في شخص أحمد سهوم ، وتؤكد مساهمتها في حفظ هذا التراث ، بنفس القوة التي تدافع بها عن مجموع التراث الوطني والحضارة العربية الأصيلة .

إن هذا العبقري الأصيل القادم من واحات تافيلالت ، عبر همس القرون ، وخطو الحضارات ، أصبح جزءا من تراث الصويرة، بما أسهم به من تجديد انتمائها للملحون ، وكتابة تاريخها الفني .

فله الشكر والتقدير ... ونرجو الله أن يوفقه في مواصلة مسيرته الفنية الطموحة ،حتى يعم فضلها على مدينتنا وعلى مملكتنا السعيدة

احمد هناوي

مدير جريدة « شؤون جماعية »

موجز عن حياة المؤلف



... ولدت عام 1936 بفاس الجديد ، من أمي عائشة بنت العربي ، الملقبة ب « الغمرية » .. ومن والدي سيدي محمد بن علي الفيلالي .. غير أنني لا أتذكر جيدا ملامحه ، وإن كنت اسمعهم يقولون عنه بأنه كان عازفا ماهرا على الكمان لأغاني المرساوي (العيطة) .. وأنه كان يتوفر على مخزون ثقافي . وعندما توفي لم يترك وراءه من متاع الدنيا سوى «الغمرية » ، وأربعة ذكور، هم : حمان ، والعربي ، وعبد العزيز ، الذي لم يعش طويلا ، و أحمد سهوم (آخر المصران) ، وأختنا جمعة .. والذي أتذكره أيضا هو أن عائلتنا كانت فقيرة جدا .

كانت بجانب دارنا امرأة ميسورة الحال ، لكنها لم تكن تنجب أطفالا ، ولما كانت أمي على علاقة وثيقة وطيبة بهذه السيدة ، فقد ألفيتني ، ذات يوم ، تحت رحمتها ! ولا أدري ما اذا كانت أمي قد أهدتني إياها ، أم أجرتني لها !

و هكذا فرض علي أن أنشأ في بيت غير بيتنا ، و بين أهل ليسوا هم أهلي ، بعيدا عن أمي و إخوتي . وكان زوج السيدة الميسورة يعمل سائقا لحافلة المسافرين ، يربط فاس بتافيلالت ذهابا و إيابا ، فيضطره عمله هذا الى أن يتغيب عن داره أربعة او خمسة أيام ، و ليس بها سوى زوجته و خادمتها و هذا الطفل أحمد سهوم . و مع الأيام اهتدت هذه السيدة الى طريقة ذكية تخفف بها من وحشتها وفراغها .

كانت ـ بفطرتها ـ مولعة بالفن والادب ، رغم أنها لم تكن قد حظيت بنصيب من التعليم والثقافة .. ومع ذلك فقد جعلت من دارها منتدى فنيا و ثقافيا أشبه ما يكون ـ « صالون مي زيادة » في المشرق .. وكان هذا المنتدى قبلة لرواة العنترية ، و الأزلية ، من أمثال « أبا الحمار» الذي كان يروي في كل لقاء فصلا من أزلياته ، و يترك الفصل الآخر للجلسة القادمة ، حرصا على التشويق.... كما كان يرتاده العازفون و المطربون ، من امثال الكمنجاتي البارع حماد النشار ، و الذي تتلمذ على يديه مشاهير فاس ، كالفنان محمد عمور المودن .

☆ ✪ ☆

في هذا الجو ترعرع الفنان أحمد سهوم ، عندما كانت تأخذه الخادمة كل يوم الى المسيد لحفظ القرآن ، وتعود به مساء ليجد الدار وقد امتلأت بكل أصناف الرجال المولعين ، وبالمجاذيب والدراويش وعشاق طرب الملحون . وقد عرف هذا المنتدى بـ «دار زبيدة المراكشية» .. أما أحمد سهوم فكان يومئذ يلقب من طرف الصغار والكبار بـ « حميدة ولد زبيدة » !

بالنهار ينصرف الى حفظ القرآن في المسيد ، وفي الليل ينخرط في حفظ قصائد الملحون وغناءًا بين زمرة من المهووسين بالملحون والعازفين على الكمان ، وبين رواة وعشاق العنترية والازلية والمجاذيب !

هل كان فن الملحون قدرا مقدورا لهذا الطفل منذ نعومة أظفاره ؟

يبدو أن تقلبات الحياة ، وسنين التشرد لم تنجح في انتشاله من هذا المصير . فقد صادف ذات يوم ، عندما كان يغني بعض قصائد الملحون ، أن سمعه السيد ادريس العلمي ، وهو يومئذ من هو في شعراء الملحون .. فأعجب بصوته ، وقرر إسناد قصائده إليه ليغنيها بصوته . ومن يومها أصبح ادريس العلمي شيخ أحمد سهوم في الملحون .

☆ ✪ ☆

... هذا فصل مختصر من حياتي ... في أعقابه بدأت تطرأ على نفسيتي تحولات خطيرة وغامضة . لم أعرف كيف أصبحت فجأة أكره الحياة عند هذه السيدة . فعندما فتحت عيوني ، وجدت نفسي خارج أسرتي ، منفيا عن أمي وإخوتي ، أخضع لمراقبة

صارمة بين محور المسيد ودار زبيدة المراكشية . كنت محروما من اللعب ومن حرية الأطفال ، وكان إخوتي هنالك طليقين سعداء !

كانت زبيدة المراكشية امرأة مصونة وقورة لا يحوم حولها الشك .. ذات أخلاق عالية ممتازة .. غير أنها كانت تعيش فراغا قاتلا ، تيسر لها أن تملأه بما هو مفيد . كانت شغوفة بالاستماع الى الموسيقى والى تبادل الافكار ... حتى أنها اكتسبت ثقافة لابأس بها من خلال جلسات السمر .. وبدأت تتلقن دروسا شفوية في الاخلاق وفي الملحون وفي الموسيقى .

الذين يتذكرون فاس في ذلك التاريخ ، لا يزالون يتذكرون بيوتا أخرى على هذه الشاكلة ، إما وراءها نساء مثل «يطو الشلحة» ، وإما رجال كسيدي محمد الحمري الذي كانت داره ملتقى للشيوخ والشعراء والكتاب ورجالات الحركة الوطنية ، ذلك أن حياة المغاربة آنئذ كانت تسودها عادات التكاثف والتضافر والتعاون في الامور الدنيوية والدينية .
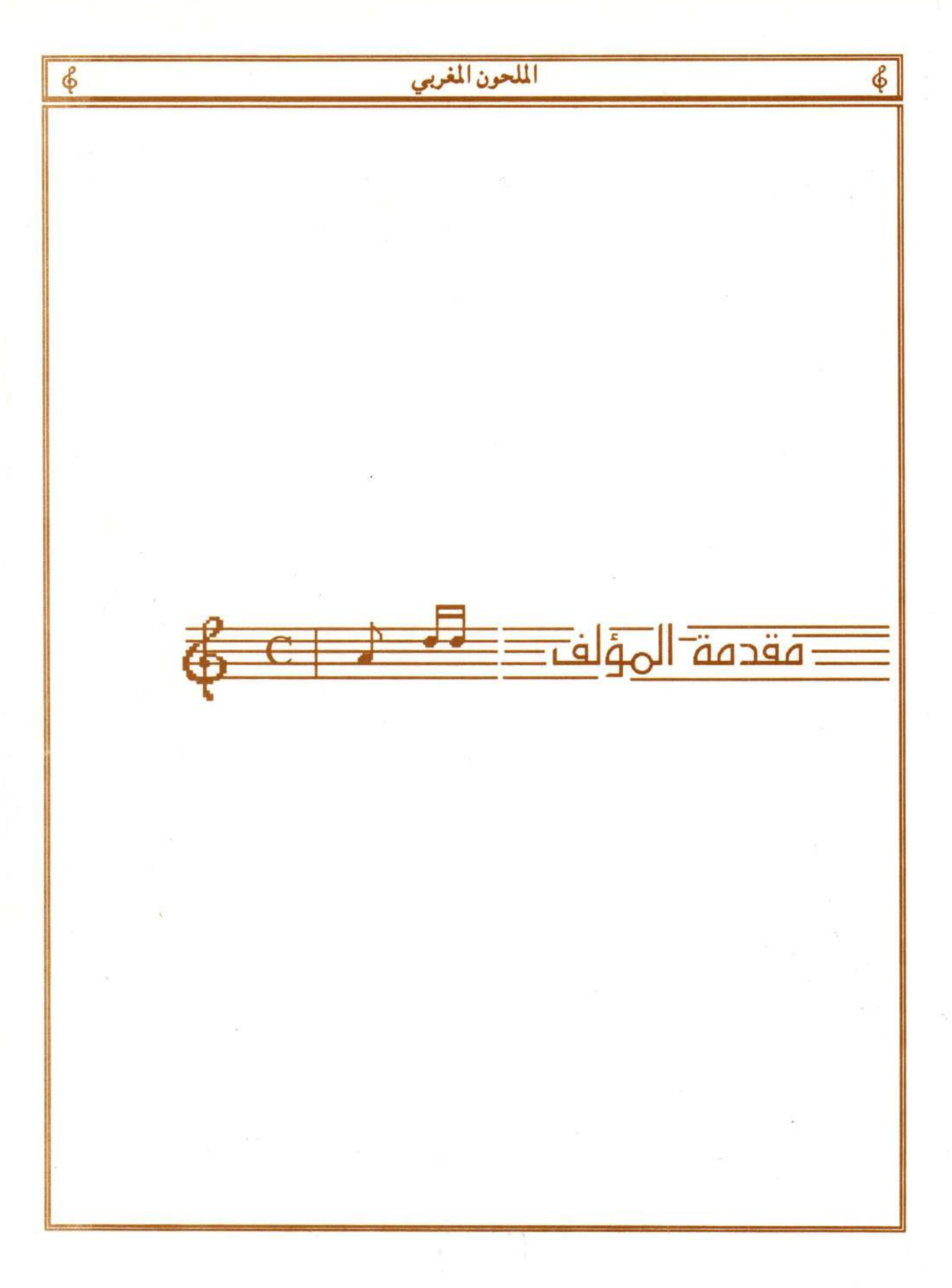
☆ ✪ ☆

لم يطق أحمد سهوم مواصلة العيش في دار زبيدة المراكشية .. لكنه لما أراد العودة الى بيته الأصلي رفضه هذا الوسط بقسوة وفظاظة ، معتبرا إياه غريبا .. فيرجع الى الدار الثانية مكسور الجناح ، فتقابله السيدة المراكشية بالعنف ، انتقاما من هروبه من بيتها . و تكررت رحلة الكر والفر المأساويتين بين الدار الرافضة والدار القاسية ، الى أن عيل صبره ، فقرر الهجرة بعيدا عن الدارين معا ... وهام في الارض على وجهه طريدا شريدا ، مدة عامين كاملين ، بين دروب فاس ، ومكناس ، ومراكش ، وتادلة ، وسلا ... متنقلا بين حوانيت الخرازة ، حيث كان يكسب عيشه اليومي .. وقد أفاده ذلك كثيرا في الاختلاط بالصناع التقليديين ، الذين كان بينهم شعراء وفنانون ومفكرون وسياسيون .

لقد تعلم أحمد سهوم داخل السور بفاس القديمة ، وبالضبط في حي مولاي عبد الله ، المبادئ الاولى لحرفة الخرازة في دكان الخراز محمد الطالب . وفي هذا الدكان كان يجتمع الناس من مختلف المستويات والاهتمامات ، يتبادلون الفن والعلم والافكار الوطنية ، وجديد الاخبار المحلية والدولية ، فكنت تجد بهذا الدكان الامراء ، من أمثال الأمير مولاي الامين ، والامير مولاي مصطفى الحافظي ، والأمير مولاي عبد السلام ولد مولاي عثمان ـ الخليفة السلطاني بفاس يومئذ ... وكنت تجد الى جانبهم العلماء والفقهاء .. وكان يتردد عليه المرحومان علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني ، قبل أن تفرقهما السياسة !

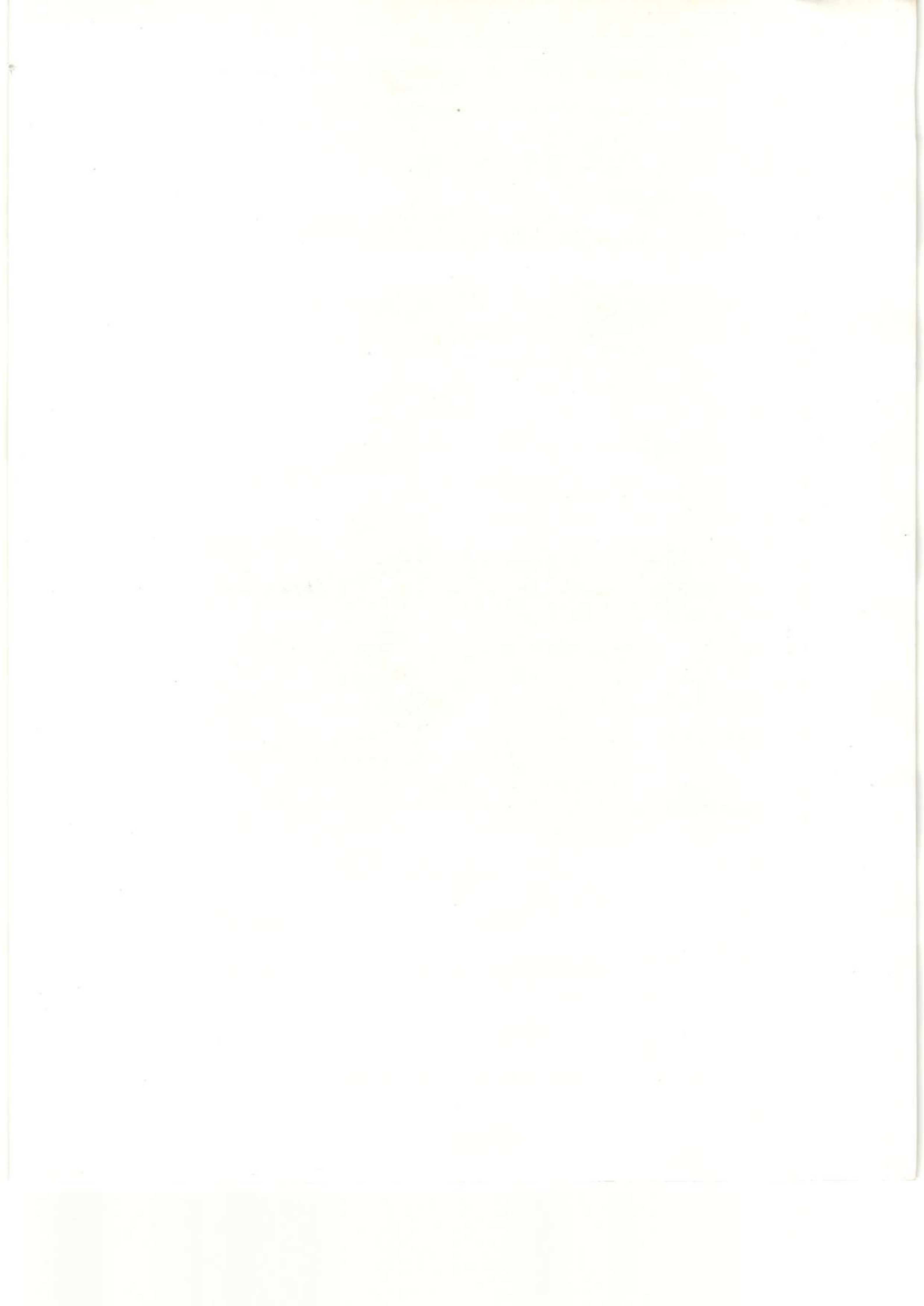
كان ذلك بين سنوات 1945 و 1947 قبل سفر المرحوم محمد الخامس الى مدينة طنجة سفرته المشهورة . في تلك الفترة التحق أحمد سهوم بمدرسة القرويين .. لكن سلطة الملحون عليه كانت قوية .. فقد ترسبت في وجدانه كأمواج جارفة .. ولم يشعر طالب القرويين إلا وهو محاصر من كل جانب بالملحون ، يقرؤه ويفسره ، باحثا عن مصادره وروافده ، منشغلا به الى درجة التصوف .

هكذا بدأت رحلة أحمد سهوم مع فن الملحون

من حوار اجرته معه
جريدة « شؤون جماعية »
في عددها لشهر يناير 1993



مقدمة المؤلف



الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

«إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ، ليست جديرة بالاعتبار .

ونحمد الله على أن لنا تراثا .. وحضارة .. وتاريخا في العمران والعلم ، والادب والشعر والطرب .

وفي الشعر والطرب ، لنا الموسيقى الموروثة عن الاندلس ، ولنا الملحون الذي تأصل عن بيئتنا القديمة ، وطبيعتنا الخاصة .

وهذا الملحون يحق لنا أن نتدارسه ، ونعرف به ، ونؤرخ له ونستخرجه من ظلماته المطبقة ، بيد أن الحكم على الشيء ، يستلزم إدراكه. .. »

بهذه الكلمات صدَّر لي أحد أساتذتي الاجلاء ، أول مقال كتبته عن الملحون في الخمسينات ، ونشرته مجلة الاذاعة الوطنية التي كان يشرف على تحريرها يومئذ ، إنه الانسان الفاضل الكريم ، الطيب القلب ، الاستاذ عبد الله شقرون ...

وإذ أصدر هذا الكتاب،الذي أكتبه في أوائل التسعينيات،بنفس الكلمات التي صدر بها مقال الخمسينيات ، فلان هذه الكلمات كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لي ، بل ورافقتني أزيد من ثلاثة عقود ، كورقة عمل ، لا أتحرك إلا في إطارها ، ولا أعمل إلا وفق مقتضياتها .

والحق أنه لا يمكن لأحد أن يقدر هذه الكلمات حق قدرها ، إلا إذا كان قد بلغه خبر ما عانيته يومئذ ، وأنا أحاول أن أجعل لجنة البرامج الاذاعية توافق على إذاعة ركن "الادب الشعبي " ولو مرة واحدة في الاسبوع ... وبعض أعضاء اللجنة يقول :"ماذا يمكن أن يكون في هذا الملحون حتى نخصص له برامج إذاعية ؟ ... والبعض الآخر يتساءل في سخرية لاذعة : "واش هذ الملحون هو ذاك اللي كايديروا به لحلاقي ؟" في هذه الفترة بالذات ، وأنا أتجرع كؤوس الخيبة والهوان والذل ، يطلع مقالي الاول في مجلة الاذاعة الوطنية .. وقد افتتحه هذا الانسان الممتاز ، المدعو عبد الله شقرون بقوله : "إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ليست جديرة بالاعتبار " وانطلق ركن "الادب الشعبي" ، وانطلقت بعده إلى الآن برامج وبرامج " مع التراث " كل عشية ، ملحون ، طقطوقة جبلية ، مرساوي ، حصباوي بروال .

و"مع الاغاني كل صباح" و " البيت السعيد "و مشاهد باسمة" "والبا مساعف " والبرنامج التلفزيوني " التراث الحي" " واطلالات على التراث " "وإبداعات وإبداعات ... كانت هذه الكلمات بالنسبة لها كالضوء الاخضر الذي يؤذن ببدء الانطلاق .

هذا عن الكلمات التي صدرت بها هذا الكتاب ...

أما الكتاب فيمكن اعتباره بداية الطلب ، كما يمكن اعتباره نهاية الارب ... بداية الطلب بالنسبة للباحثين والدارسين وكل المهتمين ، لانه اليخت الذي يمكنهم الابحار به في كل بحار الملحون ، والعودة منها بالف خير وسلامة ، وهو يخت متقدم الصنع ، ويقدر حتى على الغوص إذا لزم الامر .

ونهاية الارب بالنسبة لعشاق الملحون وهواته ، بل وحتى بالنسبة للقارئ الذي يقرأ قصد الاطلاع ، أو الذي يقرأ من أجل الفرجة أو المتعة ...

فالنصوص الكاملة التي نشرتها تحت مساقط ضوء شاملة ساطعة ، وفي مختلف الموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب وصل عددها الى الاربعين ، والمقطوعات التي تعتمد الوحدة العروضية ، أو الابيات التي ترجع الى الملحون العمودي القديم ، والتي سقتها للدلالة هنا وهناك ، يصل عددها الى الألف . أما الشروح التي وضعتها للمصطلحات التقنية وغير التقنية ، قصد تقريبها إلى الاذهان ، أما التحليلات التي أرفقتها ببعض غرر قصائد الملحون لتوصيلها إلى أعماق القلوب ، فذلك كله،وغيره مما لاداعي لذكره في هذه المقدمة،قد جاء ولله الحمد فوق الوصف .

لقد أقمت هذا الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

* الشكل في فنون الملحون

الفصل الثاني :

* مضامين الملحون

الفصل الثالث :

* فنون البلاغة في الملحون

وبما أن بحث الشكل بأدق تفاصيله لا يهم إلا القارئ المهتم أو القارئ المتخصص ، أو على الاقل المتتبع ، وهم قلة جد قليلة وبالاخص في موضوع هذا الكتاب ، فقد أرتأيت أن أتناوله ببعض التفصيل لا بكل التفصيل ، وذلك لأخلص سريعا إلى مضامين فنون القول في الملحون الى المتعة .. إلى الفرجة .. إلى التحصيل .. إلى شؤون الفكر ، ومجالات المعرفة ، وقضايا الثقافة .

وهكذا ، فقد تناولت الشكل باختصار لا إفراط فيه يسبب للقارئ العادي السأم أو الضجر ، ولا تفريط يفوت على الدارس أو الباحث فرصة تتبع ميكانيزمات الشكل في سائر فنون القول الملحون .

تتبعت أوزان القصائد التي لا تعتمد إلا الصدر والعجز فقط،إلى أن فاق عددها عدد أوزان الخليل،فقابلتها بها .

وتتبعت القصائد التي يتكون البيت الواحد فيها من ثلاثة اشطار ... فأربعة ... فخمسة ، إلى أن بلغت العدد الكافي،فقابلته بشعر الفروع والغصون من موشحات وأجزال وماشبه ...

وعند الفراغ من ملحون النغمات الايقاعية التركيبية،التي تنبني عليها الالفاظ لتشكل هذا السلم أو ذاك ... انتقلت إلى شعر الوحدات العروضية ، "مكسور جناح" وقابلته بالشعر الحر ، أو المرسل ، ثم النثر الفني في الملحون ، "السوسي" وأخيرا الاغنية الملحونة أو «السرابا» ، وبطبيعة الحال لم أغفل الاصطلاحات التقنية الاساسية التي لها علاقة وثيقة بالشكل في كل فنون القول الملحون .

وفي الفصل الثاني حددت الموضوعات الرئيسية التي تعامل معها الملحون في الماضي والحاضر ، وتناولت منها سبعة أغراض هي :

" التوسلات " " المدائح " "الوصيات " "الربيع " " العشق" " الساقي" " الترجمة" ، على أن أتناول الباقي في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

أما الفصل الثالث والاخير ، فهو فصل بلاغة الفصيح ، وكما هي في فنون القول الملحون ، بما فيها البديع ، جناس ، اشتقاق لزوم ما لا يلزم الخ ... الخ...

ويبقى الكتاب في مجمله كتاب الشعر الملحون ، وليس كتاب شعراء الملحون ...

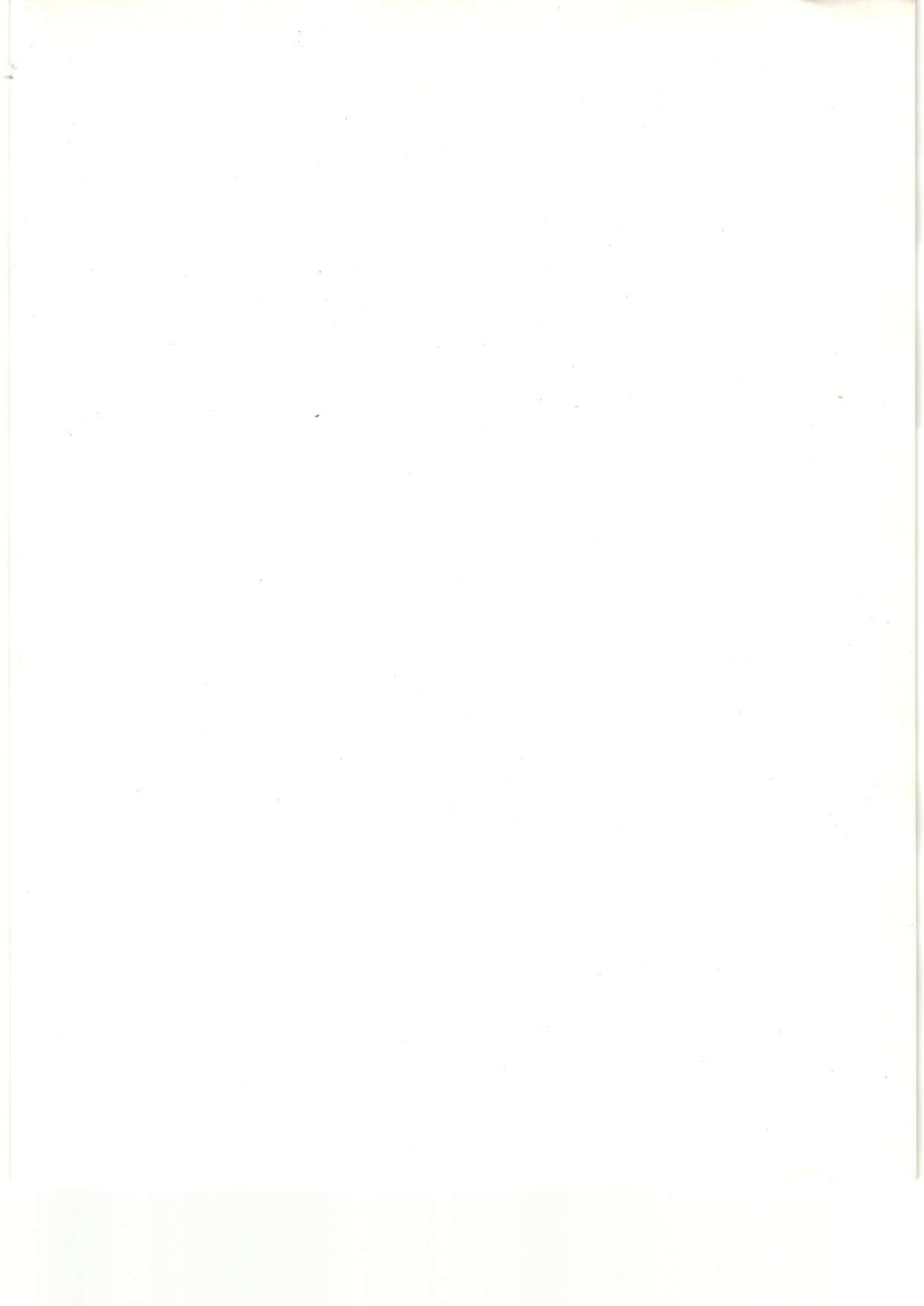
فأنا،وإن كنت أعلم أن " الشاعر ابن بيئته "وأن التأريخ له لا بد منه ...لم أعتمد الكتب التي أشارت إلى بعض شعراء الملحون،كالاعلام والاتحاف في الماضي ، ولا الكتب الخاصة بالملحون،كالقصيدة والمعلمة في الحاضر ... ولم أستأنس بالمستشرقين الذين تناولوا الملحون ، وإنما اكتفيت فقط بالاشارات التي أجدها في القصائد نفسها ، والتي تحدد زمان ومكان الشاعر بما لا يقبل الشك .

فعلت ذلك حتى لا أجهض التراجم المستفيضة التي هيأتها لكتاب : "اعلام الملحون " أولا ... ولكي لا أفوت على القارئ فرصة التمتع بأكبر عدد ممكن من النصوص الكاملة ثانيا ، ولأنني لا أريد لذاك الانسياب العفوي السلس أن يتعثر بين كل حين وآخر ... في فقرات من هذا الكتاب وأخرى من ذاك ، فإن أنا أفصحت فبلغت واستطعت أن أجعل القارئ يحس بروعة هذا التراث وجماله وكماله وشموليته ، فذلك ما أتمناه وأصبو إليه ... وإن أنا قصرت فأهملت، وانتهى القارئ من القراءة لي كمثل ما بدأ ... ف ... العذر ... العذر!والكمال لله على كل حال .

أحمد سهوم



فنون القول في الملحون



* فنون القول في الملحون ثلاثة *

1 / الشعر العمودي ، ويسمى " لَمْبِيْتْ "

2 / الشعر الذي حاولوا تحريره من الاوزان العمودية ويسمى " مَكْسُورْ جْنَاحْ "

3 / النثر الفني ، ويسمى " السُّوسِي "

وسنحاول في هذا الفصل إن شاء الله ، أن نعرف بشكل كل فن من هذه الفنون على حدة .

1 / الشعر العمودي الذي يسمى " لَمْبِيْتْ " يتكون من أربع " مْرَمَاتْ "

أ – " الْمَرْمَا " المثنية

ب – " الْمَرْمَا " الثلاثية

ج – " الْمَرْمَا " الرباعية

د – " الْمَرْمَا " الخماسية

ولكل "مْرَمَا " من هذه " الْمَرْمَاتْ " الاربع " قياسات " ، سوف نستعرض منها ما يكفي للدلالة عليها " . إنما قبل ذلك لا بد من وقفة قصيرة أمام هذه التسمية " الْمَرْمَا " و " قْيَاسَاتْهَا " .

ربما لا يخفى على أحد أن فن الملحون نشأ في ربوع سجلماسة ، ونما وترعرع في كل من مراكش ، فاس ، مكناس ، سلا أي في أحضان الصناعة التقليدية ، التي كانت ولا تزال متمركزة في هذه المدن .

ولا غرابة ، والحالة هاته ، أن تكون جل المصطلحات التي استعملتها مدرسة الملحون القديمة ما هي إلا من عطاءات الصانع التقليدي ، ومنها بطبيعة الحال هذا الاصطلاح الذي وقفنا عنده "الْمَرْمَا" و "قْيَاسَاتْهَا " .

ذلك لان «لَمْرْمَا » تسمية تطلق على الآلة الصناعية التقليدية المختلفة الحجم والشكل والتي يستعملها الحرار والدرَّازْ ، كما تستعملها " الطَّرَّازَة " و"النَّسَّاجَة" .

وكذلك «الْقْيَاسْ» لانه وكما يقال «كُلْ مْرَمَا وَقْيَاسَاتْهَا فكما ان لكل من "الحَرَّارْ" ، و"الطَّرَّازَة" ، و"الدرَّازْ" و"النَّسَّاجَة" « مْرَمَا » خاصة ، و«قْيَاسَاتْ» تخص تلك « لَمْرَمَا الخاصة» ، ولاتستعمل في غيرها ، كذلك لكل مبدع من مبدعي الاوزان – بَنْ حْسِينْ الْجَدْ ، بَنْ حْسِينْ الْحَفِيدْ ، حَمَّادْ الْحَمْرِي ، وَلْدْ بُوعْمَرْ الْمَغْرَاوِي ، الْمَصْمُودِي ، مْتِيرْدْ — « مْرَمَا » خاصة ، و «قْيَاسَاتْ» تستعمل في تلك « لرما» ولاتستعمل في غيرها ، ومع آن إنشاء « لرمات» توقف منذ حوالي 1780 ، إلا أن لقياسات » ظلت

تلتحق بهذه «لَمْرَمَّاتْ» إما من بعض مجددي الملحون –سيدي قَدُّورْ ، « بَنْعَلِي » بَنْسليمَانْ » "السِّي التْهَامِي"وإما من فنون القول المحلية في هذه الجهة او في تلك – إلى يوم الناس هذا ، وسوف تنعقب هذه « القْيَاسَاتْ » بقدر لاإفراط فيه ولاتفريط . ويرحم الله العبقري الجريئ سيدي محمد ولد بوعمرمبدع « مكسور جناح» إذ يقول :

ـ الْمعَانِي هِيَّ الطْيُورْ

ـ وَالْقَفْوزَا مَنْ لَمْرَمَّاتْ

ـ والْقْيَاسَاتْ

ـ وَالْمْسَادْ

ـ القَافِيَّاتْ

ـ أَحْ اَنَا ...

سياتي معنا ذكر هذا الرجل الفذ عند تناولنا للقسم الثاني من اقسام الملحون او هو الفن الثاني من فنون القول الملحون .

أما الآن « وبعد هذه الوقفة القصيرة قصد توضيح إصطلاح « لَمْرَمَّاتْ والْقْيَاسَاتْ» نشرع في تتبعها الواحدة تلو الاخرى .

"أ" « لمرمات المثنية»

يطلق إصطلاح « لَمْرَمَّا المَثْنِيَّة» على سائر الابداعات الشعرية الملحونة التي تقتصر في أبياتها على الصدر والعجز فقط ، أو بإصطلاح أهل الملحون « لَفْرَاشْ وَالغْطَا»

الوَرْدْ وَالزْهَرْ فْ غْصَانُو وَشْجَارْ والنْخَلْ واطْيَارْ

ايسبْحُو لْسِيدِي رَبِّي والْمَافْ : قَلْبْ كُلْ غْدِيرْ

هكذا تمضي القصيدة ، الصدر والعجز فقط ، من البداية الى النهاية ومع ان التصريع في الشعر الملحون ليس مكانه هذا الفصل ، وإنما مكانه : «البديع» من فصل « فنون البلاغة في الملحون » مع ذلك اريد ان الفت الانتباه الى ان القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الصدر والعجز الى نهاية القصيدة وليس في العجز فقط كما هو الحال في الشعر الفصيح :

★ فَصْلْ الرْبِيعْ نَاسَجْ حُلاَّ فِيهَا عْقُولْنَا تَحْتَارْ

مَاهِي مْنَ الوبْرْ مَاهِيَّ مَنْ صُوفْ أوْ من لَحْرِيرْ ★

★ حلاَّ منْ الضيْا لَمْلُوْنْ مَاهِي صنْعْتْ شِي حرَّارْ

امنْبْتا وماشِي بِالْجُوهرْ أوْ بالدْهبْ لمْنِيرْ ★

★ الله علّل الْقلْبْ الْمَحْرُوقْ الى اتْجِيبْ لُو الابْصارْ

نَظْرا منْ الحرَاجْ الْخضْرا وتْخمْرُو بْلاَ تَخْمِيرْ ★

★ اللّهْ عَن النّفْسْ الَى تاهتْ فِي تْسارْحْ النّوَّارْ

وتْفاسْ واسقا الانْسايمْ لمْعطْرا بِكُلْ عبِيرْ ★

★ اللّهْ عن الروحْ اللّي خلْخلْها السمْعْ بِينْ خْضارْ

منْ حِيتْ جابْ لِيها الانْغامْ امْعا وزْانْ فرْقْ الطيْرْ ★

هكذا هي القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الشطرين معا مهما تعددت أبيات القصيدة .

ولنعتبر هذا الوزن الذي قامت عليه ربيعية الحمري :«القياس» الاول من «لَمْرَمّا المثْنِيهْ» . والغالب على الظن أن واضع هذا القياس : هو الشيخ الجليل مولاي عبد الله بن حسين الجد ...ذلك لانه ليس هو صاحب القصيدة :

- وَصْفْ الهوَى وَعدُو خبْرُوا بِهْ الكْتُوب

- صفَى نْعَدلِيكْ حسابْ عْدادُو

- علّى للّي سوَّلْ بجْهادُو

- وْجالْ مُحالْ فتْرْشادُو

- علّى اسنْادُو

- للّي رادُ

- مْعَ مرْادُو

فهذه القصيدة هي للحفيد ... وقد ساند بها ولد بوعمر شكلا ومضمونا ، كما سياتي بيان ذلك في الحديث عن نشأة «مكسور جناح» .... الذي نشأ بعد وفاة بن حسين الجد بأزيد من نصف قرن ... نعم ابتكر بن حسين الجد «لرما المثنية» ، و «لرما الثلاثية» ولكنه لم يعرف «مكْسُورْ جنّاحْ» ولا سمع به .. ونعم قصد القصيدة الملحونة ، ولكن للمناجاة الإلاهية ،

والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية وليس للحب والهوى والغرام ...

على كل حال كتب ابن حسين الجد في هذا القياس :

☆ لله تُبْ يَارَاسِي ورْجَعْ لَلْغْنى الضُّوبْيَانْ

يرْآكْ مَنْ الغَفْلاَ وفْصلْ مَابِيْنْ كُلْ زِيْنْ وشْيْنْ ☆

وكتب فيه تلميذه «حمادى الحمري» الربيعية الانفة الذكر ثم جاء ولد بوعمر فكتب :

☆ العَاقَلْ الْفْطِينْ إلَى كَانْ مَعَ رْبَايْعْ الحمُّاقْ

هُوَ يكُونْ الاحمْقْ وَالْحُومَقْ عَاقْلِينْ بِالتَّحْقِيقْ ☆

وتبقى إبداعات ابن حسين الجد ، وحماد الحمري ، وولد بوعمر وبن أحسين الحفيد ، هي كل ما في هذا «القياس» من العصر السعدي ، إلى عهد الملك الجليل مولاي سليمان العلوي ،لكن إبتداء من هذا العهد ... بدأ العمل بهذا الوزن من جديد ، إذ جعله ابن علي ، ولد آرزين «قياس» لشوقيته التي لازمتها :

☆ صلّوا علَى الصدِّيقْ الصَّادَقْ جَدْ الاشرَافْ نُورْ الْعِينْ

إمَامْ الانْبْيَا بلْقَاسمْ مَحْبُوبْ رَبْنَا الرَّحْمَانْ ☆

وكتب فيه الحاج محمد بنمسعود الازموري هذه الاستغاثة :

☆ أيَا سرِيعْ الاغَاثَة وقْتْ مَاستَاغَتْ المَضْطَرْ

ولاَ اللّي يغِيتْ الْمَضْطَرْ الاَّ العَالَمْ بْ : حَالُو ☆

وكتب فيه ابراهيم السوفاني هذا المديح النبوي :

☆ رَحْمَا لْكُلْ مَا فَ : الارْضْ وَشْفِيعْنَا فْ يُومْ العَرْضْ

وَاللَّهْ وَاعْدُو بَالْمَعْطَى حَتَّى حْبِيبْنَا يرْضَا ☆

ويستمر العمل بهذا الوزن ... وتكثر فيه القصائد ، الى أن ياتي مولاي علي العلوي: فيكتب فيه سنة 1954 أروع قصيدة عرفها الملحون النضالي ... إنها «حورية» ، والمرأة هنا رمز للحرية والانعتاق :

☆ أنَا اللِّي سبَاتْ القَلْبْ وَعْقَلِي ورُوحْ ذَاتِي "حُورِيَّا"

عنْهَا نْمُوتْ بِهَا نَحْيَا يَمْتَى تْعُودْ .. ؟ يَمْتَى يَا لَخْوَانْ ☆

اتفقنا على اعتبار هذه «لرامـا» هي الاولى من بين سائر «مرمات» الشعر الملحون ، وأن هذا الوزن أول «قياس» في هذه «لرما» بقي أن أضيف أن هذا «القياس» يقوم على عشر حركات في الصدر ومثلها في العجز .

«القياس الثاني» من «لرما المثنية» يقوم على تسع حركات في الصدر ومثلها في العجز ويسمى "قياس مشرقي" ، لانه ليس من إنشاء أهل الملحون ، وإنما هو أحد الاوزان المحلية في الادب الشعبي بالمغرب الشرقي ، وسوف يأتي معنا ذكره عند تناولنا لبعض المصطلحات التقنية : "لمشرقي" "لعروبي" "لطيلعات" "السارحة" "السرابة" وما شابه . ويبدو أن ولد بوعمر ، هو أول من كتب في «قياس مشرقي» ...

★ هَنَا وَهَنِّي رَتَّحْ وَرْتَاحْ يَالْمَلْحَاحْ

عَشَّشْ وَعِشْ .. وَعَيَّشْ فَارَقْ اشْحَاحَا... ★

طبعا لا نستطيع ذكر كل ما في هذا الوزن من قصائد ، ولو بالعناوين .. لان عدد قصائده تربو عن الالف قصيدة ، وباستعراض بعض ما لشاعر أو اثنين من قصائد في طبع المشرقي ، تتبين استحالة الاتيان بكل ما كتب فيه الشعراء ، من عصر "ولد بوعمر" الى زماننا هذا ، فمثلا سيدي عبد القادر كتب فيه : "دُرَّتْ الْكْوَاكَبْ"

★ يَامْشِيمَ لَعْوَاتَقْ يَاسْرَاجْ الاهْدَابْ

يَالشَّمْسْ الْمَحْجُوبَا دُرَّتْ الْكْوَاكَبْ ★

وكتب فيه «المزيان»

★ جُدْ وَعْطَفْ وَشْفَقْ بَرْضَاكْ يَا الْمَزْيَانْ

عَفْ وَسْمَحْ لِيسِيرْ هْوَاكْ يَا لْهَاجَرْ ★

وكتب فيه «التانية»

★ لَعْبْ مَنْ غِيرْ شْطَارَا فُوقْ رُوسْ حَرْبَاتْ

هَكْذَاكْ ابْنَادَمْ مَتَّلْتْ فِي عَشْرَتُو★

وكتب فيه «الدار»

★ آشْ مَنْ عَارْ عْلِيكُمْ يَا رْجَالْ مَكْنَاسْ

مْشَاتْ دَارِي فْ حْمَاكُمْ يَا أهْلَ الكْرَايَمْ ★

وكتب فيه «الشافي»

☆ يَالشَّافِي بَحكْمَتَكْ حَالْ كُلْ مَضْرُورْ

شْفِي عْلَايِلْ دَاتِي مَنْ دَ الوْجَاعْ نَبْرَا ☆

وكتب فيه «إدريس الاكبر»

☆ يَا حفِيدْ المُصْطَفَى يَا الغَوْتْ لَهْمَامْ

غِتْنَا يَا مُولَايَ إِدْرِيسْ بِا لكْرَايَمْ ☆

وكتب فيه «التوسل»

☆ يَالوَاجَدْ بِالصرُخَا عَنْدْ ضِيقْتْ الحَالْ

جَلْ مُولَايَا عَنْ شبَهْ المْثَالْ عَالِي ☆

وكتب فيه «مدرسة الصوفية»

☆ تَاجَرْ بْغِيرْ بْضَاعَة بَالفْضُولْ يتْهَامْ

كِيْ دْخُلْ يَخْرُجْ حدْ شطَارتُو يْسَاوَمْ ☆

وكم من مديح للاولياء ، وكم من اجتماعيات ...

ونجد - ودائما على سبيل المثال لا الحصر - السي التهامي لمدغري يكتب في "قياس مشرقي" «العرصة» :

☆ يَالعَرْصَة صوُلِي صوُلِي بْطَيَبْ الاطْيَابْ

سَاكْنَكْ سِيدِي وَلْدْ السَّاكْنِينْ طِيبَا ☆

وقصيدة "الربيع"

☆جَادْ يَامَحْبُوبِي فَصلْ الرْبِيعْ بَرْضَاهْ

مَابْقَى غِيرْ اللّهْ وَرَاهْ لَلنْزَهَا ☆

وقصيدة : "الجفن"

★ مَالْ جَفْنِي يبْكِي بَالدَّمْعْ لِيلْ وَانْهَارْ

مَالْ جَفْنْ حْبِيبِي سَاحِي مَنْ الدْمُوعْ ★

وقصيدة : "لام مَرْشُوقْ"

★ لاَ يْعِيدْ لفرَاقْ الْمَعشُوقْ يا لْعشَّاقْ

بَعْدْمَا عَنْقْنِي تَعْنَاقْ لاَمْ مَرْشُوقْ ★

وفي هذا الوزن كتب متيرد أصدق قصائده العاطفية ، ولا أقول الغرامية أو الغزلية .... لا ...... العاطفية ... كما سنرى في فصل الاغراض والموضوعات :

★ فَاطْمَةْ شَرْعْ اللَّهْ مْعَكْ بِينْ الارْيَامْ

وَاشْ الْحْبِيبْ يْكَافِي بِالْجْفَا حْبِيبُو ★

ولشعراء آخرين قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة ، بل الشعراء الذين ذكرتهم لهم قصائد أخرى لم أذكرها ، إن هذا الوزن بالذات يسمونه : "لحويط لقصير" ، لانه من السهولة والبساطة ، بحيث يستطيع أن يكتب فيه الاقل من ناظم ، فضلا عن الناظم الممتاز ، والشاعر الفحل .

"القياس مشرقي" في الملحون كالرجز في الشعر الفصيح ، وليس من بين شعراء الملحون من لم يكتب فيه خمس قصائد أو ست ، بل إن منهم من لم يكتب طوال حياته إلا في هذا الوزن مثل لهويتر ، والحاج اعمار ، فما عرفنا لاي واحد منهما أية قصيدة في أي وزن آخر .

" ا لقياس " الثالث من لرما المثنية "كتب فيه عبد القادر العلمي "حجوبة" 12 + 8 " :

★شَفَقِي مَنْ حَالْ اللِّي هْوَاكْ تْذبَّلْ لُونُو وَسْفَرَتْ وَرْقْتُو يَا حَجُوبَا ★

★ تْعَلْمِي وَتْحَقِّي بِينْ عَوْضَكْ مَا كَانْ حْبِيبْ ★

كتب فيه التهامي لمدغري "الصبوحي"

★ غْنَمْ صَبُّوحِي يَا نْدِيمْ وَسْطَابْ رْضِيعْ الْكَاسْ وَالاطْيَارْ فْ مْغْنَاهَا ★

★ لاَ تَرْثَا يَا سَاقِي وْكُبْ وَرَا رَبِّي سمَّاحْ ★

وكتب فيه "الدبجور"

★شُوفْ الشّكَّايَا ، شِي شْكَا بْحَبُّو ، شِي بَالْفُرْقَا ، وْشِي بْعَشْقُو وَغْرَامُو ★

★شِي مَنْ الجْفَا ، شِي جَايبْ الْهدِيَا يرْحَلْ وِقِيمْ ★

وكتب فيه " لغريلي " الموسول :

★ خَبَّرْنِي يَامَرْسُولْ عَنْ سرَاجْ أعْيَانِي وَاشْمَنْ أنْهَارْ نَظْفَرْ بُوصَالُو ★

★ عرْاضْ الزِّينْ أنَا عْبِيدْ ومُولاَيْ الفتَّانْ ★

وكتب فيه : "الجيلالي لحقيقي " "الخلخال"

★ خَلْخَالْ عْوِيشَا دُرْتْ الْبْهَا فِي مَكْتُوبِي يَا وْلِيفْ دَرْتُو وَمْشَالِي ★

★ كِيفْ الْمَعْمُولْ إلَى اتْسَالْنِي مُولاَتْ الْخَلْخَالْ ★

وكتب فيه "العيساوي الفلوس : "الدمليج"

★ دَمْلِيجْ زْهِيرُو سَابْغْ الشْفَرْ كَانْ فْ :جِيبِي يَأهْلَ الْهْوَى وَمْشَالِي ★

★ بَاشْ انْجَاوَبْ مَنْ اللِّي اتْسَالْ عَنُّو سَابَغْ الاشْفَارْ ★

وكتب فيه : "مولاي قدور البلغيثي "زبيدة"

★ صِلْ بْحُسْنَكْ وَبْهَاكْ يَا كْمَالْ سْرُورِي سُودْ النَّيَّامْ وْلْفِي زْبِيدَة ★

★ اللَّهْ يْزِيدَكْ يَا سْرُورْ رُوحِي عزّاً وتَمْجِيدْ ★

لا أريد أن أقول وأعيد : - مع كل مجموعة من كل "قياس - عبارة "وقصائد أخرى كثيرة لعدد من الشعراء "وحسبي أن أسجل هنا للمرة الاولى والاخيرة .. أني لا أستعرض من قصائد كل "اقياس" ، إلا بمقدار قطرات قليلة من بحر زاخر . فالقصد ليس الاحاطة بكل ما في "القياس" من إبداعات ، وإنما التعرف فقط على "لرمات وقياساتها".

القياس الرابع ، ونحن دائما مع لرما المثنية 8 + 9

فيه "هنية" للازموري :

★ أنْتِ الْخَطْفَانِي مَنِّي يَا لاَ لّلاَهْنِيّاً ★

★ رَفْقِي بِحَالْتِي وتْهَلاَّيْ وْحَاسْنِي مْعَايَا ★

فيه ابتهالات ل : ولد أرزين :

★ مُولاَيْ جِيتْ قَاصدْ بَابَكْ نَرْجَاكْ يَالْغَانِي ★

★ لَكْرِيمْ مَايْرَدْ الطَّالَبْ ، جُودُو مْعَا احْسَانُو ★

فيه قصيدة "الحب" لابن سليمان :

★ أنَا اللِّي شَقَانِي قَلْبِي بَالْحُبْ يَا أهْلِي ★

★ وَالْحُبْ طُولْ عُمْرِي مَنُّو مَا صَايَبْ الْمَقَالَا ★

فيه للتهامي لمدغري "الغاليا"

★ أنَيَا مْزَاوَكْ مَنْ ذَا الشَّرْبَا الدَّاهْيَا ★

★ لَقَيْتْ الصَّدْرْ حُوزِينِي وتَكَايْسِي عْلِيَّ ★

وفيه للحاج إدريس "الياسمين"

★ فُوحِي بْطِيبْ لَمْحَاسَنْ يَامَشْمُومْ كُلْ زِينْ ★

★ أنَا فْ عَارْ ذَاكْ الْخَدْ الذَّهْبِي وْمَسَكْ خَالَكْ ★

وفيه ل : بلعيد السوسي :

★ جْنَانْ السَّبِيلْ الْجَلْسَا يَامَنْ بْغَا الزِّينْ ★

★ يْمَرَّحْ الاَهْذَابْ أُوتَرْتَاحْ جْوَارْحُو شْوِيَّا ★

القياس الخامس 8 +8

كتب فيه المغراوي ثناء للملك العلوي مولاي اسماعيل :

★ هَزْنِي رِيحْ الشُّوقْ وْقَلْتْ فِيكْ يَا سَرْ فْهَانِي ★

★ عْلَى اسْلاَمَا يَسْعَدْنَا بَالْمْقَامْ فِي فَاسْ مْعَانَا ★

وفيه لابن سليمان : الوردة :

★ لاَ تْلُومُونِي فِي ذَا الْحَالْ جِيتْ نَشْهَدْ وْنَوْدِّي ★

★ يَا عْذُولِي فْ : الرُّوحْ سْبَابِي خَالْ فْ وَرْدَة ★

وفيه للفقيه لعمري "السلبية" - كما سماها شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي" :

☆ شُوفْ وَسْكُتْ وَسْمَعْ تَبْقَا عزِيزْ غَايَتْ لْمْعَزّاً ☆

☆ وْلاَ تْقُولْ علاَشْ ؟ وْكِيفَاشْ ؟ بَاشْ ؟ وْلّسَانَكْ حَفْزُو ☆

وفيه للمداني التركماني " الحقيقة"

☆ يَاللَّايَمْ خَلّي الْعْبَادْ كُلْ وَاحدْ فِي حَالُو ☆

☆ الشّْهَادَا بَاللَّهْ وِبِالرَّسُولْ تَكْفِي مُولاَهَا ☆

وفيه للحاج أحمد الغرابي "الشريعة"

☆ يَالدَّاعِي بَالعرْفْ صـْغَى لْهَلْ الْعْلَمْ فَمَا قَالُوا ☆

☆ الشّْهَادَا مَنْ غِيرْ اعْمَالْ لِيسْ تَكْفِي مُولاَهَا ☆

القياس السادس 9 + 8 كتب فيه "الازموري"

☆ شَاهَدَتْ النَّارْ عَنْ خْدُودَكْ وعْلَى الْوَجْنَا نْظَرْتْ جَنَّا ☆

☆ شَاهَدَتْ الْمُوتْ فَ : الْعْيُونْ أَوْلْفِي امْهَانِي ☆

فيه لمولاي بلغيتي " أصيل"

☆ رَاحَتْ شَمْسْ الْعْشِي وطَاحَتْ خَلاَّتْ انْوَارْهَا تْهَبَّلْ ☆

☆ يَاسَاقِي بِالْكْبِيرْ غَدَّرْ وَمْلاَهْ كْبَالَا ☆

فيه ل : بوعزا "الكاوي"

☆ أَنَا الْكَاوِي بْكَى مْخَفِي ، وَالْكَيْ فَ : الدَّاتْ مَا بْرَالِي ☆

☆ مَنْ بَعْدْ مَا كْوِيتْ وبْرِيتْ جرَاحِي طَالُو ☆

فيه للحاج أحمد الغرابلي "مديح نبوي"

☆ صَلّيوا عْلَى النْبِي العرْبِي مْحَمَّدْ خَاتْمْ الرْسَالاَ ☆

☆ صلّى اللّهُ عْلِيهْ ، وَالرّضْوَانْ عْلَى آلُو ☆

القياس السابع : "8 + 7"

كتب فيه الامام الحسني العراق:

☆ جَادْ الزْمَانْ وَاسْتَبْشَرْ قَلْبْ الْهَايَمْ ☆

☆ وتْحَلَّى بَالسَّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ ☆

كتب فيه المصمودي "يامنا"

☆ قُولُو لْيَامْنَا تَهْلِيلْ الْعَثْمَانِي ☆

☆ مِينَا .. يَا مِينَا مْعَكْ شَرْعْ اللهْ ☆

وكتب فيه بجيوات "الجيران"

☆ يَا شومْ لِيعْتِي شِي يْصَبَّرْ جِيرَانِي ☆

☆ جِيرَانِي لَغْدَرْ عَيْبْ لْلَجِّيرَانْ ☆

وكتب فيه بوزيان "المحبوب"

☆ مَحْبُوبْ خَاطْرِي مَنْ فَقْدُ وعَمْدَالِي ☆

☆ عَمْدَالِي لَحْبِيبْ مَاانْعَمْ بُوصَالْ ☆

وكتب فيه الحاج إدريس بنعلي "الصاحي"

☆ يَاصَاحْ لِيمْتَا وأنت عَايَشْ صَاحِي ☆

☆ وبْرَايَقْ لَمْدَامْ طَافْحَا بَالرَّاحْ ☆

وفيه لابن علي ولد آرزين "الشمائل المحمدية"

☆ أجِي تْشَاهَدْ السرّْ الْمُحَمَّدِي ☆

☆ وَشْمَايَلْ شَلاَّ تْحَدْهَا لَعْدَادْ ☆

القياس الثامن : 4 + 8

كتب فيه متيرد "لبابة"

★ طَارْ بَجْفَاكْ صوَابِي ★

★ يَاللِّي تَهْتِي بِيهْ كْثِيرْ لِيمْتَايَا لُبَابَا ★

وفيه شوقية لولد أرزين :

★ الصْلاَتْ عْلَى التَّاقِي ★

★ سِيدْنَا مُحَمَّدْ جَدْ الاشْرَافْ مَنْ جَانَا بَالْحَقْ ★

وفيه لابن سليمان "سلطان المشور"

★ يَاهْلَ الزِّينْ الفَاسِي ★

★صَافُو مَجْمَعْكُمْ وبَايْعُوا السلْطَانْ الْمَشْوَرْ ★

وفيه للتهامي لمدغري "حصان"

★سَالْ عَوْدِي عَنْ وَعْدِي ★

★ يبَاتْ يَرْثِي وِيضَلْ مْعَا اللْجَامْ مَسْكِينْ ايكَدّْ ★

القياس التاسع 6 + 7 كتب فيه بنسليمان "غصن الخيزران"

★ كُنْتْ وبَاقِي فَانِي ★

★ يَارَاحْتِ الخْوَاطَرْ يَا غُصَنْ الْخَيْزْرَانْ ★

وكتب فيه النجار "المعجزات"

★ نُورْ الْحَقْ السَّامِي ★

★ صلّى عْلِيهْ رَبِّي وَعْلَى الْوسْلاَمْ ★

ولسيدي عبد القادر العلمي "البستان"

★ سَعْدْ الْكَلْبْ الْهَانِي ★

★سَعْدَاتْ مَنْ قْلُبُو مَرْتَاحْ مَنْ الْمْحَانْ ★

وفيه حالية العمري :

☆ زَخْرَفْ رَوْضْ جْنَانِي ☆

☆ وَشْمَنْ جْنَانْ فِيهْ اللِّي فَ قْلِيبِي الْآن ☆

"القياس" العاشر 6 + 11 لعل أول قصيدة فيه هي ل: بن حساين الحفيد"

☆صلَّى اللّهْ عْلَى الصَّادَقْ التَّاقِي ☆

☆ مُحَمَّدْ اشْفِيعْ الشَّافَعْ إِمَامْ الانْبْيَا رَاكِبْ الْبُرَاقْ ☆

وفيه لسيدي عبد القادر العلمي :

☆ قَالْ الْمَرْيَانْ صِيفْ لِي زِينِي ☆

☆ وَمْدَحْ امْحَاسْنِي كِيفْ يَمْدَحُوا نَاسْ الْغْرَامْ بْدُورْ الْحَسَنْ ☆

وفيه للحاج إدريس "خمرية"

☆ مَنْ دْرَا يَكْمَلْ فَرْحِي وسَلْوَانِي ☆

☆ وِيعُودْ فِي مْكَانِي سَاقِي غَانِي ضِيَاعِيَانِي ذَاتْ الْحَسَنْ ☆

كان عليَّ أن أكتفي بهذا القدر من "لَمْرْمَا الْمَثْنِيَّة وَقْيَاسَاتْهَا" إلا أن الخاطرة التي خطرت في خاطري تستلزم الاتيان بطائفة أخرى من "قياسات" هذه "لمرما"، ولو بنموذج واحد لكل "قياس"، حتى لا أسجل هذه الخاطرة ...إلا وأنا في غاية الاطمئنان عن نتائجها.

القياس الحادي عشر 5 + 6 والنموذج "رد الولها" ل: ولد بوعمر

☆ أَهْلَ الْبْهَا حْمَا قُو رَدْ الْوَلْهَا ☆

☆ مَنْ شْعَا .. مَنْ شَعْشُوعْ الْكَامَلْ الْبْهَا ☆

القياس الثاني عشر 3 + 6 والنموذج لابن سليمان

☆ أمَا مَن كْلْظَمْ ☆

☆ صَحْتُو كَانَتْ لُوهِيْ الطَّامَا ☆

القياس الثالث عشر النموذج لسيدي علال العلوي

★ رْضَعَتْ الْغِيَالْ فْ تَدِّي ★

★ وكَبْرَتْ فْ : الْقَلاَعِي فْ : الداَ ★

القياس الرابع 5 + 7 النموذج من شعر ولد أرزين

★صلِّي علَى النْبِي فْ : اللِّيلْ أُو النْهَارْ ★

★ تَنْظَرْ وبَالْبَصرْ أُو بلْبَصِيرا ★

القياس الخامس عشر 5 + 8 النموذج من شعر اليوسفي

★ أنَا اللِّي نْظَرْتْ غْصِينْ الرِيْحَانْ ★

★ فتَحْ الوَرْدْ الفِيلاَلِي علَى فنَانُو ★

القياس السادس عشر 6 + 8 والنموذج للتهامي لمدغري

★شدّْ اَسيدِي رمَّانَكْ ★

★ بِيدِيكْ زُوجْ مَنَّكْ لِيهْ اَشْ علِيَّ ★

القياس السابع عشر 7 + 6 والنموذج من شعر الناصري

★ أنَا لْغرِيبْ فِي بْلاَدَاتْ النَّاسْ ★

★ مْفَارقْ وْطَانِي وَحبَابِي مْعَاوْنَاسِي ★

القياس الثامن عشر والنموذج من شعر مولاي عبد الرحمان بوقطيب ، وهو من الاوزان الراقصة بالنظر الى نوع إيقاعاته "4 + 4"

★ شعْلاَتْ فْ خلْوتِي مْنَاراَ ★

★ وَالِّيلْ فْ :حلْكتْ اللِّيَالِي ★

وكذا القياس التاسع عشر "11 + 11 "والنموذج من شعر مولاي الحبيب العبار :

★ الزِّينْ الزِّينْ مَانْنُوزْو لُو كَانْ يْطُوقُونِي لَمْحَالْ ★

★ ياكوينا اللي خطفت .. أو من فوق لعود ديك مولات الخال ★

هو أيضا من الاوزان الراقصة التي تشيع المرح في النفوس ، فتنتقل من "التحييرا" أي التواجد مع الايقاعات الحضارية ... إلى شيء من الترويح مع أوزان الايقاع الراقص ...

" القياس العشرون " والنموذج من شعر بلمراني 6 + 4 :

★ رِدْ فْ : لَمْحَاجِي حَاجِي ★

★ مَا عَلْجَا مْحَاجاً ★

القياس الواحد والعشرون 4 + 5 والنموذج من شعر ناصر الدكالي

★ سَالُوهَا لاَشْ غَادْ يَالُو ★

★ سَالُوهَا لاَشْ تَابْعَاهْ ★

ونختم هذه الاوزان بما يسمى "لعروبي "6 + 6 والنموذج من شعر الجيلالي متيرد .

★هَذَا فَصْلْ الرْبِيعْ فِي رَبِيعْ الْخَيْرْ ★

★ مَوْلِدْ حْبِيبْنَا أحْمَدْ شَارَقْ الانْوَارْ ★

هذه بعض "لقياسات " "لرما المثنية"، و "لرما المثنية" وكل "قياساتها سواء منها ما ذكرت أو ما لم أذكر ... لا تمثل إلا ربع ثلث الملحون .أي أن مدرسة الملحوم تستطيع أن تقابل بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بل وتضاعف عددها ب :قياسات" "مرما" واحدة فقط هي "لمرما " "الاولى" لمرما المثنية .

وقد سبق القول أن فنون القول في الملحون ثلاثة : الشعر العمودي ويسمى "لبيت" والشعر المتحرر نسبيا ويسمى "مكسور جناح" والنثر الفني ، وقد أطلقو عليه إسم "السوسي" وسبقت الاشارة أيضا إلى أن الشعر العمودي في الملحون "لبيت"يتكون من أربع "مرمات"، و"لمرما المثنية" التي استعرضنا " قياساتها" واحدة من أربع ، وبها وحدها تقابل مدرسة الملحون سائر بحور الشعر العمودي وزيادة ، أما الثلاثة أرباع الباقية من "لبيت" أعني "لمرما الثلاثية" و "لمرما الرباعية" و "لمرما الخماسية" فهي تقابل كل شعر الفروع والاغصان من موشحات ، واجزال ، وطقاطق ، وما شابه .

ولا يفوتني أن أذكر هنا " أدب الطفولة" ، ففي الاستسقاء مثلا... وعندما يردد الكبار " اللهم أسق عبادك وبهيمتك ، وأنشر

رحمتك ، وأحيي بلدك الميت .

يردد الشباب والفتيان

هَا السبُولاَ عَطْشَانَا غِيثْهَا يَا مُولَانَا

ويستجيب المجيب جل جلاله ، ويرحم عباده بالامطار ، وتعم الفرحة ويتسابق الاطفال إلى ساحات الاحياء ... وهم يرددون :

اشتَا تَا تَا تَا تَا أَوْلَادْ الْحــــــــرَّاثَا

الْمَعْلَّمْ بُوزَكْـــــرِي طَيَّبْ لِي خُبْزِي بَكـــــرِي

أو يرددون :

أَشْتَا صَبِّي صَبِّي والرزَقْ عْلَى ربِّي

وهي كلها مرددات على وزن واحد ... ولا يتغير الوزن إلا إذا انخرط الجنس الاخر (البنيات) بلعبة (حينا)

أحينا أَلْمْحِينِينَا

حِينًا صبَّاتْ عْلِنَا

حِينًا فَايَنْ بُوعزًا

حِينًا مْشَا للسُّودَانْ

حِينًا يْجِيبْ اللُّبَانْ

أما ربات البيوت ... لهن أيضا أذيهن النسوي الذي يعتمد الصدر والعجز فقط .

الْعُودْ الْمَرْبُوطْ الرْبِيعْ قُدَّامُو مولاَيْ الْحَسَنْ يزيدْ فـ : يأمُو

☆✪☆

بِينًا وبِينْ الجَامَعْ رِيحتْ الجَاوِي وَايَا مُولاَيْ عَبْدْ اللَّهْ يا المكاوي

☆✪☆

هكْذَا خَلاَوْهْ امَالِيهْ الْمَلْحَا وَالسرّْ عْلِيهْ

☆✪☆

ويظهر وزن الاطفال : "أشتا تا تا تا تا " مرة أخرى ، في مظاهرات الافراح بمناسبة رجوع محمد الخامس طيب الله ثراه

مْلِكْنَا وَاحـــدْ مُحَمَّدْ الْخَامِـــسْ

الاسْتِعْمَارْ الَى قَبْرِهِ بَنْ يُوسفْ الَى عَرْشِهْ

وأدب الطفولة كالادب النسوي ، كلاهما يحتاج الى عناية خاصة ليس هذا مكانها على كل حال . وقبل أن أنتقل الى "لزومات" الموالية ... لابد من الاشارة إلى أن من ضروب المستحيل محاولة تتبع نشأة الاوزان ، ورصد تطورها ، وارتقائها ، وتحولاتها من نمط إلى آخر . وكل ذلك يتم في فصل من كتاب :

نستطيع أن نثبت مثلا أن مولاي الشاد - وهو من الذين شاهدوا نهاية الحكم السعدي ، وقيام الدولة العلوية الشريفة - أنشأ هذا الوزن :

رْيَاحْ الْيَنْبُوعْ　　　　هَبَّتْ فْ : هَاذْ الاَرْضْ وْخِيرْهَا نْبَعْ

وأن ولد بوعمر ... حوله إلى "رباعي" بإضافته لشطرين آخرين في قصيدة "باها"

غَارُو الْبْوَاهِي　مَنْ بْهَا مَنْ لاَ لْبْهَاهَا شْبِيهْ

مُولاَتِي بَاهَا　زِيـــــنْهَا صَانُو سَرّْ الْجَاهْ

ويكتب الشعراء في وزن مولاي الشاد الذي يعتمد الصدر والعجز فقط كما يكتبون في وزن "باها" الرباعي الاشطار إلى أن يأتي بنعلي ولد أرزين - في العقد الثالث من عهد السلطان العلوي المصلح مولاي سليمان - فيحول الرباعي إلى ثلاثي في قصيدته " أطلال المدن"

لُو كَانْ تْنْغْـــــرَمْ يَا حْمَامْ انْغَرْمــــــو الْمْدُا الْفَــــايْتَا

وَالّْي شَفْنَا فِي زْمَاناً مَا شَافُوهْ انْجَالْ

ويأتي لحبابي في عصر الحسن الاول ، فيعود بالوزن إلى ماكان عليه أيام ولد بو عمر ، ولكن بإضافة حركات في الشطر الثاني والشطر الرابع تلائمه جدا جدا .

قُـــــــولُو الْخْنَاثَا　　يَا تْرَى فْ : الْعَاهَدْ تَبْقَى ثَــــابْتَا

صَانَتْ بْحْمَالْهَا حْيَاتِي　رَاحَتْ رُوحِي الصَّايْلاَ عَلَلْ لْبْدَرْ بْنْعُوتْ

ويأتي بن ريسول ، وهو من المتأخرين ، تتلمذ عنه شيخي وأستاذي وولي نعمتي سيدي إدريس العلمي رحمه الله ، فعاد بالوزن إلى عصر نشأته الاولى ، وكما أراده مولاي الشاد :

يَامَنْ هُوَ مْسلَمْ　　　فَ : النْبِي وَوْلاَدُ وقَوِّي امْحَبْتَكْ

أستطيع أن أثبت مثل هذه التحولات في كل أوزان الملحون ، إنما ليس في فصل من كتاب أريده "بداية الطلب" بالنسبة

للباحثين والدارسين ، و "نهاية الارب" بالنسبة للمولعين والمغرمين ... وكتاب هذا شأنه لا ينبغي لمصنفه أن يغرق في موضوع على حساب الموضوعات الاخرى ، خصوصا وأنها كثيرة ومتشعبة أي الموضوعات ، وتلزم الاحاطة بها جميعها ولو باختصار شديد .

"ب" (لمرما الثلاثية وقياساتها) :

ثلاثية لان البيت الواحد يتركب من ثلاثة أشطار : "الصدر والعجز ، والديل" بخلاف لمرما السابقة التي كان البيت في كل "قياساتها ... يتركب من "صدر وعجز ...فقط

القياس الاول كتب فيه مولاي عبد الله واحساين "وصايا لقمان" (9 + 9 + 9)

أَرَاسِي نُوصِيكْ كِيفْ وَصَّى وَلْدُ لُقْمَانْ   وَنْتْ تَصْغَى كِيفْ مَا صْغَا وَلْدُو لَبْيَانِي

وَتْوَصِّي بُوصَايْتِي الْمَرْوِيَّا قُومْ اخْرِينْ

وفيه للتهامي المدغري قصائد كثيرة أذكر منها "حكاية زنجية"

مَا اعْظَمْ ذَاكْ الْيُومْ فَاشْ صَدُّو نَاسِي وَمْشَاوْا   تَرْكُونِي نُوَّاحْ فَ : الرْسَامْ قَلْبِي كَاوِي

يَحْسَنْ عَوْنْ اللِّي امْضَاوْا نَاسُو مَنْ بَعْدْ كْوَا

وفيه للسعداني قصائد وقصائد أذكر منها "المشموم"

جَاتْ لْعَنْدِي مَا عْرَفْتْهَا فِيدِّيهَا "مَشْمُومْ"   أُومَشْمُومْ انْضَرْتْنِي وجِيْهْهَا بَنْيَامِي

وَاحَدْ لِلتَّقْبِيلْ زَايْدْ عْلَى النَّضْرَا وَالشَّمّْ

وفيه لبنعلي المسفيوي "الطوموبيل" الثانية.

سَعْدِي زَارَتْنِي حْبِيبْتِي الْغْزَالْ أُمْ ادْلاَلْ   وَتْنَزَّهْنَا بَالْجْمِيعْ وَرْكَبْنَا طُومُوبِيلْ

وَتْسَارِينَا بَالْجْمِيعْ فَالدَّنْيَا عَرْضْ وَطُولْ

وفيه للحاج أحمد الطرابلسي مديح نبوي :

يَاعَيْنْ الرَّاحْمَةَ الرَّاحْمَةَ يَا قُرَّةْ الانْيَامْ   يَا قُرَّةْ الانْيَامْ جُدْلِي يَا بَحْرْ التَّعْظِيمْ

يَا بَحْرْ التَّعْظِيمْ وَالفَضْلْ يَاعَيْنْ الرَّحْمَةْ

"القياس الثاني "من "لمرما الثلاثية"

فيه للحاج أحمد بنمسعود الازموري "فطومة"

شَفْتْ الشَّمْسْ وْشَفْتْ الْقَمَرْ وَالْجَنَّةْ والنَّارْ فِي خْدُودْ غْزَالِي فَطُّومْ

شَمْسْ الْحُسْنْ آلالْ الطَّامْ   رَوْنَقْ السرّْ عَنْ جْمَالَكْ يَاطَامُو

وفيه ل: التهامي لمدغري "النحلة"

صُولِي يَاشَامَةْ الضْرِيفَةْ ورَهَايْ وْغَنِّي ودَنْدْنِي نَغْمِي عَلْ الاوْتَارْ

مَامَثْلَكْ فَضَّةْ وْلاَ اتْبَرْ   يَابَنْتْ الْمُلْكْ فِيكْ هَمَّةْ وتْجَارَةْ

وفيه للحاج ادريس "الكاس"

أسَاقِي لْمْدَامْ صِبْ نَحْكِي لَكْ مَابِينِي وبِينْ كَاسْ رْحِيقْ الْمَسْطَارْ

قَصَّةْ وَعْجُوبَةْ وتَرْجْمَةْ   صَارَتْ لِي الْبَارَحْ امْعَا جلَّاسِي

وفيه لادريسي العلمي "مديح نبوي"

صَلَّى اللَّهْ عْلِيكْ يَالْمَاحِي مُحَمَّدْ يَا شْرِيفْ الاسَمْ سيَّدْ لَمْلاَحْ

يَامَنْ بِكْ النَّاسْ فَرْحَةْ   مَنْ شهَدْ بِكْ نَالْ رَبْحُو وَصْلَاحُو

"القياس الثالث،

فيه لابن علي ولد آرزين "زنوبة"

يَا بْدَرْ مَا غَطَّاكْ حْجَابْ   فِي دْجَايَا شَمْسْ النْهَارْ السْعِيدْ يَازَنُّوبَةْ

شَايَقْ انْشُوفَكْ يَا زِينَبْ

وفيه للحاج ادريس "حبيبة"

يَاللِّي زِينَكْ زِينْ عْجِيبْ   عَالْجِينِي بَرْضَاكْ ارُوحْ رَاحْتِي حبِيبَةْ

مَا ابْحَالَكْ عَنْدِي مَحْبُوبْ

وفيه للحاج أحمد الغرابلي "العمرية الصوفية"

كُبْ لَلساْحِي كَاسْ الرّاْحْ   يَا لساْقِي رَادَفْ لُولَا تْكُونْ فِيكْ جْحَاحَة

حَضْرُوا فـَ : الْفَيْبَة يَرْتَاحْ

القياس الرابع من "المرما الثلاثية...

فيه لمحمد بن سليمان

نْبكِي علَى دنُوبِي وَصلَاتْ اوقَاتِي   يُومْ الهُوْلْ وْظلْمَةْ الْقبْرْ

بَدَّلْ يَارَبِّي سيّتِي بَالْحسْنَة

وفيه ل : التهامي المدغيري

الاَ لَّلازهُورْ أزَهْرِي وَزْهَارُو   بِكْ رِيَاضِي فَايَحْ الزْهَرْ

صوُلِي صوُلِي يَا غزَالِي زَهْرَة

وفيه لنفس الشاعر

انَا عشِيتْ الْجمْعَة شَابْ شبَابِي   ملْكَتْنِي عزْبَة وْشَابَّة

مَنْ شَاهَدْهُم مَا اسْخَى بْشبَابُه

وقريب منه " اثلاثة زهوة ومراحة " لنفس الشاعر

اثْلاَثَة زَهْوَة وَمْرَاحَة   بَهْوَاهُم مَا أنَا سَاحِي

رْكُوبْ الْخيْلْ وَالْبَنَاتْ وْكِيسَانْ الرَّاحْ

"لمرما" "الرباعية" وقياساتها

تندرج في هذه "لرما" كل القصائد التي يشتمل البيت الواحد منها على أربعة أشطار غير متوازية، أي أن الاشطار الاربعة التي يتكون منها البيت الواحد ، لا بد وأن يكون فيها الشطر الطويل والشطر الاطول ، والشطر القصير ، والشطر الاقصر .

ذلك لان القصيدة المتوازية الاشطار ، وإن كانت رباعية فمكانها "لرما المثنات" وليس "لرما الرباعية" اقرأوا معي مثلا هذا البيت من قصيدة للحاج أحمد الغرابلي .

صلّى اللّهْ عْليـــكْ ياشفيعْ العصاةْ الْهَادِي   يَاعيْنْ التّعْظِيمْ وَالْهدي
يَا مُحَمَّدْ خَاتْمْ الرِّسَالَة يَا نُورْ اتْمَـــادِي   فَصْلاتَكْ سطْوَة وْفَايْدَة

فهذا البيت وإن تركب من أربعة أشطار ، لا يعتبر إلا "مثنى" متكرر إذ أن الوزن كما تلاحظون واحد : الصدر الاول على وزن الصدر الثاني والعجز الاول على وزن العجز الثاني ، وكذلك الحال في قصيدة الشهد ة ل : بن مخلوف .

مُحَمَّدْ يَانُـــــورْ تَمْدِي   صلّى اللّهْ عْليكْ أبْدَا
عدًا النّحلَة اللِّي اتْسدِّي   تَعْمَلْ شَهْدَة فُوقْ شَهْدَة

وكذلك وصية الحاج ادريس :

لُطْف اللّهْ يْعَمْ   يَا لساهِي وَطْلُبْ رَبِّي سلامَتَكْ
الَى رَدتِّي تَغْنَمْ   أوْ تَعْلاَ مَا بِينْ النَّاس درَجْتِكْ

وللشاعر الصوفي الكبير الحسني الحراق في هذا المثنى المتكرر :

جَادْ الزّمَانْ واستَبْشَرْ قَلْبْ الْهَايَمْ   وَتْحلَّى بَالسّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ
انكَى الْحسُودْ وَظْفَرْ بَالْعزْ الدَّايَمْ   واصبَحْ يَتْمَخْتَرْ فِي تْيَابْ هْنَاهْ

وله ايضا في "المثنى" المتكرر ، وعلى وزن آخر

انْسَى بَحْبِيبكْ   كُلْشِي وَجْمَعْ فِي ذَاتُه هْوَاكْ
وَشْكُرْ مَعْبـــودَكْ   مَنْ ضَحَى بَالْقُدْرَة يَهْدِيكْ

كل هذه القصايد وغيرها مما شاكلها ... هي من "لرما المثنية" أما "المرما الرباعية" هي التي يشتمل البيت الواحد من قصائدها على أربعة أشطار غير متوازية كما سبق القول - وإليكم نماذج منها للدلالة عليها .

"لرما الرباعية وقياساتها"

القياس الاول : حب حبيب الرحمان ... للجيلالي امتيرد

صلّيوْا علَى الْعَدْنَانْ   مَنْ جَانَا بَالْبِيَانْ
فِي آيَاتْ الْقُرْآنْ   طَهَ مَفْتَاحْ الْكُونْ

القياس الثاني : "مديح نبوي" للنجار

جَلْ الصلْاَ مَهْدِيـــــــــــــةْ   عْلَى النْبِي مَزْدِيةْ وَعْلَى الاَزْوَاجْ وانْصَارُو

وْعْلاَ الاسبَاطْ وَعْلَى الشرْفَا الاَحرَارْ   وَعْلَى الزَّهْرَ بَنْتْ الرْسُولْ وعْلى هَزَّامْ الرُّومْ

القياس الثالث : ... حجوبة "لابن على رْكوب الخيل والبنات وكيسان الراح

يَا لَلِّي زِينَكْ فَاقْ الشمْسْ وَالْقْمَرْ وَالْبَرْقْ فَالاَحبَابْ صَلْتِي بَحْرُوفْ عْجَابْ

صِيغْ لَجْوَابِي عَالْجِينَا بَالزوْرَة يَالرِّيمْ حَجُّوبَة

القياس الرابع : "الشهدة" ل : بنسليمان

يَا صَاحْ زَارْنِي مَحْبُوبِي يَامَسْ كُنْتْ صَايَمْ   شَهْدَة قْطْعَتْ وَجْنِيتْ الْوَرْدْ گَالُو كْلِيتْ رَمْضَانْ

مَهْجُـــورْ كُنْتْ مـــــــــــــــدَالِي   يَاحْبِيبْ الْخَـــــاطَرْ يَاكْ الْمَرِيـــضْ يَفْطَرْ ؟

القياس الخامس : "طامو" لعبد القادر العلمي :

طَـــامُو يَا بْهِيجَتْ الْخَدَادَة   يَالْحرَّة الْمَنْكَادَة يَا غَايْتْ التَّمْجِيدْ

دِيرِي لْعَـــــاشَقْ مُرَادُو   يَنْكِي بِكْ كُلْ حَسُـــــــــــودْ

القياس السادس : "قاضي العشاق : ل: التهامي المدغري .

أَقَاضِي قَصَّة جْرَاتْ لِي مْعَتَاهَا   مَاجْرَاتْ لَحَدْ فْ : نَاسْ لْغَرَامْ

مَحْبُـــــــوبْ لِيكْ دْعَـــانِي   وَحْلَفْ لاَهَنَّـــــــــانِـــــي

القياس السابع : "خدوج ل :بنسليمان .

من يوم ريتها دراجـ   ة   مــــــاوسنت داجي

ونالطلوع هلالها نرتجى   رانا في عار للاخدوج

القياس الثامن : "المحبوب للحاج فضول .

محبوب القَلْبْ زَارْنِي يَامَسْ يَاعْشْرَانِي   وَاصلْنِي الرْسَامْ وَنْكَى جَمْعْ الرْقْبَابْ

صَايَلْ مَابِينْ قْرَانُو   سِيدِي بُووَجْنَة مْنَكْطة

القياس التاسع : "فارحة ك" : التهامي لمدغري

دَاسِيِّنِي تَحْتْ الْخْلاَلْ بِينْ دْرُوعَكْ لْمْلاَحْ   وَالْلُبَّة وَالـــــــدُّوَّاحْ

وَنْهِيدَاتَكْ تَفَّاحَة   خَفْتْ ايشُوفُونِي عْيُونْكْ يَجَرْحُونِي يَا فَـــارْحَة

القياس العاشر : "الدواح" لابراهيم السوفاني .

دُوَّاحْ غْزَالِي طَـــــــــــاحْ   مَنْ جِيبِي فِيهْ صْلاَحِي

كِيفْ انْدِيرْ إلى انْسَالْنِي مُولاَتْ الدُّوَّاحْ   حَبِيبَة قُوتْ الـــــرُّوحْ

هذه عشر نماذج من "القياسات لرما الرباعية" اثبتها للدلالة على القياسات الرباعية الحقيقية . والتي هي غير متوازية الاشطار

طبعا لم أسجل كل قياسات لرما الرباعية ، لاتفادي التطويل ولم أشر إلى القصائد التي هي على وزن القصائد التي هي على وزن القصائد التي أثبتها والتي تعد بالعشرات .

"لرما الخماسية وقياساتها "

لرما الخماسية هي "لرما" الاخيرة في "ملحون الابيات" الشعر العمودي في الملحون وقياسات لرما الخماسية هي آخر قياسات هذا القسم من اقسام الملحون الثلاثة :

1 ـ لبيت   2 ـ مكسور جناح   3 ـ السوسي

فبالمرمة الخماسية وقياساتها ننهي قسم "لبيت"

القياس الاول فيه للجيلالي امتيرد "الطير المفقود"

طِيرْ امْشَالِي وَلاَ عْرَفْتُه   فِينْ مْشَى سَابَغْ الاشْفَارْ

فَدْفَدْ بْجْوَانْحُو وْطَـــارْ   تَجْمَعْنِي بِه يَا الْمَوْلَـــى

طَالَتْ بَالْوَحْشْ غِيبْتُو

وجاء التهامي لمدغري ، فكتب فيه " فارحة المنشوبة" ولكن بالتزام تام بالقافية في كل شطر من الاشطار الخمسة التي يتكون منها البيت الواحد

سَلْتَكْ بْبْهَاكْ يَالرَّايَحْ   مَالَكْ سَكْرَانْ دُونْ رَاحْ

وانا عقلي معاك راح   بَايَتْ مَنْ لِيعْتْ الْجرَايَحْ

سَاهَرْ وَالنَّاسْ رَايْحَة

ثم عاد وكتب فيه وبنفس الالتزام : "زايدة"

أنَا الْمَشْرِي بْلاَ مْـــــزَايَدْ وَاللَّايَمْ فـَ : الْمْلاَمْ زَادْ

بِمْــــلاَمُو حَرْمْنِي الــــزَّادْ كَفْ اللُّومَانْ لِينْ زَايــدْ

يَبْلِـــيكْ بْحُبْ زَايـــدْةَ

وكتب الشعراء الكثير في هذا القياس ...... وبالتزام تام بالقافية في سائر الاشطار الخمسة ، لكن عندما جاء الحاج ادريس تساهل في القافية ... وعاد با "القياس" الى نمط "الطير المفقود" للجيلالي متيرد .

أنَــــا فِي عَارْ قَامْتَكْ يَا رَايَتْ الْهْمَامْ فـَ : اللُّطَامْ

لُوجِيــبَةْ لاَ للاَّ الطـاَمْ رَفْقِــي بِي وْحَنْ وَعْطَفْ

يَا ابُو دْوَاحْ فَاطْــمَةْ

الشطر الاول لا يخضع لقافية ، وكذلك الرابع

وعلى هذه الشاكلة عاد فكتب فيه :

أسـَـادَتِي اوْلاَدْ طَـــهَ بَرْضَاكُمْ عَالْجُوا الْحَالْ

يَا نَاسْ الْجُودْ الافْضَـــالْ أنَا فِي عَــــارْ لاَلَّ

فَطِيمَةْ الزَّاهْــــرَا الطَّـــاهْرَةْ

بل هنا تساهل اكثر فاكثر .... على كل حال لا أريد أن أستمر مع هذه الاشياء التقنية التي قد لا تهتم بها الا قلة قليلة من الناس وأكتفي بهذا الجرد لقياسات لرما الخماسية .

القياس الثاني من لرمة الخماسية

هَاجُو الافْكَارْ اللَّايَمْ يبْلِيهْ يبْلِيه بَالْهْجَرْ مَنْ لاَ ذَاقْ الْحُبْ مَاا عْذر

جَايَحْ دُونْ قْرَارْ مَاهْزُو رِيــحْ جْمَـــارْ زَافْرَةْ

السلوانية لبلقاسم ، وفيه أيضا قامت لَعْلاَمْ وقصائد أخرى

القياس الثالث فيه لابن علي : "خدوج"

يَا قُمْرِيَّةْ لَبْرُوجْ   يَا يَقُوتَةْ فِي تَاجْ   يَا الرِّيمْ خْدِيجَةْ

نُوْرِنِي يَانَعْتْ الدّرُوجْ   يَا بُوسَالَفْ خَنُّوجْ

القياس الثالث من "لمرما الخماسية" فيه للكنوز "الرقاس"

عَوَّلْ يَا رَقَّاسْ بَالرْضَا   وَحْتَالْ لُوصُولْ بُوشْفَرْ قَتَّالْ   لِيهَا حَتَّالْ

حَسَنْ بْهَاهَا العَانَسْ الْبَتُولْ مَالُومْثِيلْ

بهذه "لرما" نكون قد تعرفنا على شكل الملحون العمودي ، ويسمى "لبيت" بقي لنا أن نتعرف على شكل كل من القسم الثاني "مكسور جناح" والقسم الثالث "السوسي" لنفرغ من الشكل ، وننتقل إلى المضمون ، ونبدأ ب : "مكسور جناح"

إنه لون من الوان فن الملحون ، أشبه ما يكون بالشعر الحر او الشعر المرسل في عصرنا الحاضر ، لايتركب من أبيات كما هو الشأن في الملحون "لبيت" وكما تعرفنا عليه فيما سبق ، بل أن كل قسم من أقسام قصائده وكأنه بيت بذاته ، فهو أي مكسور جناح ، وحدة عروضية تشمل المقطع الشعري كله .

"شكل مكسور الجناح"

الْحُبْ وَالْهْوَى وَالْعَشْقْ وْنَارْ الْغْرَامْ

مَنْ حَالْتْ الصّبَا فَ : عْضَايَا قَامُوا

كُلْ وَاحَدْ دَارْ مْقَـــــامُو

فْ : مُهْجْتِي وَضْحَى بَحْسَامُو

امْعَا اسْهَامُو

هنا ينتهي مكسور جناح ، إذ أن ما سيأتي بعده هو من الشعر العمودي "لمبيت"

يَطْعَنْ وِيزِيدْ فَ : الْجْرَاحْ اعْدَامِي   فِـــي غْرَادْ هَذَا الدَّامِي

غِيرْ مْلَكَتْ عَقْلِـــي بَجْمَــالْهَا   وْغْلْقَتْ عَنْوَةْ بَابْ الْمْرَاحْمَةْ

وكذلك لازمة القصيد ... لابد وأن تكون من الشعر العمودي "لمبيت".

رَحْمِي يَارَاحَةْ الْعَقْلْ تَرْحَامِي   مَنْ جِفَاكْ طَالْ سقَامِي

كِيفْ نَبْقَى حَايَرْ وَنْتِ مْسَلِّيَــة   رُوفِي يَا لُغْزَالْ فَاطْمَة

فمكسور جناح إذن ... يتحرر من سائر قياسات لرمات السالفة الذكر، ويتخلى عن رتابة القافية الثابتة، لكن في البداية فقط، أما النهاية: نهاية كل مقطع، لابد من الرجوع إلى الاصل، هكذا:

عَيْنِيكْ زُوجْ كِسَانْ مْنَ عْتِيقْ الْمْــــدَامْ

مَنْ ذَاقْ مَنْهُمْ شِي يَصْبَحْ هَــايَمْ

وَالْعَطْرْ فَ: الْخَدْ الْنَّــــاعَمْ

وَرْدْ عَكْرِي تَحْتْ صَـــــوَارَمْ

فَـــاحْ نَاسَمْ

وَالْمَعْطَسْ طِيرْ طَارْ لِي بَمْنَامِي   بِينْ الْوُرُودْ مْسَـــامِي

وَالسْنَانْ صَفَا مَنْ حَبْ الْغْمَامْ وَالْجِيدْ غْزَالْ خْشَى مْنَ الرْمَا

هذا مقطع من قصائد مكسور جناح ... بدايته تحرر من الوزن الرتيب والقافية الثابتة، ونهايته رجوع إليها معا. وسوف لا أكتمك قارئي الحبيب أن هذا الوزن الثلاثي - سواء الذي في آخر المقطع أو الذي في اللازمة.

رَحْمِي يَا رَاحَةْ الْعَقْلْ تَرْحَامِي   مَنْ جْفَاكْ طَالْ سقَامِي

كِيفْ نَبْقَى حَايَرْ وَنْتِ مْسَلِّيَة   رُوفِي يَالْغْزَالْ فَــاطْمَة

هو "قياس" من "قياسات" لرما الثلاثية .. ولقد كتبت فيه قصائد وقصائد قبل أن يتحول إلى "مكسور جناح" ... بل قياسات كثيرة تلك التي تحولت الى "مكسور جناح" من كل لرمات التي استعرضناها معا فيما سبق .. من ذا الذي يصدق أن "لغزيل" للسي التهامي هو على وزن "جل الصلا مهدية" للنجار؟ ... حتى أهل ملحون العصر الحاضر لا يعرفون مثل هذه الدقائق.

اقرأوا معي هذا المقطع من قصيدة لغزيل ل: التهامي لمدغري لنلاحظ جميعا ... كما لاحظنا ونحن نقرأ ذلك المقطع من فاطمة للحاج ادريس ... ان بداية المقطع مكسور جناح ونهايته قياس من "لرما الرباعية" يعرف بقياس: "جل الصلا مهدية"

حَالِي اعْلاَ الْغزِيلْ يَا لاَيَمْ دُونْ حَـــالْ
سَهْرَانْ طُولْ دَاجِي نَزْتِي مَنْحُولْ
فِي غْلاَلْ هْوَايَا مَوْحُــوُلْ
سَاخْفِينْ عْضَايَا لاَحُــولْ
عَادَمْ الْحُولْ
مَنْحُولْ كَمْ مَنْ حَوْلْ
فِي حَالْتِي امْبَدَّلْ
غِيرْ انْسَــــوُلْ

الى هذا الحد ، وينتهي جانب " مكسور جناح" من المقطع ، ويبدأ ما يسمى "الرواح" أي الرجوع الى الاصل ، الى الشعر العمودي :

عْلَى الْغزِيلْ يَتْشَرْغَيْ بَالصَنُوْدْ عَيَــانِي — بَاقِي صَغِيرْ دُونْ صْيَامْ أُوغَفْلاَنْ
خَلاَنِي خَلاَنِي هْمِيمْ هَايَمْ عَقْلِي مَشْطُونْ — وَخْـــلاَقِـــــي مَذْهِيــــةْ
أَلسَّايَلْ شَافَتْ عِينِي غْزِيلْ سَبْـــانِي — اشْعَلْ فَ : الْحْشَا نَارْ ابْلاَ دُخَّانْ
مَبْقَانِي مَبْقَانِي اعْلاَ لْهِيبْ الْخَدْ الْمَكْنُونْ — وَالْعَيْنْ السَّرْدِيــــــــــةْ

وهذا الوزن هو من أوزان ، أي من قياسات لرما الرباعية ، وفيه قصائد كثيرة من بينها "جل الصلا مهدية" واثبت لازمتها هنا قصد المقارنة .

اعلاَ النْبِي مَزْدِيةْ وَعْلاَ الازْوَاجْ وَانْصَــــارُو — وَعْلاَ الاسْبَاطْ وَعْلاَ الشُرْفَا الاحْرَارْ
وَعْلاَ الزَّهْرَا بَنْتْ الرْسُولْ وَعَالِي هَزَّامْ الـرُّومْ — جَلْ الصَــــلاَ مَهْدِيـــــةْ

على كل حال "مكسور جناح" هو لون من ألوان التطوير التي وقعت في الاوزان العمودية الرتيبة . وأرى شخصيا أن هذا أول تغيير يقع على الاوزان التقليدية القديمة فيكسر فيها رتابة الوزن من جهة وينقلها من قافية ثابتة الى قافية متحولة من جهة ثانية ، كان ذلك في عهد "بوعمر" وهو القائل :

"الاشْعَارْ فْ : لَعْقُولْ لِطْيَارْ"
وَالْقَفْوزَة فَ : الْقَافيَاتْ "
و"الْمرَمَّـــــات"
او "الاقْيَـاسَاتْ"

على أن هذا التحرر الكامل الشامل الذي دعى إليه بوعمر ، لم يقبل عليه الناس برمته ، فكانت هذه الوحدة العروضية التي تشمل ماهو مكسور جناح من كل مقطع ، وكانت هذه القافية المتحولة أي التي يسمح للكاتب بتغييرها متى شاء ، إنما لابد من أن تكون على كل حال ... وشروط منها أن لا تخرج لازمات مكسور جناح على مرمات الشعر العمودي : "لبيت" وكذلك الرواح ...أي نهاية المقطع ... ومنها أن لا تنتهي القصيدة من مكسور جناح إلا ب ... "سارحة" ... والسارحة كماسيأتي الحديث عنها هي مجموعة أبيات على وزن اللازمة لا تقل عن عشرة أبيات ، وقد تبلغ المائة بيت ... ومنها ... ومنها ... ومنها .

وهكذا لم يتحرر الملحون من قيوده القديمة كما أراد له "بوعمر" وأنما "زاد قيدين على قيدو" كما قال "متيرد"

وقد جاء بعد أزيد من مائة سنة مرت على ظهور "مكسور جناح "،وسيأتي معنا ذكر "متيرد" إذا ماوصلنا الى "السوسي".وعندي أن الجيلالي متيرد أحسّ بتجربة بوعمر، وصِلَتِهِ وتَفَاعُلِهِ معها ، وعقد العزم على إحيائها،بل وفعل،كما سيأتي بيان ذلك في معرض الحديث عن "السوسي" . أما الآن ، فلا يزال أمامنا تصنيف "مكسور جناح".فتعالوا بنا إليه .

سبق القول أن من شروط طبيعة العمل في قصائد ... مكسور جناح أن لا تخرج اللازمة عن "مرمات" الشعر العمودي في الملحون ... وكذلك نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة أيضا والمتتبع للقصائد مكسور جناح ، لابد وأن يلاحظ أن سائر مرمات الملحون العمودي حاضرة في مكسور جناح ، بل لا يمكن تصنيف قصائد مكسور جناح ، إلا بواسطة ، ومن خلال اللازمة "ورواح لقسم" والسارحة ، أي الجوانب الخاضعة للاوزان القديمة .

أما ما تحرر منه فقد تحرر وأنتهى أمره .

ولكي لا أطيل سأكتفي بتقديم نموذج أو إثنين فقط من كل "مرما" من "مرمات" مكسور جناح .



* لمرما المثنية *

فيها قصيدة "عيشة" لابن علي :

اللازمة صدر وعجز .. أي "فراش وغطا" على حد تعبير أهل الملحون :

★ مَالَكْ يَا لُغْزَالْ تَايْهَا وَعْلاَشْ اَخِيتِي وْفَاشْ ★

★ بِينْ الْبَارَحْ وَالْيُومْ طَالَتْ الْغِيبَة يَا عِيشَة ★

هذه هي اللازمة ، وهي كما لا شك لا حظ القارئ الكريم ...

من أوزان الشعر العمودي ... لكن عندما يبدأ المقطع يبدأ بوحدة عروضية ، هكذا :

ـ مَاكَانْ لِي فْ : ظَنِّي لَو تَفْرَقْنِي نْعِيشْ .

ـ صَبْرَتْ مَا كْفَى وَقْوَى تَشْـــــوَاشِـي .

ـ حــــالْتِي لاَ حَالَة رَاشِــــــــي .

ـ هَكْذَا نَبْغِي لَلْـــــــوَاشِي .

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور جناح من المقطع ، ليبدأ الرواح ... والرواح هو الرجوع إلى الاصل .

★ بَعْدْ أَنْ كُنَّا لاَمَة مْعَاشْرَة وَحْنَا زُوجْ عْلَى فْرَاشْ ★

★ نْسِيتِي لَمْحَبَّة السَّابْقَة وَاللِّي فَاتْ مْشَى ★

★ مَالَكْ يَالُغْزَالْ تَايْهَة وَعْلاَشْ اَخِيتِي وْفَاشْ ★

★ بِينْ الْبَارَحْ وَالْيُومْ طَالَتْ الْغِيبَة يَا عِيشَة ★

ومن هذه لمرما أيضا "غيثة للحاج إدريس" :

ـ أَلاَ لَلَّاغْوِيتَة حُبَّكْ وَهْوَاكْ سَاكَنْ الذَّاتْ

ـ الذَّاتْ فَانْيَة مَا تَقْوَى لَلتِّيه

ـ وَالْعَقْلْ بْغْرَامَكْ حَزْتِيــــهْ

- لاَشْ علّل لَجْمَارْ رْمِيتِيه

- رَحْمِيهْ بْقُبْلَة يَا الْهَاجِرَة قَبْلْ يفُوتْ الْفُوتْ

- يَاكْ تْعَرْفِيهْ الاَلْلاعْبِيدّْ عَنْدَكْ مَـــــورُوثْ

- حَاضِي شَرْطْ الأَدَبْ لِيس يُـــــوتَا

- ارْضَاهْ فِي رْضَاكْ وهُوَ قُوتْهْ مْعَاحيَاتُـــــو

- تِيهِي وتِيهكْ ايْوَاتِــــي

- بَشْهَادْتْ الْقَدِيدّْ وَالْغبَّة وَالْجبِينْ وَالْقَبـــيتْ

— اللازمة —

★ قُولُوا الاَ للاّغيثَة مُولاَتِي ★

★ جُدْ بْوصَالَكْ علّل لَعْشِيقْ يَامْ الْغِيثْ ★

* لمرما الثلاثية *

اختار لمكسور جناح من "لمرما الثلاثية".. قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي :

- **اللازمة :**

★ آرَايَةْ الْمَلْكَة يَامُولاَتِي الْمَالْكَة ★ لِيكْ الْعَبْدْ وكُلّْ مَامْلَكْ ★

★ لاَ للاّ مَلِيكَة حْمَايَةْ الْمَلِيكْ ★

جانب مكسور جناح من المقطع :

- يَــــا مَنْ طَلْــــوعْ هــــلاَلَكْ

- يفْجِي ظَــــلاَمْ الاحْــــلاَكْ

- نَحْكِـــي شَمُـــوسْ لَفْـــلاَكْ

- لَلَّهْ جــودْلِــي بوُصــاَلَكْ
- نْتْكِـــي بْــزوُرْتَــكْ عدَاْلَكْ
- لَنِّــي غـلاَمْ حسْنْ جمَالَكْ
- قبْلْ الصيَّام يَا مليكَة وَأنَا غلاَمْ مَمْلُوكْ
- وَمْنَ الْفْـــــرَاقْ مَهْـلُــــــوكْ

الرواح ... أي الرجوع الى الاصل ... إلى أوزان الشعر العمودي

★ إلَى تْزُورنْي تْتْعَافَا ذَاتِي الهَالْكَة ★ لَوْ تَجْفِي قلْبِي يوْاصلْكْ ★

★ وِيلاَ دزْتِينِي بقَى الْعَارْ عْليكْ ★

* لرما الرباعية *

نختار لهذه "لرما" كنموذج "خناتة" ل : لعبابي"

★ قُولُوا لَخْنَاتَة يَا تْرَى فَ : الْعَاهدْ تبْقَايْ ثَابتَة ★

★ منْ صَانَتْ بجْمَالْهَا حيَاتِي ★

★ رَاحَتْ روُحِي الصَّايْلَة علَّل لبْدَرْ بنْعُوتْ ★

هذا الوزن كما هو الشأن في كل قصائد مكسور الجناح ... وكما سبقت الاشارة الى ذلك ... كانت فيه قصائد عمودية كثيرة قبل أن يطرأ عليه هذا التغيير الجزئي ويتحول الى مكسور الجناح ..

من القصائد الاصلية "المرسم" لابن علي ولد أرزين :

★ أنَا وَالْمَرْسَمْ يَا حمَامْ مْثَالْنَا فَ : الزْهُو انْتَ ★

★ الْمَرْسَمْ يبْكِي علَى الشمَّاعَة ★

★ ونْتَ تبْكِي علَى النْثَا وَانَا علَى لْغزَالْ ★

هكذا كان شكل هذا الوزن ، أبيات رباعية الاشطار ، من بداية القصيدة الى نهايتها ، لكن عندما تحول الى "مكسور جناح" أصبح على هذا الشكل :

- قُولُوا اللاَّيْمِي يَعْذَرْ مَنْ ذَاتُو فْنَاتْ
- بْهْوَى الْقَاصْرَة مَنْ صدّْ جْفَاهَا
- التَّــــايْهَة عَنِّــي بْبَهْـاهَا .
- السـّالْبَة عقْلْ مَنْ يـْرَاهَا
- وْلاَنْهَــــــاهَا
- قُولْ غـْـــدَاهَا
- عْلَى هْـــوَاهَا
- بْبْهَاهَا شَاطْنَة دْهـَــانِي
- وْنْطَقْ قَلْبِي بْحُبْهَا بَعْدْ انْ كَانْ صَمُوتْ

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور الجناح من المقطع ليبدأ الرجوع الى الاصل

☆ نَارِي حتَّاتَة وْلاَ صبْرْ صبْرِي فَ : العُشَّاقْ مَنْ عنَّا ☆

☆ وْصَابَرْ مَنْ صمِيمْ ذَاتِي بْغرَامَكْ يَا لْجَافْيَة بَعْدْ انْ كُنَّا خُوتْ ☆

* لمرما الخماسية *

نأتي بالنموذج من وزن قصيدة " سلتك بالله يالطالب" طبعا لاناتي بهذه القصيدة كنموذج لانها من الملحون "المبيت" أي العمودي ، ونحن نريد "مكسور جناح" وعليه فسناتي بالنموذج من وزن :

"سلتك بالله يا الطالب "بعد أن تحول إلى مكسور جناح

☆ اعْطَفْ لِي مَالْكِي بْعَطْفَة ☆

☆ وَالْعَطْفَة مَنْ اوْصَافْ سِيدِي كَامَلْ الاوصَافْ ☆

☆ مَاسَرّْ الزِّينْ غِيرْ عَطْفُو ☆

☆ وَالعَطْفَة سِرّْ فَ : الْلطَـــــــــــافة ☆

☆ وَالحَالْ اتْصَافَا ☆

هذه هي اللازمة ... وعلى وزنها الخماسي الاشطار قصائد كثيرة ولكنها في مكسور الجناح تتحول الى هذه الشاكلة .

- مَا كَانْ لِي فْ ظَنِّي يَنْعَمْ لِي بَا الْعْطُوفْ
- وْنَافْ مَامْضَى قْصَرْتْ فْ : حَقُّـــو
- وْلاَ عْرَفْتْ فْ : يُومْ بْحَقُّو
- وْلاَ عْطِيتُو شِي مَنْ حَقُّــو
- جَا السَّـــاقِي
- جَاوْا ارْفَـــاقِي
- عْلَى تْفَـــاقِي

وللبقية مفهومة مما سبق ... يختم المقطع ببيت خماسي الاشطار على وزن اللازمة ، وبه يعود الى الاصل ... هذا هو مكسور الجناح ... مجرد تغيير طرأ على بعض الاوزان الاصلية ... فاكسبها بعض الخفة والرشاقة ...

واستمرت الكتابات في المدرستين معا : مدرسة الملحون العمودي ومدرسة مكسور الجناح الى أن جاء الجيلالي لمتيرد في عهد الملك العلوي سيدي محمد بن عبد الله ... ففعل مثل ما فعل "بوعمر" أي حاول تحرير الكتابات الملحونة ليس من قيود الوزن الرتيب والقافية الثابتة فحسب ، ولكن من قواعد مكسور الجناح أيضا فهل نجح امتيرد فيما فشل فيه بوعمر من قبل ؟ أبدا ... بل أضاف بمحاولته تلك ... مدرسة ثالثة اصطلح الناس على تسميتها فيما بعد بالسوسي ...

★ حَرَازْ كَافَرْ نَصْرَانِي ★

★ شْتْوَى وْصِيفْ كَايْرْعَانِي ★

حَاضِي حْرِيسْ ، كُلْ مَاكَانَبْنِي يْرِيبُّو ، وَخْزُوبُو عْدَاوْا عَنْ خْزُوبِي وَالْبَابْ اللِّي افْتَحْتْ لِيهْ ايسَدُّو . حْرَامْ مَا ابْغَايَتْغَامَا . حَتَّى حْبِيـــبْ مَا هُو عَنْدُو . مِثْلِي .. يْكَرْهْنِي مَنْ قَلْبُو وَجْوَارْحُو وْدَاخَلْ دَاتُو وِيـلاَ ايْشُوفْنِي يَتْكَحَلْ بَمْحَاوَرْ الـعْمَا وِيـزِيـدْ كْحُوبْ اونْفَاقْ وَنْوَلِّي تَقَلْ مَنَ الرْصَاصْ عَنْدُو ، شُوفَة وَحْدَة يْكَرْهْهَا فْ : خْيَالِي ... يَسْقَلْ جَبْهْتُو ... يَعْكَدْ الْعَبْسَة فْ : خَلْقْتُو ... وِيــوَلْــلِّي قَلْبُو ظْلاَمْ وَاقْسَى مَنْ صَلْدْ الـصمْ لِيـسْ يَرْطَابْ وْلاَيْلِيَانْ ... مَا يْحَنْ وْلاَ يَشْفَقْ مَنْ عْبِيـدْ رَبِّي .. وَعْرَفْتُو مَنْ زْمَانْ دَامَرْ مْتْمَادِي مَنْ سْلاَلْتْ الكُفَّارْ .

الـلازمـة

حَرَّازْ لاَ لَّلاَلَرْسَامُو جِيتُو قَلْبُو نَصْرَانِي كِيفْ عَارْفُو غَدَّارْ بَاقِي سَلاَّتْ الْكُفَّارْ ، هكذا أنشأ الجيلالي امتيرد هذا النمط من فن الملحون .. وهكذا كتب فيه كل الذين جاءوا من بعده

بدأ الشاعر المقطع ببيت شعري موزون مقفى :

★ حَرَّازْ كَافَرْ وَنْصرَانِي ★

★شَتْوَى وَصِيفْ كَايَرْعَانِي ★

هذا البيت الاول من كل مقطع .. في كل قصائد هذه المدرسة .. دائما على هذا الوزن .. لكن ماسيأتي بعده ما هو إلا نثر

نعم فيه سلاسة ... ولا يتعثر انسيابه ، وبين الفاظة تناغم،ولكنه لا يخضع لنغمات إيقاعية تركيبية معينة كتلك التي في الملحون العمودي،ولا لوحدة عروضية متفق عليها،كالتي في مكسور جناح ...اللهم إلا ما كان من مطالع المقاطع وخواتمها ...ونهاية القصيدة ولازمتها فلابد لكل ذلك من أن يكون من الملحون العمودي ... تماما كما هو الحال في مكسور الجناح ، وكما سبق تبيانه ، بل لا يمكن تصنيف قصائد هذه المدرسة : مدرسة السوسي ... إلا بانتساب اللازمة ...

قد تكون اللازمة ثلاثية ...فتنتسب إلى "لرما الثلاثية" وقد تكون رباعية ... فتنتسب الى "لرما الرباعية" وهكذا ... فمثلا كنا مع الشاعر الذي أنشأ مدرسة السوسي في أول حراز كتبه فيها ... وكانت اللازمة هكذا :

★ حَرَّازْ لَلاَّلَرْسَامُو جِيتُونْصِيبْ قَلْبُو نَصْرَانِي كِيفْ عَارْفُو غَدَّارْ ★

★ بَاقِي سَلاَّتْ الْكُفَّارْ ★

فهي إذن تنتسب الى " لرما المثنية "

وفي " الزطمة " وقد كتبها على نفس النمط .. أي في المدرسة الناشئة : مدرسة السوسي ... نجد أن اللازمة ثلاثية أي تنتسب الى : " لرما الثلاثية " .

★جَانِي بَشَّارُو جَانِي يَاكْ عْطَانِي صَحْتْ الْخْبَار أُوبَشَّرْنِي بَالْوْصَالْ ★

★هَاهُوَ صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

هذه هي لازمة الزطمة ... أما المقطع ... فهو ككل مقطع من كل قصيدة في هذه المدرسة مدرسة السوسي

★ هَاهُوَ صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

★مَحْبُوبِي صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

★ قَرِيتُو نَجْبَرْ فَ : الْجْوَابْ أَمَحْبُوبِي يَارُوحْ رَاحْتِي : يَامَنْ لِيكْ الرُّوحْ شَايْقَة ★

حِينْ ايوَصَلْكْ . يَارْبِيعْ قَلْبِي . مَرْسُولِي قُمْ .... لاَ تْغَيَّبْ ، وَاجِي حَتَّى

انْشَاهْدَكْ وتْشَاهَدْنِي ، بَارَتْ الْحْيَالْ ابْدِيتْ انْخَمَّمْ ..

وهكذا .... وهكذا الى أن ينتهي المقطع ب : "الرواح" أي بالرجوع الى الاصل ... الى الوزن والقافية ...بعد أن كنا مع النثر الفني الجميل السلس ... الذي لا يخضع في انسيابه لا لوزن ولا لقافية ...ولا تاطره إلا تقطيعات النطق السليم ، وكيف ينبغي أن يكون في فن القول الدارج ... وهذا ما نسميه في حضيرة الملحون "لفصالة" أي ... فن الالقاء ...

وكاني بالجيلالي امتيرد رحمه الله .. كان قد رأى بفراسة المومن أن شاعر الملحون ... سيتحول مع السنين والاعوام ... الى ذلك المثقف العضوي الذي ينقل المعرفة من مبدعيها ... ليوضحها ، ليبسطها ... وبالتالي لينقلها الى عامة الناس ... بلغتهم ، بتعبيراتهم بما عرفوا من معاني ، وما ألفوا من تمثلات ... ولذلك ابتكر جازاه الله بكل خير ـ هذا النمط الذي تيسر معه الحكي ، واستقام به السرد ... وتجمع لنا فيه مع مرور الايام ، والسنون والاعوام ... الشيء الكثير والكثير جدا جدا من ألوان المعرفة وفنون الثقافة ... كما سيلمس القارئ الكريم في فصل المضامين .

نعم إن الجيلالي امتيرد أراد لهذه المدرسة "مدرسة السوسي" ، غاية اليسر ، ومنتهى البساطة ... فانت لا تجد داخل المقطع أي أثر للقافية لا ثابتة ولا متحولة ... بل وحتى السجعة لا يقبلها إلا إذا كانت عفوية ، تاتي من تلقاء نفسها .... أما أن تبحث عنها ... وتجري وراءها فلا . لكن الذين جاءوا بعد الجيلالي امتيرد حتى الآن ، فعلوا في هذه المدرسة : مدرسة السوسي ، مافعله الذين كانوا قبل الجيلالي امتيرد في مدرسة مكسور الجناح .

كما سيلاحظ القارئ الكريم من خلال النصوص الكاملة ... التي سننشرها بين يديه في فصل المضامين ، والتي سنراعي في اختيارها أن تكون مستوعبة لكل اشكال ... وأنواع ..وألوان .. المدارس الثلاث "لبيت" "مكسور جناح" "السوسي" وحسبي الآن أن أسجل أن مدارس الملحون الثلاث ، قد اكتملت نشأتها ، وبدأت مدارج الترقي ، على عهد السلطان العلوي الصالح المصلح ، سيدي محمد بن عبد الله ، أي أن كل الذين جاءوا بعد هذا العهد ... عهد سيدي محمد بن عبد الله الى يوم الناس هذا ، وإن كانو ابتكروا وأبدعوا ، ولونوا ونوعوا ، فمن داخل هذه المدارس الثلاث ، "لبيت"

"مكسور جناح" "السوسي" ووفق أصولها وقواعدها .

نعم توجد مدرسة رابعة .. هي مدرسة الاغنية الملحونة ... وليس القصيدة الملحونة ... الاغنية .. المقطوعة الخفيفة التي تقصر الى أن تصل في أدائها الى دقيقتين ... وإذا طالت فلا تتعدى الخمس أو الست دقائق . إنها "السرابة" ورحم الله من أطلق عليها هذا الاسم : "السرابة " فهي سرب من الاوزان يتلاحق بسرعة فائقة وفي انسجام بديع رائع ...... ومع أني لا أريد أن أجهضها بإشارة عابرة في هذا الكتاب الذي أردته للقصيدة الملحونة مبنى ومعنى وليس للاغنية ... مع ذلك أضع بين يدي القارئ نموذجا أو إثنين من هذه "السرابات" أي الاغنيات الملحونة ... على أن أفرد لها ماشاء الله من صفحات بعد فراغي من هذا الكتاب مباشرة ... وسيعلم الناس ان عاجلا ، أو آجلا أن الاغنية الملحونة التي كتبت قبل ما لايقل عن ثلاث مائة سنة هي

أحسن بكثير مما يكتب اليوم ... بل لا وجه للمفاضلة ، أو المقارنة بين الاغنية الملحونة القديمة ، والاغنية الشعبية المعاصرة

★ اعْلاَشْ أمَحْبُوبْ خَاطْرِي تَجْفِينِي ★

★ أَلْجَافِينِي وعْلاَشْ الْجفَا ★

★ حَبِّيتَكْ مَنْ خَاطْرِي ولاَرَدِّتِينِي ★

★ ولاَوْصَلْتِنِي قَاصِيتْ مَاكْفَى ★

★ خَالَفْتِي فَ : الْوَعْدْ بَاشْ وَاعدَّتِينِي ★

★ وكَاتْمَنِّيني يَا شَارَدْ الْعفَا ★

قَالْت نَاسْ الشّعْرْ قُولْ وَافِي

زِينْ بْلاَتِيهْ صُورتُو تُعْـدَافْ

وَالْخِيرْ صَاحبُو يعْــــرَافْ

★ عْلاَشْ ؟ عْلاَشْ؟ عْلاَشْ؟ يَالْجَافِي ★ زَدتِّي قَلْبِي شْغُــوفْ ★

★ مَاظَنِّيتَكْ بَالْخِيرْ مَاتْكَــــــافِي ★ يَــامَسْرَاجْ الْحرُوفْ ★

★ وَاللِّي نَاوِي بْزْيَارتُو يوَافِــــــي ★ مَا كَايْنَو الْخُــوفْ ★

★ خَلِيتِّي عِيْنِي مَنَ الشّفَقْ شـوُّافَا ★ نْعَايْنْ الـــــــرأفَة ★

★ مَنْ صَاحبْ الْعفْو ★

★ يَجْمَعْ شَمْلِي بِكْ خَاطْرِي يتْعـــَافَا ★ الضرّْ يَتْشــــــَافَا ★

★ رَبِّي يْخَفّفْو★

★ تَكْبْتِ فَ :اغْضَانْ نَارْكْ النَّــارْفَا ★ أَبْدِيــتْ فَ : الاَفّة ★

★ وعْدي نْصرَفْو ★

★ يَامَا افوَاني كَانرُوجْ كَالْحُوتْ بلّامَا في معَاطِنْ ونَشفُوا ★

ويْحبُكْ الاعْضـــــــا سَخْفُــــــــوا

★ ذَنْبْ الْعَشْبقْ وَاعرْ مَازَالْ يْدورْبكْ

★ أيَا جَافِي خُوفِي عْليـــــــكْ

★ وَافيــــني وَافِيني وكْمَلْ الْمَقْصُودْ

★ والّلي جوْادْ يَاكْ تْجُـــــــودْ

★ للّه وَاشْ قَلبَكْ حَجْرَة ، ولَّ حدْيدْ ، ولَّ زَبْدَة . كَلّيتْ بَالْجفَا وَالْهَجْرَة

خلّيتْ لِيكْ مُولْ الْجُودْ .

هذه هي "السرابة" وهي كما - أسلفت - سرب من الاوزان يتسرب أمامك في انسجام بديع وبسرعة فائقة .. وهذا السرب من الاوزان ... يختار بعناية من كل أقسام الملحون الثلاثة ... "لمبيت" "مكسور جناح" "السوسي" .. وهكذا فإن كل "سرابة" على حدة،لابد وان تشمل كل مدارس الملحون الآنفة الذكر ... وكمثال لذلك هذه "السرابة" ، فقد بدأ صاحبها - ونحن في حضيرة الملحون،لا نعرف أصحاب السرابات كما نعرف اصحاب القصائد ...ذلك أن أصحاب القصائد يوقّعون قصائدهم ، أما أصحاب السرابات .. فلا . ربما استطاع بعض النبهاء التعرف على بعض أصحاب السرابات بأشياء معينة،سوف أشير إليها في فصل المضامين،قلت إن هذه "السرابة" بدأها صاحبها بثلاثة أبيات على وزن من أوزان "لمرما المثنية" في الملحون لمبيت ... أي العمودي .. ثم أردف للابيات العمودية الثلاثة وحدة عروضية،كتلك التي في "مكسور جناح"، ثم جاء بوزن من : "لمرما المثنية" يختلف عن الأول،فصاغ فيه ثلاثة أبيات أخرى ، ثم انتقل بنا الى "لمرما الثلاثية" في ثلاثة أبيات ... وأردف وحدة عروضية ثانية ...وختم بنثر فني يقوم على السجع .. كما هو الحال في "السوسي"،وقد سبق تبيانه .

للّه وَاشْ قَلبَكْ حَجْرَة ، ولَّ حدْيدْ ، ولَّ زَبْدَة . كَلّيتْ بَالْجفَا وَالْهَجْرَة

وهكذا تكون أقسام الملحون الثلاثة حاضرة في كل "سرابة" ، ومبالغة في الايضاح أضيف النموذج التالي :.. . وأترك القارئ الكريم يلمس بنفسه هذه الحقيقة : حقيقة أن كل "سرابة" على حدة لابد وان تشير في شكلها الى كل مدارس الملحون الثلاث: مدرسة الملحون العمودي"، "مدرسة مكسور الجناح"،"مدرسة السوسي" .

وبهذا النموذج أنهي الحديث عن شكل " السرابة" أي الاغنية الملحونة القديمة ، أما المضامين ...أما القيم : الشعورية منها أو التعبيرية ... أما ما فيها من تجارب إنسانية حية ، أما أسراب الصور .. والرؤى .. والاخيلة ...فكل ذلك مكانه "فصل

المضمون" وليس "فصل الشكل".

★شَـــــاينْ كَتْبْ الْعَـــالَمْ   عَنْ جبِـــينْ ابْنْ آدَمْ ★

★ مَايَمْحِي وعَدُو مْلاَمْ ★

★ قُولُوا لْذَاكْ الـــــــلاَيَمْ   سلَّمْ تَمْـشِي سَـــالَمْ ★

★ مَنْ طَعْنْ سيُوفْ النْيَامْ ★

★ مَابَهْضُـوكْ غْــــوَارَمْ   مَالَسْعُـــوكْ صـــوارم ★

★ مَادقْتِي كَاسْ الْمْـــدَامْ ★

☆✪★

★ مَابَاتْ رقِيبَكْ مَنْ ضنْاكْ خَايَفْ   ★ مَانَاكِيتِي حسْــو دْ ★

★ مَا حزْتِي بِيدَكْ سُودْتْ السوَالَفْ   ★ مَا عَنْقْتِي نْهُــودْ ★

☆✪★

- عَـــــايَشْ هَــــــايَمْ
- وَاهْيـــــا آلْــــــلايَمْ
- يَكْفَــــاكْ الْيُــــومْ
- لاَ تْعـــــودْ تْلُــــومْ
- ولَا تْبُــــوحْ بَالْمَكْتُوبْ
- أمَّـــــامَنْ امثَـــالَكْ لاَمُو
- التْبْـــلاوْا بَالْغرَامْ وهَامـُوا
- وَبقَاوا لْلْهوَى خــــدُّامُو
- ورَضَاوْا سِيرْتْ حكَــامُو
- يَستَاهلُوا اللِّي لاَمُـــوُ

سَعْدَاتْنَا نْهارْ تْجِينَا .. تُوقَتْ الْهْلاَلْ وتَزْهِينَا .. وبْطَاسَتْ

اشْتِيَّة تَسْقِينَا .. طْلَعْتْ الْبْدَرْ مِينَة .

هذه هي الاغنية الملحونة ، أو "السرابة" ، كما سماها الاوائل ... أما طبيعة العمل فيها .. أما الخصوصيات التي تختلف بها عن القصيدة ، فذلك ماسنتطرق إليه في الفصل القادم إن شاء الله ، أما الآن .. فتعالو بنا لنعالج ما تبقى لنا من شؤون الشكل في فن الملحون "مطيلعات" مثلا . أو "عروبيات" . أو "سارحة" ..أشياء صغيرة من هذا القبيل ولكن لابد من التعريف بها ولو باختصار شديد لانها تمس الشكل في جوهره .

يقولون : "مطليعات" ويقصدون بالاصطلاح تلك الابيات الخفيفة التي تتخلل جل القصائد ، وتكون عادة في غير وزنها ... الابيات التي يقصدون بها تكسير الرتابة وتفادي الملل ، هذه الابيات المخالفة لوزن القصيدة ، والتي أرادو بها الترويح ، حتى لايسئم المستمع ، يجعلونها عادة في بداية كل مقطع من القصيدة . ومن هنا جاءت التسمية : "مطيلعات" .

نقول بالعربي الفصيح مثلا "مطلع القصيدة" أو "مطلع السنة الهجرية" . جاء أهل الملحون الاوائل الى لفظ "مطلع" فنطقوه بالتصغير وقالوا : "مطيلع" ، وبما أنهم سوف لا يقصدون به البيت الواحد ، بل أبيات قد تصل الى ثلاثة ... أو أربعة أو حتى خمسة جمعوه جمع التصغير فقالوا "مطيلعات" إشارة الى أن هذه الابيات لابد وأن تكون أصغر من أبيات القصيدة وأخف .

وأقدم أثر عثرنا فيه على "مطيلعات" هو للمصمودي ، ويرجع تاريخ المصمودي الى عهد الملك العلوي المولى اسماعيل ...

★ قُولُوالْيَامْنَة تَهْلِيلْ الْعُثْمَانِي ★ مِينَة يَامِينَةْ مْعَكْ شْرَعْ الْلَهْ ★

هذه هي لازمة أقدم قصيدة وجدنا فيها هذه "لمطيلعات" ومطلعها :

★ مِيـرْ الْغْرَامْ خْرَقْ حْشَايَا وَدْهَـانِي ★ جَرَّ عْنِي كِيسَانْ مَنْ هْمُومْ بْـلاَهْ ★

★ حَتَّى حْرَارْ قَوْتِي وَالنُّومْ جْفَـانِـي ★ يَـانَاسِي لاَمَنْ يْفِيدْنِي بَـدْوَاهْ ★

★ وَالْلِي هْوِيتْ مْحَالْ يْكُونْ هْـوَانِي ★ بَدْلْنِي بَالْغِيرْ لاَ حْنِي مُـورَاهْ ★

قصيدة المصمودي هاته ، هي على هذا الوزن من بدايتها الى نهايتها ... لكنها وإبتداء من المقطع الثاني تظهر فيها أبيات ... في غير هذا الوزن ... وفي غير هذه القافية أيضا .

★ صِيفَطْتْ لْلْغْزَالْ بْرَاتِي ★ مَرْسُولِي مْشَى نْهَرَاتُو ★

★ قْرَالْهَا حْرُوفْ ابْيَاتِي ★ قَبْضَتْ الْكْتَابْ رْمَاتُو ★

★ قَالَتْ لُوبْصُومْ سْنَاتِي ★ بِيَّ لاَ ضْفَرْ فْ : حْيَاتُو ★

وبعد هذه الابيات الثلاثة ... يعود الى وزن القصيدة وقافيتها .

★ مَنْ ذَا النْهَارْ مَا يتْصَوَّرْ فَ مْكَانِي ★ وَلْلِّي لاَ عَنْدُو بْكِي أَنْتَاوِيَّاهْ . ★

..الى آخره

ولكي أوضح أكثر ... أقدم لك المقطع الثالث ب "مطيلعاته" لتكشف بنفسك الفرق بين "لمطيلعات" والوزن الاصلي في كل مقطع من القصيدة :

★ف : الْحِينْ قُلْتْ يَا مَرْسُولِي ★ تَرْكْ النْوَاحْ وَرْجَعْ لِيهَا ★

★شْكِي لْهَا .. وْكُنْ فْضُولِي ★ لاَ بُدْ حَاجْتِي تَقْضِيهَا ★

★ بَادَرْ لاَ تْكُونْ مْلُولِي ★ وَنَا بْشَارْتَكْ نَعْطِيهَا ★

★ وَلْلْ لْعَنْدُولْفِي بكْتَابِي ثَانِي ★ نَقَّرْ بَابْ الدَّارْ صَابْهَا تَرْجَاهْ ★

★ بَالشُّوقْ بَاكْيَا بَالدَّمْعْ الطُّوفَانِي ★ وَكْتَابِي مَحْلُولْ فِيدْهَا تَقْرَاهْ ★

★مَرْسُولْ مَالْكِي قَالَتْ هَذَا جَانِي ★ أَهْلاَ بَسْلاَمُو وْتَايْبَة لَلَّهْ ★

ربما أتينا بالنص الكامل لهذه القصيدة عند بحثنا ل : لشعر المراسلة في الملحون " المهم أن "لمطيلعات" ظهرت أول ما ظهرت في العصر الاسماعيلي ... ومن ذلك العهد وهي تتنوع وتتزين ، شأنها في ذلك شأن سائر أشكال فن القول في الملحون ، نبحث عنها عند سيدي عبد القادر العلمي ، فنجدها في الساقي مثلا ثلاثية .

يَامَنْ دْرَى نَتْلاَقَا بُونَجْلاَتْ غْسَاقَا

وَكْيُوسْ مْدَامِي يْذُوقْ

صَالْ بْطَبْعْ شْفَاقَا وَلْطَافَا وَلْبَاقَا

يَخْجَلْ مَنْ شُوفْ الرْمُوقْ

وَحْنَا زُوجْ رْفَاقَا وَالْخَمْرَ دَفَّاقَا

فَ : دْوَاخَلْ غُمْقْ الْغْمُوقْ

فِيكْ الشُّوفْ عْشَاقَا وَبْوُصَالَكْ نَتْرَاقَا

رَافَا يَا شَمْسْ الشْرُوقْ

هذه هي "لطيلعات" ولابد أن يفتتح بها كل مقطع ... ابتداء من المقطع الثاني من القصيدة ... وهي بطبيعة الحال ليست على وزن القصيدة ...والقصد أن لا تكون على وزن القصيدة ... إذ الغاية منها تكسير الرتابة باستمرار ... حتى لا يتسرب الملل لا للملقي ولا للمتلقي وتحل "لعروبيات" محل "لطيلعات" في بعض الاوزان ، و "العروبيات" هي على هذه الشاكلة .

هَلْ يَامَنْ درَى هَمُــومْ قَلْبِي تَتَّجلَى   لَمَّا يَتْدرَقُوا وجَاعِي وِيــزُولُــوا

مَاتَبْقَى تَاكْبَة عْلَى قَلْبِــي دبْــلاَ   وَالْقَصدْ اللِّي طَلْبَت نَضْفَرْ بُوصولُوا

نَسْتَيْقظْ لَلسْــرُورْ مَنْ نُومْ الْغفْلَة   لاَ حَاسدْ لاَ رقِيبْ نَخْشَى مَنْ قَــولُو

نَحمَدْ رَبْ السْمَــا ونَسْجدْ لَلْقبْلَة   ونَقُولْ الْيُومْ عَادْ صادَفْتْ قْبُــولُو

عَانَتْنِي قُوتُو وصَارخْنِي حوَلُو

وبانتهاء "**لعروبي**" ب : "**الرَّدْمَا**" .. أي الشطر المفرد ... يعود الشاعر الى وزن القصيدة الاصلي :

مَا انْتَاشِي غَايَبْ نَرْجَــاكْ يَا الْجلِــيلْ   ولَّا انْتَاشِي عَاجزْ تُعْذَارْ يَا الْمَوْلَى

قْرِيبْ حَاضرْ نَاضرْ مَعْطَى حْسَانَكْ جْلِيلْ   تْقَدْ تَشْفِي مَنْ ذَاتْ الْعبَدْ كُلْ علَّة

الْبْدَانْ ضْعِيــفَة وَالْحمَلْ جَايَرْ ثْقِــيلْ   وَالْخْلاَيَقْ مَا تَعْذَرْ حَالْ مَنْ التَّبْلاَ

إلى آخر المقطع .

إلا أن "لعروبيات" ـ وقد استوردتها الحواضر من البوادي وبالضبط من نواحي الغرب ـ لم تستعمل فقط كمطيلعات خفيفة للتنويع داخل القصائد ، وإنما استعملت أيضا كأوزان لمقطوعات قد تطول الى أن تصل لمائة بيت ، وقد تقصر حتى لا تتعدى البيتين أو الثلاثة ...وهكذا أصبحت "لعروبيات" هي المجال الرائع لصياغة المعنى الجميل ، والتمثل البديع والخاطرة العجيبة ... ومع أن هذا الفصل لا يبحث المضامين ، وإنما يبحث الشكل ...

مع ذلك لا بد من تقديم نماذج من "لعروبيات" التي تتداول بين الناس وحدها وليس داخل قصائد ... اقرأوا معي مثلا هذه الخاطرة .

مَثَّلْتْ الْعمْرْ فِي كــلاَمِي لَلْكبُّة   وَالْكُبَّة رَاهْ زَاوْطُوهَا مُورْ الْحيطْ

أُورَاسْ الْخيطْ خَرْجُوهْ مَنْ النُّكْبَة   السدَّايَا نَاوْيَا فَ : الْغزَلْ يَشْيطْ

مَا فَطْنَاتْ إمْتَى وْصلْهَا رَاسْ الْخيطْ

هذا هو "لعروبي" ينتهي بانتهاء الفكرة ، أو الخاطرة ... أو الانفعال المفاجئ ، أو الحالة الشعورية الطارئة . لا يجزأ الى مقاطع لا يحتاج الى لازمة ... ليس عليه أن ياتي بعدد معين من الابيات .

تَمْلِي تَمْلِي بْصِيرْتِي قَلْبِي يَنْسَخْ　　　مَا فِي عَلْمْ الْغْيُوبْ طُولْ الدَّاجْ نْسِيخْ

وَالْفَكْرْ قْرَاوْمَا قْرَاهْ بْدَا يَرْسَــخْ　　　عَلْمْ الْبَشَارْ فِي عْمَاقِي عَلْمْ رْسِيــخْ

مَنْ طَلْ عْلِيهْ لاَزَمْ يَنْفَسَخْ وِيسِيخْ

ليس في جيلي من لم يستمع الى هذا الوزن وهو في المهد ، أو على ظهر أمه ، أو في أحضانها .

دَارِي دَارِي .. يَاسَكَّاتْ الدْرَارِي　　　سَكَّتْ لِي اوْلِيدِي ... يَا نَعْمْ الْبَارِي

النُّوضْ انْشُوفْ لاَشْ مَحْتَاجَة دَارِي

كان يستعمل هذا الوزن في كل نواحي الغرب ولا يزال ، في توديع العروسة وهي تغادر خيام أهلها متجهة إلى خيام زوجها ... وتتخلله كلمة "ويو" وحرف "نا" يتكرر وفق نغمات ايقاعية متفق عليها .

وَاخَيْمَتْ بُوكْ الْغَادْيَا خَيْمَتْ بُوكَا　　　وَاصَدِّيتِي خْلاَصْ وَاشْ جْرَاوْ عْلِيكْ

على كل حال استعمل هذا الوزن لهذا الغرض ... كما استعمل للامداح النبوية ، ومناقب الهادي بنعيسى ...ومن أراد أن يستمع الى شيء منه في عصرنا الحاضر ، فليذهب في المولد النبوي الى "مكناس" ويقصد ضريح سيدي بنعيسى ، ويبحث عن حلقات "غرباوا" في فناء الضريح ...وسوف يستمع الى إبداعات في هذا الوزن ، وكيف تلقيها أصوات شجية من الجنسين تخنقها العبرات ... وتتلاحق فيها الشهقات .

هذا وإن "لعروبيات" في بعض جوانبها ، لمن أصدق المراجع وأوثق المواثيق في مجال التاريخ لشعراء الملحون ،والتعرف على بيئة كل واحد منهم ، وظروف حياته ، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد .

ذلك لا نهم اختارو أن يتراسلوا فيما بينهم ، ويسألوا عن أحوال بعضهم ، بهذه العروبيات ، وليس بالقصائد أو السرابات ، بل أن بعضهم جعل من "لعروبيات" ... شبه مذكرات ، يسجل فيها الاحداث والوقائع سواء منها التي عاشها هو ... أو التي عاشها غيره ، وشاهدها أو حدثوه عنها .

خلاصة القول أن سجل "العروبيات" يبق هو السجل الحافل بأعرب المفاجآت ، وأروع المعاني والتمثلات ، وامتع الطرائف ... والمستملحات ... والدعابات ... ويحتاج وحده الى أكثر من كتاب لتوثيقه كما ينبغي .. التوثيق بل أن منظومة واحدة من منظوماته المطولة كأبجدية بوخريص ، أو نورانية مريفق تحتاج الى كتاب :

أَلِيفْ الاَسْمْ الاعْظَمْ نَايَرْ لَالاَءْ　　　بِهْ اسْتَفْتَحْتْ قَرْبْ اَمَنْ هُو نَائِي

لاتَتَنَّا عْلَ الْخِيرْ وَلِلْخِيرْ امْرَانِي

بَالَكْ تَبْقَى فْرِيدْ بِينْ النَّاسْ غْرِيـــبْ   اتْغَرَّبْ يَالْخُو الْغُرْبَا لَغْرِيبَــــا

وَنْتَامَا بِينْهُمْ لَمْوَنَّسْ لَحْبِيــــــبْ   حَاضَرْ وَنْتَ فْ عَزْ حَالاَتْ الْغِيبَا

هَبْ نْسِيمْ الصَّبَاحْ بَرْوَايَحْ طِيبَا

وهكذا تمضي أبجدية بوخريص من حيث الشكل : حرف الالف ببيت واحد وديل حرف الباء ببيتين وديل ... حرف التاء بثلاثة أبيات وديل ، وهكذا يمضي الرقم في التصاعد ... الى أن يصل في حرف الياء الى أزيد من ثلاث مائة بيت ... أما مضامين المنظومة فهي لا تكاد تغفل عن أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا ، ولكن بشاعرية رفيعة جدا جدا ...

لكم يعجبني عندما يوظف الامثال العامية في هذه المنظومة الجميلة :

النَّفْسْ الْخَامْدَا اشْ كَاتَعْمَلْ بِهَا ؟   الْيَدْ الْبَارْدَا عْلَى الزَّنْدْ كْوِيهَا

☆✪☆

لاَ تَحْفَرْشِي لْخُوكْ حَفْرَا فِي جِيهَا   أَنَا خُوفِي عْلِيكْ لاَ تُوقَعْ فِيهَا

أما .. السارحا .. هي باختصار : الخاتمة التي توضع لا بداعات ... "مكسور جناح" و "السوسي" والتي لابد وأن تكون من أوزان "الملحون العمودي" : "لبيت" .

ذلك لان إبداعات "مكسور جناح" وإبداعات "السوسي" - كما سبق وأن رأينا - تبتعد في شكلها عن "الملحون العمودي" ولكنها في النهاية لا بد وأن تعود إليه بأبيات مطولة تسرح ، وتسرح حتى لا تكاد تنتهي .

وأجتزئ المقطع الاخير من "طير بنسليمان وهو من " مكسور جناح" والسارحة التي تصل القصيدة بأوزان الشعر العمودي ، وما اخترت قصيدة "الطير" بالذات الا لان .. "السارحا" التي تأتي في آخره هي أقصر سارحة من بين سائر "سوارح" "مكسور جناح" حسب ما بلغ علمي .

المقطع الاخير من طير بنسليمان

مَنْ لاَ يكُونْ فَارَسْ مَا يَدْخُلْ لَلزْحَامْ

قُولُوا لْمَنْ دْعَا بَالْعَلَمْ الْمَوْهـــُوبْ

يَعْتَبَرْ ... وِيقَصرْ .. وِيتُوبْ

جَايْحَارَبْ مَا طَاقْ حَــرُوبْ

رَاحْ مَغْلُـوبْ

رْضَا لْهْرُوبْ

وَنْطْفَى مَصْبَاحُو

السْفِيهْ الْوَغْدْ الْمَفْضُوحْ

الى هنا وتنتهي الوحدة العروضية التي قام عليها المقطع ... لتبدأ السارحة وهي في أحد أوزان "لرما المثنية"

كُلْ حَرْبْ عْقِيدْ الْعَلْفَا دْرَاوْنِي صَبَّـــاحُو فَـ : الْوْغَا رَاكْبْ شَلْوْ جْمُـوحْ

كُلْ مَنْ شَالاَ وِيحُوهَانْ بَالْعْمَرْ وَسْلاَحـــُو كَانْ عَاشْ نْتْرَكُو مَشْبُـــوحْ

بَالشْجَاعَا يَشْهْدْ لِي كُلْ مَنْ فْخَرْ بَـ .. سْلاَحُو فَـ : الْعْرَبْ ، وَسْوْدَانْ وَشْلُوحْ

الْطَالَبْ طِيرْ عْلاَ مْعَا الاطْيَارْ وَرَاحـــُو فِيدْنِي وَاشْ الْيُومْ يـــرُوحْ

ذلك هو شكل السارحة ... وهذا هو مكانها ، تختم بها عادة ... ابداعات "مكسور جناح" و "السوسي" وهكذا يمكن القول : أن "السارحة" صلة من الصلات الثلاث ، التي توصل "مكسور جناح" و "السوسي" بالمدرسة الام ... مدرسة الملحون العمودي كما تركها بنحسين وجماعته "الرواح ، اللازمة" وأخيرا، "السرحا" ، سنرى في فصل الاغراض أن ... سيدي عبد القادر سوف يكسر هذه القاعدة ، ويطلع على الناس بإبداعات "مكسور جناح" من دون سارحة ، بل وسيأتي بعده بنسليمان بإبداعات من "مكسور جناح" . ليس فيها ... لا "رواح" ولا "لازمة" ولا "سارحة" ولكن الشعراء الذين جاءوا بعدهما وصفوا إبداعات الاول ب : "المقروطة وإبداعات الثاني ب .. الصياديا .. وعملا بالمثل الشعبي القائل :"اجديد يلو جدا ، والبالي لا تفرط فيه ، تركوا مدرسة بنحسين حاضرة باستمرار ، لا في مدرسة ولد بوعمر "مكسور جناح" ولا في مدرسة "متيرد" " السوسي" أي تعاملوا معها حتى الآن من داخل "لرمات"و "القياسات" ولعل أخر اصطلاح يهمنا أمره هو : "اقياس مشرقي" وهو "القياس الثاني من "لرما المثنية" وشكله هكذا .

هَبّت رْيَاحْ الْغِيثْ عْلَى غصَانْ الانْوَاحْ سَرْهَا يَسْرِي سَرْى الرَّاحْ فَالْجْوَارَحْ

سبق القول : أن هذا الوزن من أحد أوزان الشعر الشعبي المحلي في المغرب الشرقي . لا أعرف على وجه التحديد متى استقام نظم الملحون في هذا الوزن ، كل ما أعرفه هو أن المصمودي كتب فيه أكثر من قصيدة وكذلك المغراوي ، وكلاهما عاصر السلطان العلوي الحازم ، مولاي اسماعيل الذي كان يعاصره الى جانبهما ، بل ويلازمه في الحل والترحال الشاعر الفحل ... بوعثمان .. ، وهو الذي كتب في مديح مولاي اسماعيل ، مالا يقل عن الف بيت من الشعر ، كلها على هذا الوزن الذي تبنته مدرسة الملحون ، كما تبنته مدارس أخرى سوف يأتي معنا ذكرها أو ذكر بعضها على الاقل ... إنما قبل ذلك لا بد

من تسجيل بعض النماذج من شعر هذا الوزن ... الذي جاء منه "قياس مشرقي" وسوف نختار النماذج من شعر رائد المدرسة ... أبو سعيد بوعثمان"

يقول عن نفسه :

أنَا نَا بَغْتْ الزْمَانْ ف جِـــيلِي فَدْ	بُوعثْمَانْ مْغَصْ لَلْجَاحَدْ فـ : الرِيــقَ
حَامَلْ رَايَتْ هَل الشْعْرْ أرْبَاب الْمَجْدْ	لَلدرْ الَى غَصَتْ مَالِي حَدْ رْفِيـــقْ
شَاعَرْ عَصَرْي حَقْ لَكِن خَانْ السَعْدْ	وَالَّلِي خَانُو السَعْدْ عَاجزْ وَاشْ يْطِيقْ

يقول في مديح السلطان مولاي اسماعيل :

مُولاَيْ اسْمَاعِيلْ الاسْمَاسِيفْ النَصرْ	مَنْ بِهْ رْحَا الْحَرْبْ فـ : الْمِيدَانْ تْدُورْ
غِيثًا لَلْمَلْهُوفْ يَـــا كَنْزْ الْمَـدْطَرْ	يَا جَابَرْ مَنْ شَافَتْ ارْمَاقُو مَكْسُـورْ
انْتَى السَفْرَ الْجَامَعَا الْحَكْمَا كَالدَهْـرْ	فِيك عْلُومْ وبْكُلْ مَحْمُودًا مَذْكُـــورْ
سِينَكْ سَرْ ، وَمِيمَكْ امَانْ مَنَ الْمَكْـرْ	وْعِينِيَكْ عفُوْ وْلاَمَكْ الْيَانَا وَســـرُورْ

ويقول في أخرى عن مولاي اسماعيل أيضا :

يَا عَنْتَرْهَا حِـــينْ تَتْهَيَأْ لَلْحَـزْمْ	يَا حَاتَمْهَا فِي غْلاَوْتْ سَغْرْ السُـوم
يَاحَجْرًا سَعْدْ جَادَبْ الطَأيَفْ لَلْتَمْ	يَا بَدْرْ زْهَرْلاَحْ مَنْ قَبْلاَ مَتْمُـــومْ
يَاسِيـفْ يَمَانِي يْشُقْ صَلاَدْ الصَمْ	يَارَمْحْ ارْدِينِي عْنَ اعْدَاتَكْ مَشْؤُومْ
يَا قَسْوَرْ فِي زَهْرْتُو لَلسَمْعْ اهْـزَمْ	يَا زَهْلُولْ رْقَطْ الَى يَنْحَازْ غْشُـــومْ

ويقول في أخرى عن السلطان مولاي اسماعيل كذلك .

انْتَ الدرًا الوَاسَطَةَ فِي عَقْدْ الْمَهْوْ	نُورَكْ فِي جِيدْ الزْمَانْ الشَهْبْ شْعِيلْ
يَلْقَى سَيَّتْ مَنْ خْطَا عَفْوَكْ بَالْمَحْوْ	يَصَفَحْ حلْمَكْ عَنْ كْبَا يَرْغَى الْقِيـــلْ
سِيفَكْ يَهْلَكْ مَنْ تْعَدْ الوَلاَ الْعَفْـوْ	يَسْبَقْ بَطْشَكْ وِينْ مَالْ مْعَاهْ يْمِيـــلْ

حَتّى صَارْ الذَّنْبْ عَنْدْ حسَانَكْ حُــلْوْ ـــ مَايَخْشَى مَكْرَكْ مَنْ الْجِيرَانْ نْزِيــلْ

انْتَ مَتْوَا الصفْحْ فَـ : الدنْيَا وَالْعفْــوْ ـــ مَا تَحْرَمْ مَنْ فِيضكْ الْقَاضِي كَالنِّيلْ

وَالنَّاكَرْ عَلِي يَسَالْ اصْحَابْ النَّحْــوْ ـــ يَعْرَفْ جمَّانْ الْمَعَانِي بَالتَّفْصِيــلْ

لاَ عَدْمَتْ شَخْصَكْ مَرَاتَبْ دَارْ الزَّهْوْ ـــ وَلاَ فَقْدَاتَكْ عِينْ فَنْهَارْ وَفْ اللِّيــلْ

وأخرى ... وأخرى ... وأخرى انما المطولات السبع ، وكما تركها بوعثمان غرر الشعر الشعبي في كل زمان ومكان .

نعم لشاعرنا الممتاز أبو سعيد بوعثمان قصائد كثيرة ومتنوعة إنما كلها على هذا الوزن ... ألذي تحول الى أيقاعات حضارية ملحونة وسمي لمشركي ...

هَاجْ فَكْرِي وَالسَّاكَنْ هَاجْ يَا الْحُجَّاجْ ـــ لاَ تْصَدُّوا حَتَّى تَدِّيــوْنِي مْعَــاكُمْ

وهذا الوزن لم يتسرب الى الملحون وحده ، بل نجده في نواحي كثيرة من أرض المملكة : في ناحية صفرو : "المنزل" "لبهاليل" ويسمى "غيوان بن يازغا"

كَانْخَمَّمْ وَلْكِيْت الرَّاسْ كَاعْ خَــاوِي ـــ كَانْمُوتْ وَسْلْطَانْ الزِّينْ كَايــدَاوِي

☆✪☆

كَانْخَمَّمْ وَلْكِيتْ الرَّاسْ فِيهْ لَفْــوَاتْ ـــ شْحَالْ مَنْ كِيَّا فِيَّا دِي عْيُونْ لَبْنَاتْ

☆✪☆

نجده في طرب الآلة :

يَالْوَالَعْ بَالزِّينْ الَى سْخِيتْ بِــــيْ ـــ غِيرْ صَبَّرْ قَلْبَكْ دَبَا يْفَرَّجْ اللَّـــهْ

بل نجد هذا الوزن الذي يسمى "لشرقي" حتى في الاغنية الشعبية المعاصرة .

الْحَبِـــــيبْ اللِّي وَالَفْتُو مْشَا عْلِيْ ـــ مَانْوِيتُو بَعْدْ الْعَشْرَا يْكُونْ غَــدَارْ

والاغنية لمحمد فويتح .

وأنا إذ أقول بقول شيوخي الكرام في انتساب هذا الوزن الى المغرب الشرقي لا أطرح رأيي ، ولا أريد أن أناقش على الاقل في هذا الكتاب .. والا .. فبإمكاني أن أثبت بما لا يقبل الشك : أن هذا الوزن يعود تاريخه الى قيام الدولة المرابطية ، وأن أهل مراكش ، وأهل فاس وأهل تازة كتبوا الجزل المغربي الجيد في هذا الوزن عند قيام الدولة الموحدية ، وفي عهد عبد المومن بن

علي بالذات ، ثم أن التعامل مع الاوزان المغربية ، سواء في الملحون ، أو في غير الملحون ، لا ينبغي أن يبدأ إلا بعد عملية مسح شاملة لكل النغمات الايقاعية التركيبية التي تنبني عليها الالفاظ بلهجة هذه الناحية أو تلك ، لتشكل هذا السلم من الايقاع أو ذاك .

أعطي ألف قصيدة لمن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : هل الجيلالي امتيرد هو الذي فتنه وزن قبيلة "ابني احسن" الذي يتغنى به على ايقاعات "المقس" و "البندير" أو هي "الطارا" .

الصَّلاَتْ عْلَى النْبِي وْنَافِي قَلْبِي حْلاَتْ وَامَنْ لاَيَبْغِيكْ يَالْهَادِي مُولاَكْ

ايشَتَّتُو شْتَاتْ

☆✪★

اشفر اللِّي عْلِيهْ سَمَّاوْ النَّاسْ زْمَانْ بُوشْفَرْ اشْفَرْ اللِّي شْحَالْ مَنْ وَاحَدْ شدّْ عْلِيه بَالْغدَرْ

اشفر اللِّي شْحَالْ يَقْتَلْ وَشْحَالْ يَقَصْفْ الْعَمْرْ مَا نَا مَنْ فِيهْ مَا نْحَادِيهْ مَنْ صَغْرِي التَّا لَلْكْبَرْ

☆✪★

بين الصدر والعجز ترديد جماعي "وَاكَالْ الدّيْ يَاوْلِدِي"

قلت : هل "متيرد" هو الذي أعجبه هذا الوزن من "ابني احسن" فاختاره لقصيدة "الطير"

طِيرْ امْشَالِي ولاَعْرَفْتُوفِينْ مْشَا سَابْغْ الاشْفَارْ

تَجْمَعْنِي بِهْ يَا الْمُولَى طَالَتْ بَالشُّوقْ غِيبْتُو

كما أن عند ابن حسن ترديد جماعي هو "وكال الدي ياولدي "بين الصدر والعجز ... كذلك عند أمتيرد جملة اعتراضية هي "قدفد بجوانحو وطار" وأعيد السؤال هل "متيرد" هو الذي اختار وزن "ابن حسن" لقصيدة الطير أم أن "ابن حسن" هم الذين اختاروا وزن "الطير" لشعرهم الشعبي المحلي ؟ كل ما أعرف هو أن "بن حسن" وأهل الملحون لا يزالون يبدعون في هذا الوزن الى يوم الناس هذا ، بل أن أهل الملحون نوعوا فيه و لونوا .

أَنَا الْمَشْرِي بْلاَ مْزَايَدْ وَاللاَّيَمْ فَالْمْلاَمْ زَادْ : "زَايْدًا " للتهامي لمدغري
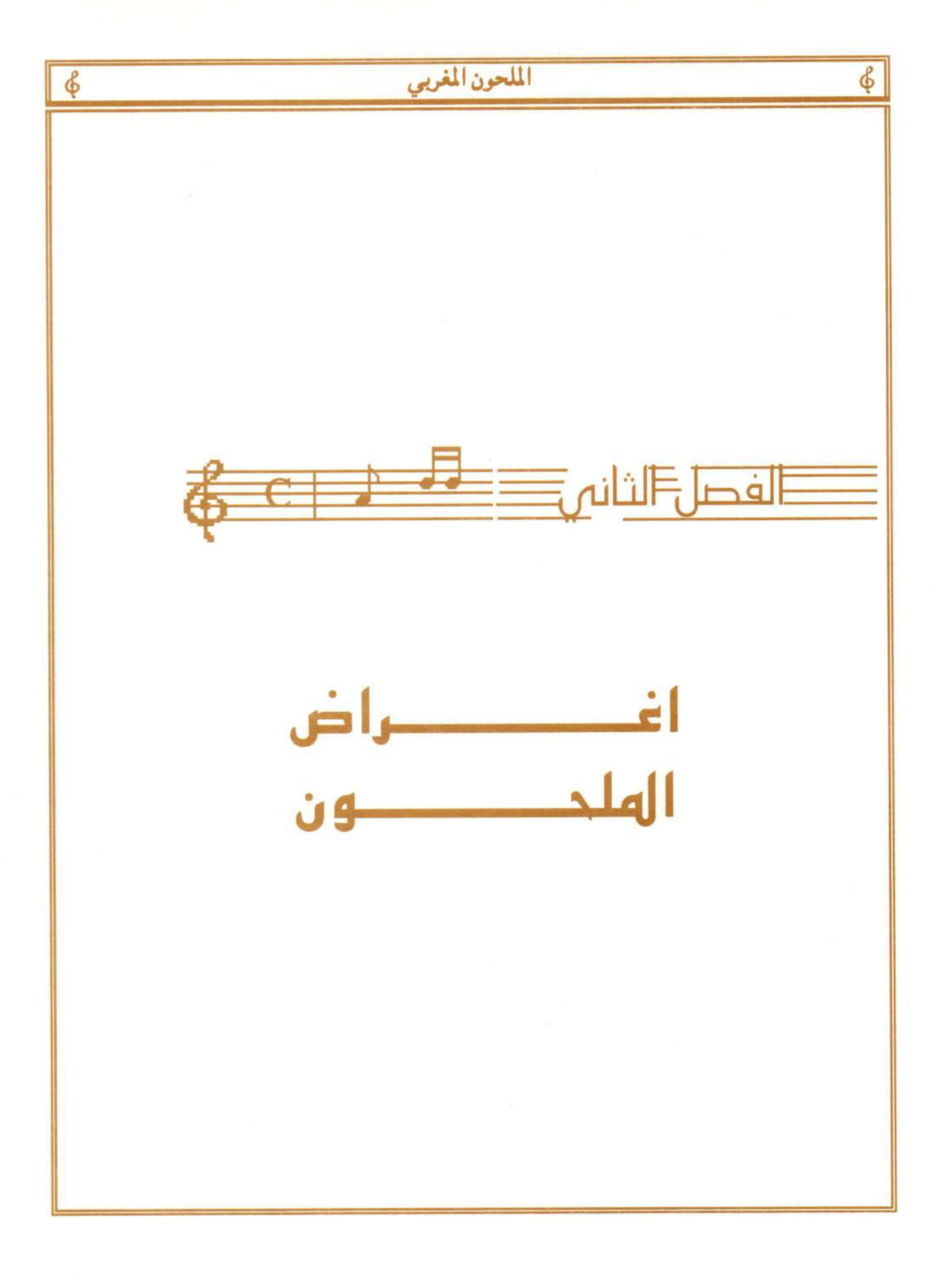
سلّتَكْ بِبْهَاكْ يَالرَّايَحْ .. مَالَكْ سكْرَانْ دُونْ رَاحْ :"فارحا" لنفس الشاعر

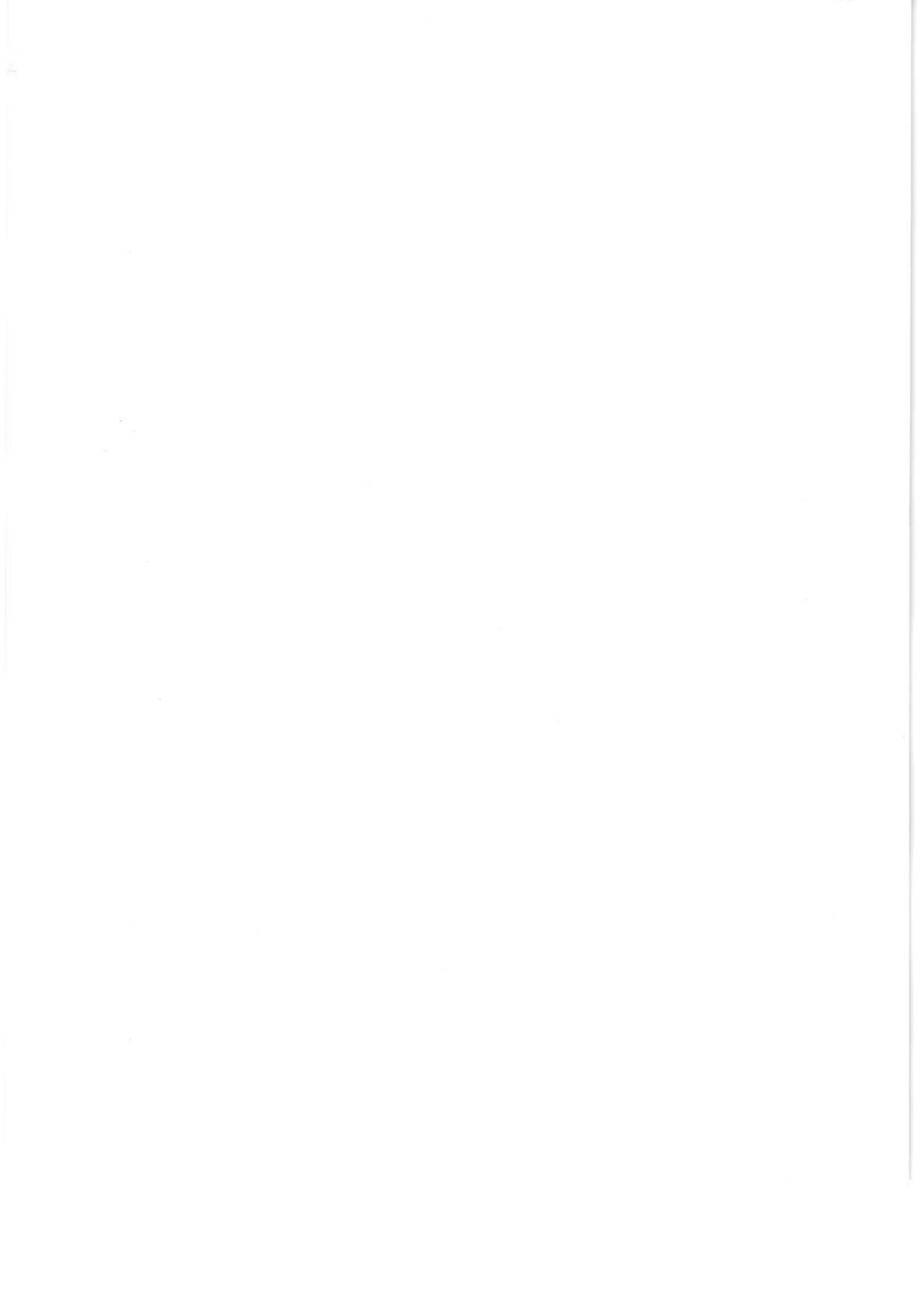
أَسَادتِي اوْلاَدْ طَهَ بَرْضَاكُمْ عَالْجُواْ الْحَالْ:"الاشراف" للحاج إدريس بنعلي

دَابَا يَعْفُو الْلَّهْ عَنِّي وَنْعُودْ مْلاَزَمْ الْفَجَرْ : "الخمس أوقات" ل : أحمد الراس بل أن جدور الوزن الذي أقام عليه الجيلالي امتيرد الحراز ..والذي يستعمله حتى الان من أراد أن يكتب في موضوع الحراز ... هو من "العيطة الحوزية" ولا أقول : المرساوية ،أو الحصباوية ، وإنما الحوزية لقد استمعت الى "الشيخة بريكا" سنة 1942 تغني "طالق المسروح" للتهامي لمدغري ، وهي من السوسي ، أي من النثر الفني في الملحون ـ ولكن بطريقة العيطة ، لا على طريقة الملحون ، وبعد ذلك بسنة . أو هي سنة ونصف ... استمعت الى الشيخة العرجونية تغني "الهَادِي يَا الْهَادِي" بطريقة العيطة ، وهي أيضا ملحونة ـوعلى وزن طالق المسروح فابدعت كما لم تبدع الشيخة بريكا .. مع حنكتها وتجربتها وتمكنها من العزف على الكمان ، كذلك قال "حماد النشار" وهو أستاذ "المرشال" في العزف على الكمان ، ولماذا الرجوع الى الوراء وبيننا المهدي بلعباس يغني سائر إبداعات النثر الفني على أنغام وإيقاعات العيطة الحوزية الى يومنا هذا ، وإذا مات ـ متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر ـ مات آخر أمل في إعادة ربط الصلة بين الملحون والعيطة كما كانت من قبل .

يكفي هذا القدر من الايضاح فيما يتعلق بالشكل في فنون القول الملحون ، وننتقل الآن الى المضمون .




الملحون المغربي
الفصل الثاني
اغراض
الملحون



※ أغراض الملحون ※

اغراض الملحون عشرة:

التوسلات الالاهية ، والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية "الربيعيات" ، العشاقي ، الساقي ، الترجمة ـ لعراض ، الهجاء ـ الرثاء . وتتفرع عن هذه الاغراض ، أو عن بعضها على الاقل ـ موضوعات وموضوعات ، ربما ضاعفت هذا العدد ، مثلا نجد في التسولات الالاهية موضوعات أخرى مثل "الحيرة" و "الغربة المعنوية" و "لغزالموت" وفي الامداح النبوية نجد "الشعر الملحمي" الطويل النفس "بدر" ، "حنين" ، الخندق .. أما الوصايا .. فكلها مفاجآت .. أما الربيعيات .. فهي شعر الطبيعة في الملحون ، وفيه كل ما في الطبيعة المغربية من بدائع الحسن ، و روائع الجمال .

وتبقى كل هذه الاغراض ، وما تنبني عنها من موضوعات قديمة جدا جدا بالنظر الى ما آل إليه أمرها في الملحون المعاصر ، وقد اتجهت اتجاهات أخرى بل وظهرت أغراض وموضوعات لا عهد لنا بها في الملحون القديم .

فمن قصيدة "ملاكة" وقد كتبها الفاسي المراكشي الحاج الحسن بنشقرون سنة 1936 ، الى قصيدة "اليتيم" وهي التي كتبها "المراكشي السلاوي عبد المجيد وهبي" سنة 1976 .

في هذه العقود الاربعة ، ظهرت أغراض وموضوعات ، تضاعف الاغراض والموضوعات القديمة أضعافا مضاعفة .

فعرشيات مولانا محمد الخامس التي افتتحها الحاج الحسن بنشقرون بقصيدة "ملاكا" ، وصلت في عيد العرش الفضي 1952 الى أزيد من أربع مائة قصيدة ، استنسخها جميعها "عبد الواحد العصفوري" وكان يقرأ منها ـ في حضرة شيخنا رحمه الله ـ بعض القصائد من حين لآخر .

أما منفى مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فحدث عما كتب فيه من ملحون نضالي ولاحرج ، وحسبي أن أسجل هنا أن القصر الملكي بالرباط ، قد تحول في أيام المنفى إلى أطلال :

"يَبْكِي فِيه الجَّامُورْ والتّْفَافَحْ " على حد تعبير العيساوي الفلوس

"كَايَبْكِيوْا اشْجَارْ ومْعَ اطْيَارُه، وَازْهَارْ وَلاَ عْبِيرْ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس ، من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة ـ سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معنينو وغيرهم ـ على أن يصحبوهم في زيارة ل : "تواركة .. قصد .. البكاء على الاطلال :

"يَبْكِي فِيه الجَّامُورْ والتّْفَافَحْ " على حد تعبير العيساوي الفلوس

"كَايَبْكِيوْا اشْجَارْ ومْعَ اطْيَارُه، وَازْهَارْ وَلاَ عْبِيرْ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس

من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معنينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : "تواركة ..قصد .. البكاء على الاطلال

جِيتَكْ يَا قَصرْ الْمَاجْدِينْ صِبْتَكْ خَالِي مَقْفُورْ

سكَّانَكْ جَابُونِي نْزُورْهُمْ لَلَّهْ وَايْنْ سَــــارُو ؟

وَاعْطِينِي الاخْبَارْ

ويضل يتساءل في شجن ، تماما كما تساءل امرؤ القيس من قبل إلا أن الاطلال غير الاطلال ، والقصد غير القصد والخطب فضيع والامر جلل .

وفي هذه الفترة بالذات .. ظهرت قصائد أخرى في زعماء الحركة الوطنية من أمثال بلحسن الوزاني ، وعلال الفاسي ، وعبد الخالق الطريس .. بل وظهرت قصائد أخرى شبه أسطورية في وصف بطولات أبطال الفداء ، من أمثال : الزرقطوني ، والفطواكي ، والحنصالي وغيرهم وغيرهم من رجال المقاومة .

صحيح أن بنعلي ولد أرزين عبر عن تضامن المغاربة مع العرب والمسلمين في حملات "نابليون" على مصر : "مَا شَاءْ اللَّهْ عْلِيكْ يَا مَصرْ" وصحيح أن من لا نعرف من هو - لان القصيدة فيها بتر لا تخلو منه نسخة من نسخها - كتب في نهب العلوم والمعارف العربية من مدينة الاسكندرية : "نَهْبُو دْخَايرْ الضَّاضْ".

ولكن ما كتب خلال هذه العقود الاربعة ، يفوق الحصر .

فقصائد "فلسطين" جمع منها الحسن اليعقوبي رحمه الله مائة قصيدة وقصيدة ، وقال معلقا " إنها بعدد حبات السبحة .

وقصائد الزعيم التونسي لحبيب بورقيبة : هْرَبْ لِيهُمْ مَنْ سُوسَا" العربي لبرادعي ، مكناس .

"خَادُوهْ الْمَاكْرِينْ " مولاي قدور البلغيثي فاس

" لَعْقَابْ حَطْ عْلَ لَحْمَامْ" العربي معنينو سلا

وقصائد جميلة بوحيرد - وقصائد "قراص الفضا"

استسمح ، فلقد ابتعدت بعض الشيء عن الموضوع ، وعذري هو أن قصاذد هذه العقود الاربعة هي السجل الحافل بكل إنجازات الوطنية الصادقة الحقة ، التي واكبها رجل الملحون ليس بمعايشتها فقط ، ولكن بتحليلها أيضا .

وهي الديوان الذي يعبر بصدق عن تضامن الانسان المغربي - العربي -المسلم ... مع الاخوة في العروبة - والاخوة في الدين فأنا لم أذكر مثلا قصائد الدعوة الى العلم ، بما فيه التقنية .

اقْرَأوْا الْعِلْمْ صَغَـــــارْ بِهْ تَدْرَكُوا لَمْزَيْـــــا

الرَّادْيُـــــو مُولَاهْ صَانْعُو بَالْعَلْمْ للْخَبَـــارْ

زِدْ جَتْهَدْ وَقْـــــرَا

ولم أشر الى قصائد أيام الحرب "البون مثلا".

نَاسْ السَّرْبِيسْ يَاهلِي صبَّارَا مَا تْخَافْ مَنْ دوَّارَا بنعمر " مراكش

ولا قصائد "طيفوا الضو"

غَلَقْ الابْـــوَابْ وَالشْـــرَاجَمْ لَا تَتْرَكْ ضَوُكْ يَظْهَرْ

لَا تَمْطَرْ عَنَّكْ الْكَـــوَرْ

لم أنتبه الى ما آل إليه امر المرأة عند الشاعر المعاصر .ذلك لان شاعر الملحون القديم كان يتعامل مع " نؤوم الضحى" لكن شاعر الملحون اليوم يتعامل مع التي تزاحمه في حافلات النقل الحضري صباح مساء ، لانها كادحة مثله وتناضل الى جانبه من أجل الغذ الافضل ... والتوسلات ، والامداح ، وشعر الطبيعة ، كل ذلك وغيره قد تحول ، ولكن الى أحسن ، الى أروع ، بل الى حيث لا يبقى أي مجال للمفاضلة . لذلك لم أدرج الموضوعات الحديثة ضمن الاغراض القديمة ، حتى لا يقع الخلط وحتى نستطيع أن نتعرف على ما كان في الماضي لنرى على ضوئه ما جد في الحاضر .

ف "حسنيات الملحون المعاصر" وحدها تحتاج الى أكثر من كتاب وكذلك "أدب المسيرة" والمؤتمرات ، افريقية كانت أم عربية أم إسلامية .

على كل حال ، كل ما جد في "فنون القول الملحون"، سواء في الشكل أو في المضمون، سنتناوله إن شاء الله في الجزء الثاني من الكتاب بالطرح الذي يلائمه ويناسبه . أما الآن،فإلى الاغراض العشرة .. وكما تركها القدماء .



"التوسل" ويجمعونه على : "توســــــلات"

إنه غرض من أغراض الملحون يشمل قصائد الندم والتوبة ، وقصائد التضرع والاستغفار ، وقصائد التسبيح والحمد ، وقصائد الشكر والامتنان .

وكم في هذه القصائد من مناجات روحية عالية جعلها الصدق غضة باستمرار ، وكم من ابتهالات قلبية رفيعة تركها الشوق طرية الى الآن ، وكم من بوارق ولوامع وسوانح وإشراقات ، وكم من سياحات تخترق الحدود ، وتحليقات تعلو فوق الوجود ، فيتلاشى الزمكان ويفنى الشاعر الولهان ، ولا يبقى إلا الملك الديان .

هذا هو : "التوسل" الغرض الاقرب الى الارواح والقلوب ، من بين سائر أغراض هذا الفن المحبوب .. بل انه رياض الارواح والقلوب ، فيه تمرح وبه تنتشي .

وليس من بين فحول شعراء الملحون ، من لم يكتب في هذا الغرض ولو قصيدة واحدة على الاقل ... وحتى أولئك الذين لم يكتبوا في هذا الغرض قصيدة كاملة ـ وهم قلة نادرة ـ نجدهم يخصصون له أبيات في جل قصائدهم .

ف : "التهامي لمدغيري" مثلا لا نعرف له أي توسل ... ولكن قصائده العاطفية وقصائده في وصف الربيع لا تخلو من أبيات في "المناجات" يقول في بعض أبيات "زهراء" .

يْجُودْ وِيصْفَحْ عَنْ ذَنْبِـي وَوْزَارُو   السَّتَّـــــارْ يْجـُـودْ وِيسْتَرْ

مَا كِيفْ سْتَرْتُو لْعَبْدُ وَسْتَرَا

ويقول في بعض أبيات "الربيعية"

وَاجَبْ انْحَمْدُ وَنْشْكُرْ وتْبَارَكْ اللَّهْ   عْلَى النْعَايَمْ لَكْثِيرَا ربّْنَا عْطَاهَا

وفي بعض أبيات قصيدة "الجفن"

مَاعْلم مَابِيْ إِلاَّ الْكْرِيمْ وَحْـــدُو   عَالَمْ عْلَى حَالِي لَنُّو خْبِيرْ وَاحَدْ

أما الذين كتبوا قصائد كاملة في هذا الغرض ، منهم : "ولد بوعمر"

أهْلَ الْبْهَاحْمَاقُو رَدْ الْـــوَلْهَا   مَنْ شْعَا مَنْ شَعْشُوعْ الكَامَلْ الْبْهَا

ومنهم "الحمري"

زَخْرَفْ رَوْضْ جْنَــــانِي   وَشْمَسْ جْنَانْ فِيهْ اللِّي فِي قَلْبِي الآنْ

ومنهم بنسليمان ، وسوف ندرج قصيدته : نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي ، ومنهم "لكراري" النطق بالترقيق .

يـــــارَافِعْ السَّمَـــوَاتْ عْلِيَّ نُبْ   لاَ تْحَافِيـــنِي بَذْنُوبِي امْحِي اوْزَارِي

ومنهم بنعلي المسفيوي ، وقصائده في "المناجات" كثيرة ، أذكر منها على سبيل المثال :

لاَإِلاَهَ إِلَّا اللَّهْ ذْخِيرتْ الاسْـــلاَمْ   لاَإِلاَهَ إِلاَّ اللَّـــهْ كَلْمَـــا مَشَــرْفَـــا

ومنهم ومنهم ... إلا أن خير من أعطى العطاء الغزير في المتقدمين "سيدي عبد القادر العلمي" وفي المتأخرين شيخي الجليل سيدي ادريس العلمي .

وسوف أرجيء التعامل مع شيخي الى الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله أما سيدي عبد القادر العلمي فسافتتح هذا الغرض ببعض قصائده سبق القول أن سيدي عبد القادر عاصر الملك العلوي الورع مولاي سليمان :

كتب في هذا الغرض :

"يَا مَنْ ابْلاَنِي عَافِينِي " "يَا كْرِيمْ الكُرَمَا غِيثْنَا بْفَرَجْ " "يَالشَّافِي بَحْكَمْتَكْ حَالْ كُلْ مَضْرُورْ" .

"مَنْ صَرْخَتُو لَحْمَاكْ قْرِيبَةْ" وهذه هي القصيدة التي سنبدأ بها قصائد هذا الغرض :

" الصرخا " لسيدي عبد القادر.

ولعل من نافلة القول أن أقول : أن ليس في الملحون القديم كلمة لا تقوم على جدر عربي ... اللهم إلا النادر جدا جدا ، والنادر لاحكم ... من هذا النادر مثلا :

"لبرا" أي "الرسالة" فهي من "تمازيغت" وأصلها "تابرات" وهي عند المصمودي .

صيفطت للغزال براتي " أو " فالطا " أي " خطأ " وهي اسبانية يقول ح فضول في "المحبوب"

"نَاسْ اللَّ يَرْضَاوْا "فَالْطَا" ، أما ماعدا هذا النادر ، فكل ألفاظ الملحون من أصل عربي ، وعنوان هذه القصيدة "الصرخا"

و"الصرخا" من الاستصراخ أي طلب الاغاثة السريعة ، وفي القرآن الكريم :

"فاسْتَصْرَخَهُ الذِي مِنْ شيِعَتِه ... الآية "أي استغاث به .

"عَشْقْ الْجْمَالْ طَبْعْ غْرِيزْفْ مَنْ هُو لْبِيبْ"

عشق الجمال ... طبع غريز أي خلق متجدر في : "مَنْ هُو لْبِيبْ" أي ذارقة وشفافية ، وهو هنا لا يخصص وإنما يعمم "عَشْقْ الْجْمَالْ" جمال الطبيعة ، جمال الكائنات" جمال الاخلاق ، جمال الخير ... جمال الحق .

عَشْقْ الْجْمَالْ طَبْعْ غْرِيزْفْ : مَنْ هُو لْبِيبْ

وِيحَسْ بِه وَسْطْ قْلِيبـــــُو (ديما معاه نعت احبيبه)

كَالْمِسكْ الدكي فِي جِيبـــــــوُ

وَمْوَالْفَا النَّفْس بْطِيبــــــــوُ

وَالْوِجدْ رِيـــــحْ غَــــــــلاَّبْ

مْتْــــــرُوكْ فــــيهْ لَعْتَـــــابْ

مُولْ الشْرَابْ يعُذْارْفْ حَالْ الْغِيبَةَ   دَايَعْ بِهْ هْوَاهْ

مَا يمَيّزْ دَاهْ مْنَ ادوَاهْ

الانبهار ، الانجداب ، التواجد ، الشكر ... على كل حال نقد القصيدة بهذه الكيفية ، ربما اتلف معالمها ... وعليه ...فسنعمل بقول القائل "إذا ظهرت المعنى فلا فائدة في التكرار .. فلقد قرر في البداية أن عشق الجمال من الطباع التي لا يتصف بها إلا أصحاب الرقة ، والرهافة ، والشفافية ... والحب عنده نتيجة العشق ... فإنك تحب ما تعشق ... ومن تم فقد انتقل من العشق الى الحب .

الْحُبْ فَنْجِلْ رْحِيـــــقُو لَذَّة للشْرِيـــــبْ

وَاللِّي صفَاتْ لِيـــــهْ انْشوَتْـــوُ

وَدْرَكْ فَ : الْحْبِيـــبْ شْهْوَتُـــو

تْبْتْ حُجْتـــــــوُ وَدْعْوَتْـــــوُ

وَاللِّـــــــي علَــــى الرْضَا بَاتْ

يَنْسَـــى جْفَـــى اللِّـــي فَــاتْ

رُوحُو هْنَـــــاتْ

سَاعتْ لَقْبُـــــولْ وْجــــينَا   وَالسرّْ لِمَنْ اخْفَـــــاهْ

لاَ غْنَـــا شرْبْـــوُ يَصْفَـــا مَـــاهْ

وبعد أن يخصص هذا المقطع للحب في أويقاته الهنية ... ينتقل في كل من المقطع الثالث والمقطع الرابع ، والمقطع لخامس الى أحلك ظروف الحب ... وهو يرمز بكل ما جاء في هذه الفصول الى القواطع ، والموانع ، والعقبات التي تعوق المساعي في

الطريق الى الله ، إذ أن المعنى العميق للقصيدة ككل هو أن "عشق الابداع إذا كان صادقا ، لابد ، وأن يترتب عنه حب المبدع

مَغْلُـــوبْ لَلْمَحَبَّة قَلْبْ الْمَرْءْ النْجِـــيبْ

الْحُبْ لِيـــهْ كَمْ مَنْ صِفَة

بْدَايْتُو اسْرَارْ لْطِيــــفَة

نِهَايْتُو اشْـرَارْ عْصِـيفَة

مَنْ صَبْحُوهْ تَــلافْ

يَمْسَا وْبِهْ عَــرُّافْ

امْعَاوْصَــافْ

سَرّْ الدَّعْوَة لَمْجِــيبَة   يَلْقَى الْعَبْدْ مْنَــاهْ

وْمَنْ وْقَفْ سَعْدُ وغَمْ اعْـــــدَاهْ

بَحْرْ الْهَوَى رْكُوبُو فِيهْ السَّرْ الْعْجِيبْ

مْعَ فْرَاتْنُــــو وكْلاَحْـــو

وَعْوَاصْفُــو وهْوَلْ رْيَــاحُو

ورْلاَزْلُــو ورَعْدْ صِيَـــاحُو

يَاتِي بْشِيـــرْ الافْـــرَاحْ

بَنْغَـــايْمُـو الَـــى رَاحْ

بَـــابْ الصْـــلاَحْ

مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيبَــــــة   يَلْقَاهَا مَنْ جَـــاه

مَنْ بلّغْ قصدُو.صابْ منَــاهْ.

زوَابْــعْ الْهــوَى فيــهَا الْهيّنْ وَالصعِــيبْ

منْهُمْ منْ يجِـــي بكْــرُوبُـــو

ووْساوْسُـــو وعْجبْ خطُــــوبُو

يبْلِـــي النفُــوسْ بَعْدْ يتُـــوبُو

فيـــــهُمْ سهَلْ مرْطــــوُبْ

يَاتِي فـْ : زيّْ محْبُـــوبْ

يْطفِي شهُـــوبْ

كَانَتْ فـَ : الذّاتْ لْهيـــبَةَ ويرْقّـــي معْنَاهْ

حِـــينْ يَشْهَدْ تَصْديـــقْ منَـــاهْ

فإذا كان المقطع السادس من القصيدة ... انتقل بنا من عام الى خاص ... كيف هو مع الحب ؟.. وماذا يحب ؟ ... وهل هنىء بلحظاته السعيدة،أم عصفت به عواصفه ؟

لَبْهَا اللّـــي افْتَنّـــي سوُقــو نوُعــو غرِيـــبْ

نجْـــلاَتْهَا لْتُــوفَ " سمَـــاهَـــا

فَ : قْلُـــوبْ هلْ الْحَـــالْ ضيَاهَا

مرْمُـــــودْ الْبصرْ مـــــارَاهَا

سنَـــــاءْ لاَمَعْ شعَــــــاهْ

خطَّـــــــافْ كُلْ مــــنْ رَاهْ

ويلاَ اخْدَاهْ يزْهَدْ في كُلْ كْسيـــبَةَ والصَّادَقْ فَ : هــوَاهْ

كل ما يتمنـــــى يلْقـــــاهْ

ويبدو في كل من المقطع السابع ، والثامن ، والتاسع ... وكأنه يخاطب نفسه ، ينصحها ... يوجهها ، يفتح أمامها آفاق المعرفة "في طريق القوم"

تَدْعِـــي الْحُبْ وَتْحَـــافِي بَصْنُودْ الْحْبِـــيبْ

يَاسَعْدْ مَنْ عْلِيـــكْ تْوَلَّـــى

لُوكَـــانْ مُرْ عَنْدَكْ يَحْـــلاَ

مَاعَنْدَشْ الْحْبِيـــبْ الزَّلَّـــةْ

مَنْ لِيـــهْ جَـابَكْ الْحَالْ

طِيعـــُو فْ : كُلْ مَا قَـالْ

زَكِّي فْعَـالْ مَنْ نَفْسَكْ بِهْ شْغِيـــبَةَ وَعْلاَجَكْ فْ : رْضَـــاهْ

كُـــنْ لُه عَنْ أَمْـــرُو وَنْهَـــاهْ

تِيهْ الْمْلِيحْ كَالسَّقْوَى لَلرَّوْضْ الْجْـــدِيبْ

تَدْفَعْ بَ : اللَّقَاحْ اشْجَـــارُو

وَتْفُوحْ بَالنَّسَـــامْ ازْهَـارُو

وَتْهِيـــجْ لَلنَّشِيـدْ اطْيَـــارُو

لَوْلاَ غْـــزَالْ لَقْفَـــارْ

طَبْعُـــو شْـــرُودْ حَدَّارْ

لَوْ كَانْ بَارْ .. وَالرَّخْصْ عْلِيهْ مْصِيبَةَ وَالزِّينْ اِلَى ت تَاهْ

يَلْدْ عَشْقُو وِيصَـــونْ بْهَـــاهْ

قَاضِـــي الْمْزَاجْ مَايَـــدِّي خَبْرْ وَلاَ يْجِيـــبْ

عَزْ السّلُوعْ عَنْدْ غْـــــلاَهَا

وتْهُـــونْهَا ايّامْ ارْخــاهَا

وتْسَــاوَمْ الْهَمَجْ مَشــرْاهَا

وَاللِّي اتْكَــاثَرْ ضَمْنَـــاهْ

وَالْقـــَى حْبِيـــبْ وَسْقَــاهْ

لُومَا شْحَافْ مَا يَدِّي لَلْمَاطِيبَةْ   وْمَنْ جَرْيُو عَيَّـــاهْ

فُوقْ الْفَضــــى تَايَهْ بُــوَّاهْ

أما المقطع العاشر .. فسوف يحد شانيه بما آل إليه أمره في عشقه :

طَفَحْ الشبَّابْ فَ : الْعَاشَقْ وَاعْذَارُو مْشِيـــبْ

مَنْ اللِّي احْلاَتْ نَشْوَتْ شُـــوبُو

وَسْرَاتْ فِــــي دْوَاخَلْ قَلْبُـــو

شِيبُو غْبَـــافْ سَطْوَتْ حُبـــُّو

يا سلام .. هنيئا لمن هذا حاله مع الله :

مَنْ اللِّي حْلاَتْ نَشْوَتْ شُرْبُـــو

وَســـرَاتْ فِي دْوَاخَلْ قَلْبُـــو

شِيبـــُو غْبَافْ سَطْوَتْ حُبُّـــو

ومن الشطر الذي افتتح به هذا المقطع :

"طَفَحْ الشبَّابْ فَ : الْعَاشَقْ وَعْذَارُو مْشِيبْ"

وهذا الشطر : "شيبو غباف سطوت حبو" نستطيع الجزم بأن سيدي عبد القادر العلمي كتب هذه القصيدة رحمه الله في شيخوخته ، بل أنها القصيدة الوحيدة التي أثبت لنا فيها لحظات القرب من الله وأويقات الانس به ...

لَمَّا اجْنَا عْلَى الْبَــــابْ

وْرْفَعْ عْلِيــهْ الْحْجَــابْ

صْفَى جْوَابْ طَيَّبْ بَ : لْفَاظْ عْجِيبَةْ لُو كْتْمُــو وَخْفَــاهْ

كَالْعْطَرْ يَعْبَقْ طِيبْ اشْدَاهْ

ويستخرج لنا الحكمة من ثمرات رياضاته ، ونتائج مجاهداته :

مَنْ لاَزَمْ ارْضَى وَطْلَبْ لاَ بُدُّ يْصِيبْ

وَالْلِّي بْغَا يْفِيضْ حْسُـــودُو

يَتْبَعْ بَالْمْهَلْ مَقْصُــــودُو

حَتَّــى يَنْكْمَلْ مَعْـــدُودُو

مَانَـــالْ حَدْ مَـــارَادْ

إلاَّ بْتَعْبْ وَطْـــرَادْ

صَوْتْ الرْعَادْ يَتْرَكْ لَقْلُوبْ رْهِيبَا وَبْعَدْ هْدِيرْ لْغَـــاهْ

يَنْبَشَرْ بَالْغَيْثْ امَنْ وْرَاهْ

إنها فلسفة سيدي عبد القادر ، وكما نلاحظها في كل قصائده الدينية والاجتماعية .

الفلسفة القائمة على "الصبر" و "التوكل" ، وأبادر الى القول أن الصبر عند الرجل ليس هو الدعة ، والتوكل ليس هو الاستسلام الصبر على مشاق الحرث مثلا ، والتوكل على الله في نتائجها ... صبر المريض على تجرع الدواء ، وعلى آلام الداء ، والتوكل على الله في الشفاء . على كل حال ، سوف نلتقي بسيدي عبد القادر العلمي في الاجتماعيات ، وفي غير الاجتماعيات ، وسوف نتعرف عليه أكثر فأكثر ...أما الآن فما بقي لنا إلا أن نأتي على ما تبقى من هذه الرائعة .

عَزْ السلُوعْ تَاجَرْهَا يَرْبَحْ مَا يْخِيبْ

وْكُلْ مَنْ لْبِيـــبْ ، وْعَــذْرِي

يَعْرَفْ مَا حْكِيتْ فْ : شَعْرِي

خِلاَفْ مَنْ غْشِيمْ وْغُــــرِي

يَدْرِي نْفِيسْ الاَدْرَارْ

مَا هَرْ ، حَادْ بْصَارْ

صَافِي عْيَارْ بَارِي مَنْ كُلْ مْعِيبَهْ سَرْ الْعَبْدْ وْفَـــاهْ

مَنْ فْضَلْ مُولاَهْ اسْتَوْفَـــاهْ

اللازمة : مَنْ صَرْخَتُو لَحْمَاكْ قْرِيبَا وَمْقَامَكْ عْلاَهْ

حُبْ غِيرُو لاَ تَسْتَحْلاَهْ

هذا هو النص الكامل لقصيدة "الصرخا" فهي من "مكسور جناح" والصلة التي تصلها بالملحون العمودي ، نهاية كل مقطع ببيت من "لرماالثلاثية .. "وكذلك اللازمة.

ونترك سيدي عبد القادر في شيخوخته الوقورة ، وقد سكنت نفسه واطمأنت ، على أن نعود إليه في الغرض الثالث من أغراض الملحون لنستمع منه وهو يلقي أصول الطريقة ، ونراه وهو يقف بمريديه بين الشريعة والحقيقة .

أما الآن ... فإلى الجيل الذي جاء بعد جيل سيدي عبد القادر العلمي مباشرة ، ونختار من إبداعات هذا الجيل ... نْبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ أوْقَاتِي ... لمحمد بنسليمان ، وهي في "القياس الرابع من لرما الثلاثية" .

نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي يُومْ الهَوْلْ وَظَلْمَتْ الْقْبَرْ

بَدَّلْ يَارَبِّي سِيتِي بَالْحُسْنَى

هكذا بدأ بنسليمان هذه التضرعات ، ولعل من الافضل أن نثبت النص الكامل للقصيدة ونتركها تقدم نفسها بنفسها الى القارىء .

أنَا اللِّي قْوَاتْ عْلِيَّ حْجَاتِي وَمْدَحْتْ اللاَّعْمَرْ وَكْبَــــرْ

وَغْنِيتْ بْمَنْ بِهْ مَا يَتْغَنَّى

وَفْخَرْتْ بَالْغْرَامْ مْقَصَّرْ خَطْوَاتِي وَتْرَكْتْ اللِّي بِهْ نَفْتَخَرْ

مَنْ لاَ يَتْمَنَّى مْحَبْتِي نَتْمَنَّى

غَلْبَاتْ حِيلْتُو عَشْرًا مَنْ حِيلاَتِي دَارْ السَّانُوسِيفْ لَلْغَدَرْ

خَفْ امْنَ اللَّحْظَا وَبْرَقْ الْمُزْنَا

وَرْجَعْتْ بِهْ لَلسَّفْلَة مَنْ رَفْعَاتِي وَمَنْ دْعَى بَعْنَايْتُو كْسَرْ

هَذْ الْحَالْ ضَحِيتْ بِهْ مَعْنَّى

★★★

هَذْ الْهْوَى الْهَايَمْ زَايَدْ لِيعَاتِي رَافَدْ قَلْبِي مَا بْقَى اكْثَرْ

وَالْعَيْنْ امْنَ الشُّوفْ مَاتَتْهَنَّى

أَنَا ايْحَقْ لِي نَتْعَزَّافَ حْيَاتِي وَنْبَدَّلْ لَمْنَامْ بَالسَّهَرْ

مَاتَابَعْ لاَ فَرْضْ وَلاَ سُنَّة

كَثْرَاتْ سَيْتِي وَقْلاَلاَتْ حَسَنَاتِي وَسْجَنْنِي فَ : سْلاَسَلْ الْغَدْرْ

شِيطَانِي هُوَ سَبَبْ الشَّطْنَا

غْرَقْ مَرْكْبِي فَ : بْحَرْ مَنْ سِيَّاتِي أَنَا الرَّايَسْ وَالْهْوَى ابْحَرْ

الْهْوَى فَتْنَا مَا بْحَالُو فَتْنَا

★★★

بَتْنَا هَذِي نْبَاتْ نْهَيَّجْ زَفْرَاتِي وَنْزِيدْ الْبْكَايَا عْلَى السَّهَرْ

مَا غَرَّدْ مَثْلِي حْمَامْ فَ : سَجْنَا

وَحْمَلْتْ مَنْ ذْنُوبِي شْلاَ تُقْلاَتِي غَادِي بِينْ سْلاَلَمْ الْوَعَرْ

مَنْ تَعْبِي عَنْ رَاحْتِي نَتْدَنَّا

وْنْصُومْ .. مَاحْسَنْتْ صِيَامِ . وَصْلاَتِي لاَشَفْعْ احْسَنْتُو وْلاَوْتْـــرْ

كِيفْ ايحَسْنُوهَا وْجُوهْ الْجَنَّة

لومَا اسْمَـــاحتُو نَغْرَقْ فِي زَلاَّتِـي يَا رَزَّاقْ الْحُوتْ فَ : الْبَحَر

عَبْدَكْ ظَنْ الْخِيرْ تَمَّا وَهْنَــا

★★☆

نَفْسِي امْعَا الْهْوَى وَالشِّيطَانْ عْدَاتِي عَادَاوْ الْسَانِي مْعَا الذْكَــرْ

هَدُّواْ فَ : زْمَانِي سْبِيلْ الْمَحْنَة

اسْقَاوْنِي مْرَارْ ، وْتَابَعْ شَهَــوَاتِي اللَّهْ ايْعَافِينَا مْنَ الْخَمَـــرْ

كْثِيرْ الرَّوْعَا ... اقْلِيـلْ الْهَدْنَـا

غَبْطتْ فَ : الْهْوَى ، طَالَعْ فِي عَقْبَاتِي يَا عَــالَمْ بَالسَّرْ وَالْجَهَـــرْ

لاَتَجْعَلْ لِنَا عْقُوبتَكْ تَدْرَكْنَـــا

وَمْصَايَبْ الزْمَانْ .. وَمْصَايَبْ كْلْفَاتِي وَشْرُورْ الْغُـــرُورْ وَالْفَشَرْ

نَجِّنَا مَنْهُمْ بَالاسْمَاءْ الْحُسْنَى

★★☆

مَثْلِي هْمَامْ دْرَاتْ بِيْ دُولاَتِـــــي رَفْعُوا بِيْ فِـ : قُبْتْ النْصَـرْ

نَزْعُونِي مَنْ بَعْدْ قَالُو طَعَــنَّا

خَلُّونِي امْعَا الطِّيحَاتْ وْعَثْرَاتِــي هَذِي هِيْ قُلْتْ الْوَقَـــرْ

مَاقْتَلُونِي مَا حَيَاوْنِي نَتْهَــنَّا

أَنَا ارْمِيتْ رَاسِي فـَ : الْبَحْرْ الْعَاتِي غَايَبْ لِيهْ سنْينْ مَا ظْهَرْ

أُوفْ : الْمَرْسَا تْجَارْ كَاتْتْسَنَّ

حتى سفينتي قهرتها موجــــــات والبحرية كلت الصبـــر

نَجِّنَا يَاصَاحَبْ الدْمَامْ غْرَقْنَا

★★★

مَاجِيتْ لَلْنْجَامَا صِيفَطْتْ ابْرَاتِي وَعْلاَ نَاسِي غَيْبْ الْخْبَـــرْ

وَحْبَابِي وَمْعَارْفِي تْتْمَنَّـــى

سقِيتْ مَنْهُمْ جْدَاوَلْ دُوحَاتِـــي فَاحْ انْسِيمْ الْوَرْدْ وَالزْهَرْ

وَغْفَرْ ذَنْبْ اللِّي اعْصَا وَرْحَمْنَا

وَرْحَمْ يَا الْمَوْلَى حَفَّاظْ ابْيَاتِـــي قَالْ بْنْسْلِيمَانْ الْحَبْـــرْ

سلاَمِي هَبْتُو لَنَاسْ الْمَعْـــنَا

وَالْجَاحَدْ ايْصَدَقْ يَا وِيلُودَعْوَاتِي وَقْلِيبُو بَ : الْغَى يَنْزْبَـــــرْ

مَا يَبْلَغْ مَعْنَى وْلاَ يَتْكَنَّـــا

يَارَفْعْ السمْا تَغْفَرْ لِي زَلاَّتِـــي بِجَاهْ الشْبِيكْ وَالْقْبَـــرْ

سِيدِي لاَ تَجْعَلْ رَبْنَا يَهْلَكْنَـا

★★★

نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي يُومْ الْهَوْلْ وَظْلَمْتْ الْقْبَرْ

بَدَّلْ يَا رَبِّي سَيْتِي بَالْحُسْنَى

انتهت رائعة بنسليمان في الابتهالات ، ولقد كان على أن أجعلها قبل القصيدة السابقة لأحقق التدرج ، من هذه الحيرة ، ومن هذا الارتباك الى تلك السكينة ، وتلك الطمأنينة ، الى حط الرحال بجوار الله ، ولكن لم أفعل ، فالشيخ شيخ والمريد مريد ... خصوصا ونحن نقول في حضيرة الملحون : السابق فضلية ... "

ونضيف قصيدة ثالثة قبل أن نقول كلمة وجيزة عن القصائد الثلاث .

وهذه المرة مع "توسل" الفقيه لعميري . ونبدأ باللازمة :

يَا الْمَوْلَى نَعْمْ الْمْتْعَالْ ذُو الْجْلاَلْ   يَالْمَعْبُودْ عْظِيمْ الشَّانْ فَ : الْمْعَالِي

★★★

يَالْمُغِيثْ اللِّي نَرْجَافْ ضِيقْتْ الْحَـــالْ   يَالرَّحِيمْ رْحَمْ ضَعْفِي وَشُوفْ حَـــالِي

غِيثْ عَبْدْ مُولَّهْ يَرْجَى تْزُوِلْ الاَهْـــوَالْ   طَالْ مَا يَتْكَلّْبْ فَ: جْمَارْ لاَ امْهَـــالِي

كُلْ حِينْ يْنَادِي فَ : حْمَاكْ يَا الْفَعَّــالْ   اعْيَا يْقَاسِي وَاهْوَالُو فَاقْتْ الاهْـــوَالِي

جَرْعُو حَالْ الْوَقْتْ امْنَ الْمْرَايْرْ اشْحَــالْ   وَالْخْلاَيَقْ ، بَالْوَاقَعْ حَدْ مَا تْبَـــالِي

اهل الصْلاَحْ ارْبِّي غْرْبَا وْلاَمْنْ ايسَـــالْ   عْلَ الْغُرْبَا فَ : زْمَانْ امْنَ الافْضَالْ خَـــالِي

★★★

يَامُولْ الْجُودْ وَالاحْسَانْ امْعَا التَّفْضِـيلْ   يَاغَـــانِي يَا كْـــرِيمْ فَكْ التُّوحِيـــلاَ

عَجَّلْ بَعْلاَجْ قَلْبْ وَسْطْ الصَّدْرْ غْلِيـــلْ   وَعْتَقْ يَـــا ذَا الْجْـلاَلْ رُوحِـي الْغْلِـيلَة

وَاللِّي يَطْغَى تْهَدّْ ذَاتُو لاَ تْمْهِيـــــلْ   حَتَّـــى يَبْقَــى يْشُــوفْ نَفْسُه ادْلِيـــلَة

فِي حِيصَا بِيصْ لِيسْ تْنْفَعْ لُوحِيلاَ

تْضَرْقُوا نَاسْ الْجَدْ وْبَـــانْ كُلْ خَتَّـــالْ   كَانْ يَرْصَدْ شِي وَقْتْ يْسَاعَدْ الرْذَالِـــــي

وْغِيرُوَاتَاهُمْ بَرْزُوا بَا دْعِينْ الاحْتِيَـــالْ   وْلاَ رْعَاوْ الْحَرّْ مْنَ الاحْقَادْ وَالاقْيَالِـــــي

وْغِيرْ بَرْزُو ا دْغْيَا طْهَـــرُوا فَ : خِبْتْ الْحَـــالْ بَانْ عِيبْ الْخَتَّالاَ سَاعَتْ الْمْعَالِـــــي

تْشُوفْهُمْ فَ : الظَّاهَرْ تَحْسَابْهُمْ كُمَّـــلْ   تْشَاهَدْ فْعَايَلْهُمْ بِهُمْ مَا تْبَالِـــــــي

بْرُورْهُمْ بَالْقُــرَاءْ .. احْسَانْهُمْ لَلْـــالْ   كَانْ وَاتَرْنِي لِيــهْ سَبْبَبْ بَانْ جِلْــي

★★★

الوَقْتْ الْيُــومْ جَابْ خَصْلاَتْ التَّرْذِيــلْ   مَنْ عَاشَرْ قُومْ صَــارَ مَنْهُمْ بَالصـيَّلَة

اللِّـــي هُوَ رْذِيــلْ يَدْنَــوْ لَلتَّفْضِيــلْ   وَاللِّـــي هُوَ فْضِيلْ يَسْوَى تَتْخِيــلاَ

مَنْ لاَفَهْمُواْ حْدِيــثْ ما فَقْهُوا تَرْتِيــلْ   وَلاَ يَدْرِيواْ لَلْمَغْنَّــي تَرْتِيــــلاَ

وكُلْ شْتِيمَة فْ : حَقْهُمْ جَاتْ قْلِـــيلَة

غَرْهُمْ الشّيطَــــانْ وْلاَعْبَاوْا بَسْـــالْ   نْقُولْ مَا سَمْعُو شِي مَا فَاتْ فَ : الْجِيَالِي

يْعَبْرُوا عَنْ حُبْ الدُّنْيَا بْشَرْ الاعْمَــــالْ   مَا يَرْقُو النّذِيرْ الُو بْقْـــولْ وَالِــــي

وهَلْ التَّقْوَى وَالدِّينْ اضْحَاوْا طَيْ الاهْمَالْ   وْهَلْ الْبَدْعَة وَالزِّيغْ فْ : غَايْة الرْفَـــالِي

جِيلْ نَاسُو تَرْكُو الْوفَا نْسَاهْ وَرْجَـــالْ   وَبَدْلُوهْ ابْدَرْهَمْ مَبْخُــوس .. جِيلْ خَـــالِي

أُوفَ : الْحدِيثْ الْقَابَضْ دِينُو فْ : كُلْ الاحْوَالْ   كِي الْقَابَضْ جَمْرَا يَامَنْ صَغَى اقْوَالِــي

☆✪✯

★وَاللِّي يَنْسَى عْهُودْ لَجْنُودْ فْ : تَضْلِيلْ   ★   مَا مَتْلُوشِي ضْلِيلْ فَ : قْطَارْ ضْلِيلَة ★

★صالْ بْ فَعْلُو وزَادْلُو قُبْحُوا تَهْوِيــلْ   ★   وَبْقَى قَلْبُو مْحَيْرُو فِـــي تَهْوِيـــلاَ★

★أنْوَى رَاسُو عْلاَ وْصَابُو فِي تَسْفِيــلْ   ★   مَا طَاقْ العَوْمْ فِي بْحُـــورُو لَهْوِيـــلاَ★

★ لاَبُدْ يْصِيرْ لِيهْ جَهْلُوا تَكْبِيــلَة ★

★يَا اللهْ اسْألْتَكْ وَنْتَ الْغْنِي الْمُتْعَـــالْ   ★   رَدْ هَاذْ الْكَسْرَا بَالْخِيرْ يَالْعَـــالِي★

★جُدْ وَغْنِي وَرْحَمْ ضْعَافْ فُ : وسْطْ هْوَالْ   ★   ضَاقْ بِهُمْ الْحَالْ فْ : دُنْيَتْ الْحَيَـــالِي★

★مَايْلِيهُمْ غِيرَكْ وَنْتَ عْلِيمْ بَالْحَـــالْ   ★   يَالْمَسْتَاجَبْ لَلْمَدْطَرْ فَ : الاسْالِــــي★

★غِيثْ ضِعَافْ الْخَلْقْ الغَايْصِـــينْ فـُ :وحَـالْ ★ مَا انْوَصَفْهَا لِـيكْ اَعَالَمْ الاَحْـوَالِي★

★كِيفْ يُوصَفْ لَلرَّاقَبْ عَلَ الْحَـالْ وَمْـالْ ★ عَبْدْ جَاهَلْ وَقْصِيرْ الْفَهْمْ مَنْ امْثَالِـي★

☆✪★

★يَا مَنْ فَضْلُو عْمِيمْ وَالاحْسَـانْ جزِيـلْ ★ عَـالَجْ وَشْفِي قْلُوبْ فَصْدُورْ عْلِـيلَة★

★يَامَنْ هَدْيُو لْهَلْ الإِسْـلاَمْ التّنْزِيـلْ ★ الْهَمْ لِـيهْ الْقْلُـوبْ تَقْرَاهْ وْجِيلَة★

★يَابَـاعَثْ لِلْخلاَيَقْ رَسُـولَكْ لَفْضِيـلْ ★ يَا جَاعَلْ سِيرْتُو فـ : الاعْبَادْ فْضِيلاَ★

★ اهْدِي لِيهَا ابْصَايَرْ ضَحَاتْ عْطِيلَة★

★مَـادْرَا مَنْ شَهَدْ بَدَعْوَتْ كِلْ مَرْسَـالْ ★ بِينْ رُوحْ الْمَعْنَى فـَ : مْنَابَعْ الاَقْوَالِـي★

★وَلَوْ يَعْرَفُـوا هَذِي هِيْ تْغَيّرْ الْحَـالْ ★ كِي تْغَيّرْ فِي كَمْ جِيَالْ بـَ : الْفَضَالِـي★

★يَا الرَّحْمَانْ ارْحَمْ ضَعْفْ الْخْلاَقْ يَنْشَـالْ ★ يَالْغَفَّـارْ غْفَرْ لَعْبَـادَكْ الزْلاَلِـي★

★يَا الْخَـلاَّقْ اخْلَقْ فِينَـا الْخِيرْ يَنْـزَالْ ★ كُلْ شَرَّا مَنْ قْلُوبْ النَّاسْ يَالعَالِـي★

★بَالنّبِـي وَانْصَارُو وَمْهَاجْرِينْ الافْضَالْ ★ غِـيثْ هَاذْ الأمَّة وَطْرَدْ كُلْ ضَالِـي★

★وَالصْلاَ وَالسَّـلاَمْ عْلَى النّبِي الْمُرْسَالْ ★ سِـيدْنَا مُحَمَّدْ كَنْـزِي وْرَاسْ مَالِـي★

لا أدري كيف انتقل البيت الاخير ، من "توسل لعمري هذا ... الى توسل العلمي الذي مطلعه : "يَا الْوَاجَدْ بَالصَّرْخَة عَنْدْ ضِيقْتْ الْحَالْ" المهم ، كان هذا هو النص الكامل لتوسل الفقيه العمري ... وبتوسل الفقيه العمري نكون قد أتينا على المدارس الثلاث التي كانت تهيمن على هذا الغرض ، قبل أن يـأتي الى حضيرة الملحون ... الامام الحسني الحراق ... وقبل أن نعرف ما جاء به هذا الامام الصوفي الجليل ... ولنستطيع استكناه ما جاء به ، لابد من أن نعود الى القصائد السابقة .. ولو بسرعة فائقة ، فمثلا كنا في القصيدة الاولى مع رجل كابد الرياضات والمجاهدات أولا ... وعاشر أهل الطريق الذين عاصروه ثانيا ... وتوسع في الاطلاع على كتابات القوم من شعر شفاف بديع ، ونثر فني رفيع ... وسير أهل الله الذين سبقوه ، وتراجمهم ثالثا ... فجاءت كل قصائده ... التي كتبها في السنوات الاخيرة من عمره ... طافحة بإشارات أهل الطريق ، وتعاليمهم ... وبطروحاتهم

الْوَجْدْ رِيحْ غَـلاَّبْ

مَتْرُوكْ فِيهْ الْعْتَـابْ

مُولْ الشْــــرَابْ يُعْذَارْ فْ : حـــَالْ الْغِيــــبَةْ

دَايــــعْ بِـــهْ هْــــوَاهْ

مَا يْمَيَّزْ دَاهْ امْـــــنَ ادْوَاهْ

☆✪☆

وَالسرّْ امْنَ اخْفَــــــاهْ

لاَغْنَـــا شرْبُـــــو يَصْفَــو مَـــاهْ

☆✪☆

بِدَايْتـــوُ اسْـرَارْ لْطِيـفَةْ

نِهَايْتُـــو اشْـــرَارْ عْصِيفَةْ

مَنْ صبَّحُـــــوهْ تـــلاَفْ

يَمْشَـــاوْا بِـهْ عْـــرَافْ

☆✪☆

بَابْ الصْلاَحْ مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيــــبَةْ

بِدَايْتــوُ اسْـرَارْ لْطِيـفَةْ

نِهَايْتُـــو اشْرَارْ عْصِيـفَةْ

مَنْ صبَّحُــوهْ تُـــلاَفْ

يَمْشَـــــاوْا بِهْ عْــرَافْ

☆✪☆

بَابْ الصْلاَحْ مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيبَةْ

يَلْقَاهَا مَنْ جَاهْ

وْمَنْ بْلَغْ قَصْدُو صَابْ مْنَاهْ

☆✪☆

سْنَاءْ لاَ مْعْ شْعَاهْ

خَطْـــافْ كُلْ مَـــنْ رَاهْ

وَاللِّي اخْدَهْ يَزْهَدْ فِي كُلْ كْسِيبَـــا وَالصَّـــادَقْ فَ : هْوَاهْ

كُلْ مَا يْتْمَنَّـــا يَلْقَـــاهْ

ونختم هذه المقتطفات باللحظة التي قال عنها الحاج محمد بلكبير المراكشي :

"لحظة الاشراق الكلي التام العام"

لَمَّا اجِنْـــا عْلَى الْبَـــابْ

وَرْفَعْ عْلِيـــهْ الْحْجَـــابْ

صَفْا جْوَابْ طَيَّبْ بَالْفَاضْ عْجِيبَا لُوكْتْمُو وَخْفَاهْ

كَالْعْطَرْ يَعْبَقْ طِيبْ أَشْـدَاهْ

إننا في هذه القصيدة ... وفي "الفرج" نكون مع سيدي عبد القادر العلمي في عالمه الباطني ، ويحاول جاهدا أن يطلعنا على مشاهداته ، وأن يصفها لنا ، وإن كانت العبارة لا تسعف صاحبها في هذا المجال .

أما بنسليمان ... نكون معه سواء في هذه القصيدة أوفي :

"تُبْ يَا رَاسِي لاَ تَشْقَى "في عالم الواقع ... العالم الملموس .

☆✪☆

★ أَنَا يْحَقْ لِي نَتْعَزَّافْ : حْيَـــاتِي ★ وَنْبَدَّلْ لَمْنَـــامْ بَالسْهَـــرْ ★

★ مَاتَـــابَعْ لاَ فَرْضْ وَلاَ سُنَّـــا ★

☆✪☆

★ انْصُومْ ، مَا حْسَنْتْ صْيَامِي .. وَصْلاَتِي ★ لاَ شَفْعْ احْسَنْتُو وَلاَ وْتَـــرْ ★

★ كِيفْ نْحَسْنُوهَا وْجُوهْ الْجَنَّـــا ★

★ نَفْسِـــي مْعَا الْهْوَى وَالشّيْطَانْ اعْدَاتِي ★ عَـادُوْا الْسَانِي مْعَا الذّكْرْ ★

★شدَوْا فـ : زْمَانِي طْرِيقْ الْمَحْنَـــــا ★

★سقَاوْنِي مْرَارْ التّعْبْ فْ شْهْـــوَاتِـــي ★ اللّهْ يْعَافِينَا مْنَ الْخْمَـــرْ ★

★ كْبِيـــرْ الرّوْعَا قْلِيـــلْ الْهْنْــــا ★

☆✪☆

على كل حال أخذنا سيدي عبد القادر الى عالم الباطن ، وعاد بنا محمد بنسليمان الى العالم الظاهر .

أما القصيدة الثالثة أعني قصيدة الفقيه لعميري ، فهي أقرب الى الذهن منها الى الشعور ، قصيدة الحرفية ، حرفية الاية ، حرفية الحديث ، حرفية مقولات الفقهاء .

★ أوفَا الْحْدِيثْ الْقَابَضْ دِينُو فْ جَمْعْ الاحْوَالْ ★ كِي الْقَابَضْ جَمْرًا ....."

☆✪☆

★ حتّـــى يبْدَا يْشُـــوفْ نَفْسُو لُـــوحِيـــلاَ ★ فِي حِيصًا بِيصْ"........."

ونحن لا مع سيدي عبد القادر ومن ساروا على نهجه بعده ، ولا مع بنسليمان ومن حذا حذوه حتى الآن ، ولان بن قاسم لعميري ، ومدرسته الذهنية ، نبقى مع الشعر الديني وليس الصوفي ، نعم فيه سياحات وتحليقات هنا وهناك . بل ووظف بعض كبار الشعراء ، رموز القوم وإشاراتهم ، أي أنه لا يخلو من مسحة من تصوف ولكنه في عمومه ، يبقى الملحون الديني .

أما الملحون الصوفي ، فهو الذي جاءنا به الشيخ الامام الحسني الحراق ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

★جَادْ الزْمَـــــانْ وَاسْتَبْشَرْ قَلْبْ الْهَـــايَمْ ★ وَتْحَلَّـــى بَالسّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ ★

★انْكَا الْحْسُـــــودْ وَظْفَرْ بَالْعِزْ الـــــدَّايَمْ ★ وَاصْبَحْ يَتْمَخْتَرْ فِي ثْيَابْ هْنَـــــاهْ ★

هذه واحدة من القصائد الاربع التي شق بها الامام الحراق ، الطريق للذين يريدون كتابة الملحون الصوفي .

★طَابْ السْـــرُورْ مْعَ الْبْـــدُورْ بِيضْ النْحـــورْ ★

★ غَنّمْ كَاسْ الـــرّاحْ هَـــاحْبِيبَكْ زَارْ ★

★وِينَـــا بْـــدُورْ هَذِي يَابُو النّغَـــايَمْ ★ مَـــا هِيَّ الأَبْـــرُوقْ سَرْ ضْيَـــاهْ ★

★بِيضْ النّحُـــورْ فِي كُلْ مَاتَتْـــلاَيَمْ ★ تَتْدَيْجَرْ الانْوَارْ مَنْ شَعْا فـ : سْنَاهْ ★

★سقْيِ ودُورْ هوَ الشوْرْ طُولْ الدهُورْ ★

★ساعَادَ السلْوَانْ فَايْدَتْ الاعمَــارْ ★

★ هوَ الشوْرْ هوَ وَالْهَايَمْ رَايـــمْ مرَادْ الْمُرِيدْ يَاهنْتَاهْ الْقــاهْ ★

★ الْقَاهْ فِيهْ ومَعْنَاهْ فـ : قلْبْ الْقَايمْ وَالْقَايَمْ مَاقَامْ غِيرْ بِهْ وتــاهْ ★

★صلْ الشرَابْ النكْدْ غابْ وَالزَّهْوْ طَابْ ★

★ وَسَرُوجْ الْفُرْجَاتْ شعْشعَتْ الانْوَارْ ★

★شعَشعَتْ كَالثُّرِيَّا فِي كُلْ وْلاَيَــمْ منَّى لِيَّ عَادْ بَانْ سرّ خفَـــاهْ ★

★وَشحَالْ بَتْ مَنْ لِيلاَ سَابَحْ عَايَمْ بِينْ موَاجْ الضيّْ فِي فْضَا سمَـاهْ★

★ رَشْفْ الاكْوَابْ امْعَا الاحْبَابْ عَيْنْ الصوَّابْ★

★وزْهَا فـ : ايَّامكْ لُو تْعِيشْ انْهَـارْ★

★طِعْ الْمْلِيحْ وَعْصَا فـ : اللُّومْ اللاَّيَـــمْ وَعْمَلْ فـ : زْمَانَكْ كُلْ مَا تَهْــــوَاهْ★

★وَنْشَدْ مَنْ اشْعَارَكْ فـ : الْحُسْنْ الدَّايَمْ نَجْمَكْ صَارْ اَصَاحْ فِيصْعُودْ سمْـاهْ★

★نَظْرَا مَنْ الْحْبِيبْ تَمْحِي كُلْ اجْرَايَــمْ أوْ لَحْبِيبْ كْرِيمْ يَاللِّي يرْجَـــــاهْ★

★الَى مَارْضَا مَا تَنْفَعْ عَزَايَـــــمْ لُو بَا عْمَالْ الْخِيرْ كُلْهَا تَلْقَـــــاهْ★

القصيدة على وزن "يامنا" للمصمودي ، أي من "لرما المثنية مع تصرف جميل في ما يسمى : "لطيلعات" ، أما من حيث معانيها ، فلا شك عندي أنها قدمت نفسها بنفسها الى القارئ وانتهى الامر ... علي فقط أن أثبت هنا أن هذا الامام الصالح المصلح ، هذا العلامة الجليل ، هذا الشيخ الاجل ، كان يطوف بثقله العلمي ، والمعرفي ، والثقافي على كل الطوائف ليعلمهم - كما علمنا - كيف يكتب الشعر الصوفي .

فالامام الحراق ، الشاعر العربي المفلق ، والزجال الاندلسي المبدع ، مقصد الموشحات ، وموشح القصائد ، على ماآتاه الله من علوم الشريعة ، وما فتح عليه به من علمه "اللادني" يأتي بكل تواضع الى حضيرة الملحون ، أو الى طائفة "حمادشا" أو "عيساوا" ، فيحفظ ، ويحفظ ، ويحفظ .

الى أن يتمكن من الاوزان الخارجية ، والايقاعات الداخلية ، ويتعوف على طبيعة العمل في هذا الوزن أو ذاك ، وسرعان ما تبدأ المفاجآت ... إذ ينشر بين الناس إبداعات يعرفون شكلها ، ولكن لا عهد لهم بمضامينها ..

فالناس مثلا كانوا يعرفون وزن قصيدة يامنة .

★ قُولُوا الْيَامْنَا تَهْلِيلْ الْعَثْمَـــانِ ★ مِينَا يَا مِينـــا مْعَكْ شْرَعْ ★ الله

فعندما جاءت .

★جَادْ الزّمَانْ واسْتَبْشَرْ قَلْبْ الْهَايَمْ ★ وَتْحَلاَّ بَالسَّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ ★

للامام الحراق تغنو بها على نغمات لحن يامنة للمصمودي ، ومن دون أدنى صعوبة بل هو يسر هذا الوزن أكثر ... بتصرف يعرفه أهل الملحون ، ولا مجال للحديث عنه الآن إنما الشيء الذي لا عهد لهم به ، هو بعض معاني القصيدة : مثل قوله :

"مْرَادْ الْمُرِيدْ يَا مْنَاهْ الْقَاهْ ... الْقَاهْ فِيهْ وَمْعَاهْ ....." أو عندما يقول "مْنِّي لِيَّ عَادْبَانْ سَرْ خْفَاهْ" على كل أصبحت لنا مدرسة رابعة هي مدرسة الحراق ومن روادها بعده ، "الازموري" "مريفق" "السي اسماعيل" "سيدي إدريس" "لهويتر" ، وغيرهم وغيرهم ، وبعد قصيدة "الاستبشار" .... أختم إبداعات هذا الغرض ، بذكرى عيساوية لنفس الشاعر ، وهي بعنوان "الاستذكار" ، وأهيب بعشاق الشعر الصوفي الرفيع لا في حضيرة الملحون ولا في طائفة عيساوا ، ولا في طائفة حمادشا ، أن يحفظوا شعر الامام الحراق وأن يتواجدوا به ، ليس فقط قصد إحياء الذكرى ، أو العرفان بالجميل ، ولكن لانه غرة الشعر المغربي الشعبي في البعد الصوفي على الاطلاق .

قصيدة الاستذكار من نظم المرحوم محمد الحراق

★صَافِي الْحْبِيبْ تَضْفَرْ بِبْهَا الانْـــوَارْ ★ وَتْحُوزْ مَنْ شْعَاهْ يْمَــــارَا★

★بِهَا تْنَالْ مَا بِينْ الْخَلْقْ اســــرَارْ ★ وَتْصِيرْ لَلنْفُوسْ طْهَـــــارَا★

☆✪☆

★ذَكْـــــرُو حْقِيــــقْ لَلْقَلْبْ دْوَا ★ يَشْفِيهْ مَنْ سْقَامْ وْهَـــامُو★

★وِيصَيّــــرُو بْغِيرْ "السُّـــــوَا ★ وِيلَدْ لُوهْجِيرْ امْنَامــــُو★

★بِهْ الْوْجُـــــودْ كُلُّو يَضــــْوَا ★ مَنْ غَاسَقْ الْهْوَى وَظْلاَمـُو★

★يَا سَعْدْ مَنْ مْسَا يَخْلَعْ فِيهْ اعْـذَارْ ★ وِيدُورْ وَسْطْ قَلْبْ الــدَّارَا★

★يَنْشَدْ عَنْ حْبِيبُو رَايَقْ الاشْعَــارْ ★ وَالْقَوْمْ مَنْ الْعَشْقْ اسْكَارَا★

★ يَا مَنْ ابْغَاوْصَالْ حْبِيبُو ★ افْنَا تْشُوفْ نُورْ الْحَضْرَا ★

★ وَعْلاَ عْلَى لاكْوَانْ تْصِيبُو ★ يَغْنِيكْ عَنْهُمْ ابْنَظْرَا ★

★ مَنْ كَانْ دَالْحْبِيبْ نْصِيبُو ★ ا^^^^ مَنْ كُلْ بَاسْ حَالُو يْبَرّْ ★

★ شْمُوسْ فِي اعْمَاقُوا تَشْرَقْ وَاقْمَارْ ★ وَتْجِيهْ كُلْ وَقْتْ بْشَارَا ★

★ مَنْ نَالْ صْدَقْ الْمْحَبَّا يَاحْضَارْ ★ يَمْسَى فْ : كُلْ حَالْ مْنَارَا ★

☆✪☆

★ يْرُوقْ فْ : الْمْحَبَّا حَالُو ★ وِيبَانْ فِي اوْصَافْ ايمَانُو ★

★ وِيشَاهْدُوا النَّاسْ جْمَالُو ★ وَالُو خْفَاهْ طُولْ زْمَانُو ★

★ يَنْفَقْ عْلَى الْحْبِيبْ امْوَالُو ★ وِيزِيدْ مُهْجْتُو وَبْدَانُو ★

★ دِيمَا تْرَاهْ بِينْ أُورَادْ وَاذْكَارْ ★ عَنْدُو فْ : كُلْ وَقْتْ عْمَارَا ★

★ يَخْشَى تْفُوتْ عَنُّو لَحْظَتْ بْشَارْ ★ وِيضِيعْ لُو الْعُمُرْ خْسَارَا ★

☆✪☆

★ وَاللِّي لْبِيبْ فَاطَنْ يَا صَاحْ ★ يَسْعَى فِي صْلاَحْ مْقَامُو ★

★ وِيبُوحْ بَالْغْرَامْ اوْيَرْتَاحْ ★ مَنْ كِيدْ الرّْقِيبْ وَمْلاَمُو ★

★ هَذَا الْهْوَى صْعِيبْ أو فْضَاحْ ★ يَشْعَلْ فَ : الْقْلُوبْ ضْرَامُو ★

★ بِهْ الْعْشِيقْ يَتْكَلَّبْ فُوقْ جْمَارْ ★ وَلاَ تْفِيدْ فِيهْ احْزَارَا ★

★ لِيلُو فِي غْرَامُو يَفْنَا وَنْهَارْ ★ وَمْحَبّْتْ الْحْبِيبْ اتْجَارَا ★

☆✪☆

كان بودي أن أضيف لهذا الشيخ الجليل على الاقل "ذكرا"حمدوشية ، وأخرى "تواتيا" ، إلا أنني لا أزال في الغرض الاول ، وأمامي تسعة أغراض أخرى ... فمعذرة .

* الغرض الثـــاني من أغــراض الملحــون *

" المـــــدح "

قال شيخي الجليل رحمه الله : "مرت علي حتى الآن - وكنا يومئذ في شهر مارس من سنة 1950 - ثلاث سنوات وأنا أحصي قصائد المدح في الملحون ، فبلغ العدد الى أربعة الآف وثلاث مائة "انتهى كلام الشيخ ، وأضيف :

إن أربعة أخماس هذا العدد هي لنبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم مولده صلى الله عليه وسلم ، نشأته ، زواجه بمولاتنا خديجة رضي الله عنها ، تَعَبُّدُهُ في غـار حـراء ، نزول الوحي ، بدء الدعوة الى الله ، تحدي الشرك والضلال،وهجرته الى المدينة ، وجهاد الرعيل الاول في سبيل الله ، وتحت لواء رسوله .

معجزاته صلى الله عليه وسلم ، شيمه ، شمائله ، مكارم أخلاقه ، وكل ماله صلة بحياة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا وتشمله أربعة أخماس قصائد هذا الغرض وسراباته .

أما الخمس الخامس ... فهو لآل بيته الاكرمين ، وللخلفاء الراشدين،وحتى بعض عموم الصحابة،كأبي ذر الغفاري ، ومعاذ بن جبل ، وخالدبن الوليد ، بل ويشمل هذا الغرض حتى سير الاولياء ، وكراماتهم . والمجاذيب ، وما ينطقون به من إشارات ، وما يأتونه من خوارق العادات .. كل ذلك يسمى بكل بساطة : "المدح" .

سئل العيساوي الفلوس لماذا أخذوه الى مخفر الشرطة فأجاب :"عْلَى قْصِيداً مْدَحْتْ فِيهَا بَلْحَسَنْ الْوَزَّانِي" فَـ :الشعر النضالي إذن : "مدح"،والشعر الوطني : "مدح" ، والشعر الذي يعبر عن التضامن :"مدح"،على كل حال إن هذا الغرض لفي حاجة الى تصنيف جاد،تُستخرج منه ثمانية أو تسعة أغراض ، أما نحن فسوف نكتفي في هذا الفصل بشيء يسير من المدائح النبوية .. طبعا سوف لا نعرج على المطولات التي قد يصل عدد أبياتها الى ما فوق الثلاث مائة بيت ، وتعد بالعشرات، وإنما نبقى مع القصائد التي لا تزيد عن الثلاثين بيتا ، حتى نتعامل مع أكثر من شاعر واحد من جهة ، ونحقق التنويع من جهة ثانية .إنما قبل ذلك لا بد من وقفة تأمل ولو قصيرة.يقول الشريف بنعلي ويحق :

★ امْدِيحْ النْبِي مَنْ تَمْجِيدْ الْخَالَقْ الْعْظِيمْ ★ مْدِيحْ النْبِي مَنْ تُوصَافْ الدِّينْ بَالْمْكَارَمْ★

فالمديح النبوي عند أهل الملحون نوع من أنواع العبادة ، ذلك لأن المديح النبوي - وكما يقول الشريف بنعلي - ثناء على الله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام من جهة ، وتعداد لما في هذا الدين من خيرات من جهة ثانية ...ويبقى الحب الخالص لهذا النبي الكريم ، هو الملهم لهذا المديح ، بل هو نبع هذا المديح .

يقول الكندوز:

★حُبْ سِيدِي مَنْ حُبْ اللَّهْ كِيفْ نْنْسَــاهْ ★ وَاسْمُو رَادَفْ أَسْمْ اللَّهْ فَـ : الشْهَـادَا ...★

من هذا المنطلق ينطلقون ، ومن وحيه يكتبون :

يقول المصمودي :

★مَنْ "الْكُمَيْتْ" الْمَادْحْ النْبِي شعْرُو كَانذْرِيــــــهْ★

★لَلْسِيَّدْ "حَسَّانْ" الْفْضِيلْ وَشعارو كانقـــــراها★

فـ : الضيّ أوفـ : دْجَاهْ★

★ "الْكعْبْ بْنْ زْهَيْرْ" لِيس يَخْفَى وْلَوْ نَخْفِيـــــهْ★

★لَلْمَاهَرْ "مَهْيَارْ" أُوقْصَايْدُو فـ هَلْ الْبِيتْ انْشَاهَا★

★شوُقُو لِيسْ خْفَاهْ★

ويقول الحاج أحمد الغرابلي

★مدَّاحِـــــينْ الْمُخْتَارْ فَالضيَا وعْقَابْ الديْجَـــانْ★

★نَعْمْ الْمَرْحُومِـــــينْ★

★تَمْثِيـــــلْ "ابْنْ زْهِيرْ" مَا خْفَى وَالسيَّدْ "حَسَّـــانْ★

★ "وَابْنْ الْفَارِضْ" الْفَايِزْ الْذِي جَـــادْ عْلِيهْ الْغَانِي★

★ومَدَحْ زِينْ الزِّيـــــنْ★

★و"الْجزُولِي" دَلِيلْ وَرْخُو فـ صْـــلاَتْ الْعَدْنَـــانْ★

★و"البُـــوصَيْرِي"خَلَّ شْوَاهَدْ الهَمْزِيَّــا تَرْضَانِــي★

★وَالْبُــرْدَا تَبْيِـــــينْ★

فأهل الملحون إذن يعرفون تاريخ المديح النبوي ،إبتداء من حسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، وهما من المخضرمين ، الى قصائد مهيار في آل البيت،الى ميمية ابن الفارض ، وبردة البصيري وهمزيته ، الى دلائل الخيرات للجزولي ...

وهذا يكفي.ولعل التلميح في هذا المجال يغني عن التصريح.نبدأ النصوص الكاملة التي اخترنا لهذا الغرض بصوفية امتيرد المراكشي في حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

حُبْ حْبِيبْ الرَّحْمَـــــانْ   خَمَّرْنِي يَالَخـــــوَانْ
وَسْقَانِي بَالْجَرْيَـــــانْ   يَامَحْلاَه بْحَرْ جُـــونْ
خَادْ جْوَارَحْ الابْـــدَانْ   وَدْعَانِي يَا فُطْـــانْ
نَنْشَدْ قَلْبْ أُولَسَـــانْ   بَحْلاَوَتْ كُلْ لَسُـــونْ
مَنْ فَتْرَقْ بَالْقُرْعَـــانْ   وتْجَلَّى عْلَى الاديَـــانْ
وَعْبَقْ فِي كُلْ وْطَـــانْ   طِيبُو مَنْ جُونْ لَجُـــونْ
وَضَّحْ عَلْمْ الْفُرْقَـــانْ   شَرْحْ أُوتَفْسِيرْ بْيَـــانْ
خَشْعَتْ لُوهَلْ الايمَـــانْ   وْقَرَّتْ بِه عيُـــونْ
جَدْ الْحُسْنْ وَالْحَسَـــنْ   كَهْفْ الْجُودْ أُولَحْسَانْ
حُرْمْ الْبِيتْ أُو الارْكَانْ   مَنْ دَعْنَتْ لِيهْ حْصُـونْ
مُحَمَّدْ صَـــاحَبْ الْحقَايَقْ وَالتَّحقِيـــقْ   السَّابَقْ لَلْعْبَادْ فَضْلُـــو وكْمَالُـــو
جَيَّدْ ... وَافِي .. حْنِينْ ... ومْكَرَّمْ .. وَشْفِيقْ   السَّاقِي مَنَ الْحَوْضْ كِيسَانْ مْصَالُـو
مَفْتَاحْ الدِّينْ صَادَقْ اقْوَالْ التَّصْدِيـــقْ   يَاهَلْ لُوصَالْ سَعْدْ سَعْدِي بُوصَالُـــو
مَاخْلَقْ اللّـــه بِينْ الْعْبَـــادْ ابْحَالُـــو
نُورْ الْحَقْ الدِّيَّـــانْ   رُوحْ الـــرُّوحْ دَالْجَنَانْ
رَحْمَا وَعْفُو وَاهَـــانْ   شَرْعْ الْوَرْدْ الْمَحْسُـــونْ
تَعْظِيمْ الْقَدْرْ ، وْشَـــانْ   سِيدْ عْجَـامْ أُوعُرْبَـــانْ
سِيدْ جْمِيـــعْ التُّقْيَـانْ   مَاحَمْلَتْ بِـــهْ بْطُـــونْ
يُـــومْ الْفَزْعْ أُولَفْتَـانْ   وَالصَّرَاطْ أُومِيـــزَانْ

نَسْعَا اللَّهْ الغُفْــــرَانْ   عَنِّي لَصْعَابْ تْهـــُونْ
فَ صْلاَتُو يَا إِنْســـَانْ   كَثَّرْ جَهْرْ أُوكُتْمـــَانْ
مَا فَ صْلاَتُو نُكْــرَانْ   وَاَلنَّاكَرْهَا مَلْعُــــونْ
هِيَّ شَرْبْ اللَّهْفـــَانْ   هِيَّ كَنْزْ اللَّحْقـــَانْ
هِيَّ الْفَرْحْ أُو سَلْــوَانْ   هِيَّ الرَّاحَة وَسْكُــونْ

✪☆✯

طَهَ دُبَّابْهَا انْهَـــارْ تْضِيقْ الْحَـــالْ   فِي يُومْ اللاَّتَنْفِيدْ مَخْلُوقْ انْدَامَــــا
مَا بِينْ لاَنْبِيَا وْالاَفْضَـــالْ الأَرْسَـــالْ   كَابْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعْظَمْ لَقْيَامـــَا
أَنَا لَهَا يْقُـــولْ طَيَّبْ كُلْ افْعـــَالْ   هَذِي بْشَرْالْنَا بَالْعَفْو وَسْلاَمــَا

وَكْمَالْ شَفَاعْتُو مَنْ اللَّهْ اكْرَامـَــا

طَبْ يْعَالَجْ الاَذْهَـــانْ   وَنْوَى يَشْفِي الاَبْــدَانْ
وَجْبِيرَا لَلْكَسْــــرَانْ   قَصْدْ كْمَالْ الْمَضْنُــونْ
بَحْرْ الْوَدْ الْهَتـــَّانْ   مَنْ لاَ مَنْلُــو سَلْطَــانْ
الزَّايَدْ لَلْعَرْفـــَانْ   مَنْ عَلْمُو كُلْ فْنُــــونْ
اللِّيلْ سْرَى بَالسَّرْيـَانْ   رَتْفَعْ لَلسَّبْعْ امْتَــانْ
وِيُومْ احْرْ مْ بَالْجَمْعـَانْ   صَلَّى وَصْعَدْ مَامـــُونْ
تَمْ دْنَاهْ الْمَنَّـــــانْ   لَبْسَاطْ فْ : عَلُّو الشَّأْنْ
قَلْبُو يَسْمَعْ يَقْطَــانْ   وِيْنَاظَـــرْدُونْ عِيُـــونْ
تَمَّا طَـــلْبْ الْمَنَـــانْ   كَرْمُو وَرْجَعْ فَرْحـَــانْ
لَقْرِيشْ وَصْفْ بْبِيَـــانْ   فَضْلْ الدِّينْ الْمَصْيُـونْ

✪☆✯

احْبِيـــــبْ اللَّه لاَ نْبِي مَثْلُو مَحْبُـــوبْ السَّابَقْ فَ : وَلْ السَّطْرْ لَلْعَرْفَـــانِ

مَنْ قَبْلْ اللْ يَزْيِـــــدْ خَبْرَتْ بِـهْ كْتُبْ كَمَا خَلَقْ أوْ نْشَاهْ نَعَمْ الْوَحْدَانِـــي

عَرْفُـــوهْ أوكَدْبُـو وْجَحْدُوا هَلْ لَكْتُبْ وَاشْ يَجْحْدُوا فْ طَلْعَتْ الْبَدْرْ السَّانِي

لَوْلاَهْ مَا يْكُونْ شِي مَنْ الاكْوَانِ

هُوَّ مْحَطَّمْ الاوتَـــانْ عَنْدْ اللَّهْ مَالُو ثَـــان

لَوْلاَ فَضْلُوا لاَ كَـــانْ فَارَغْ وَلاَ مَشْحُـــونْ

دِينْ الْمُولَى قَدْسَـــانْ وَنْتَاشَرْ بَالتَّبْيَـــانْ

وَجْنُودُوا هَلْ الاوتَـانْ هَزْمُوهُمْ هَلْ لَسْنُونْ

أَلُوصَبْتْ الْبِيـــزَانْ ايعِيرُو لِي جَنْحَـانْ

وَنْقَدْقَدْ بَالطَّيْـــرَانْ وَنْحَلَّقْ بِينْ مْـزُونْ

حَتَّى نُوصَلْ الاَمَـــانْ وَنْقُولْ بْلاَ تُونَـــانْ

دَاخَلْ حَرْمَكْ خُوفَـانْ مَدَّاحَكْ عَنُّو هُـونْ

لَعْقَلْ حَايَرْ هِيمَـــانْ وَنَاسَاهِي غَفْـلاَنْ

وَالْعُمْرْ مْضَى خُسْرَانْ طُولْ حَيَاتِي مَدْيُـونْ

✪☆✯

صَلَّى اللَّـــهْ عْلِيـهْ قَدْمَـــا يْذْكَـــارْ وَمَا فِي عَلْمْ مَنْ تْجَلَّـــى بْدَوَامُـــو

بِهَا نَفْتَحْ وَنْخَتَمْ حَلَّتْ الاسْــــــرَارْ تَنْوِيرْ وْسَرْ مَنْ الْمَبْـــــدَا لَتْمَامُـــو

هِيَّ الرَّسْمَـــالْ وَالْفَضَلْ هِـيَّ التَّحْـرَارْ بَرْكَا وَزْكَــي لَمَنْ قْوَا عَشَقْ غْرَامُـــو

غَدَّا يُـــومْ النَّشُورْ بِهَا نَرْحَامُـــو

يَا رَبِّي بَالسبْطَــــانْ   وَالْفَرُوقْ أو عُثْمَـــانْ
وَبْمُوسَى بَنْ عَمْـــرَانْ   وَسْلِيمَانْ وْهَـــارُونْ
يُومْ الرَّمْسْ أو الاكْفَانْ   بِينْ الْمَلْكِينْ اثْنَـــانْ
تَبْثْنِي فَ : السُّـــولاَنْ   وْلاَ تَجْعَلْنِي مَفْتُـــونْ
وَالْوَالَدْ وَالصبْيَـــانْ   وْهَلْ الاسْلاَمْ وْالايمَـانْ
يَا غَافَرْ لَلْعُصْيَـــانْ   غْفَرْ خْطَانَا وَذْنُـــونْ
الجِيلاَلِي سَتْعَـــانْ   بِكْ اعْلِيكْ التُّكْـــلاَنْ
وَالْمَادَحْ مَا يُوهَـــانْ   عَنْدْ رْوَاحُو مَضْمُــونْ
وَسَـــلاَمْ لْهَلْ الاوزَانْ   وَالْفَقْهَا وَالْعُرْفَـــانْ
وَعْلاَ الشُّرْفَا تِيجَـانْ   هَلْ لَفْرَايَضْ وَسْنُـونْ

✪☆✯

هذه إحدى غرر المدائح النبوية في الشعر الملحون ، وهي للشاعر الفحل ... الجيلالي امتيرد المراكشي ، وقد سبق القول : "أنه كان في عصر السلطان العلوي سيدي محمد :

صَلِّيوْا عْلاَ الْعَدْنَـــانْ   مَنْ جَانَا بَالْبْيَـــانْ
نَمْجَدْ مُولْ الْفُرْقَـــانْ   طَهَ مَفْتَاحْ الْكَـــوْنْ

جمع "متيرد" في "مداحيته" هاته بين مكرمات رسول الاسلام :

مُحَمَّدْ صَاحَبْ الْحَقَـــــايَقْ وَالتَّحْقِـــيقْ السَّابَقْ لَلْعْبَادْ فَضْلُو وكْمَالُـــو
جَيَّدْ وَافِـــــي حَنِـــــينْ وَمْكَرَّمْ وَشْفِـــيقْ ....

وبين محاسن هذا الدين الحنيف :

طَبْ يْعَالَجْ الاذْهَـــــانْ   وَدْوَى يَشْفِي الابْـــــدَانْ

وَجْبِيرًا لّلْكَســـــرَانْ   قَصدْ كْمَالْ المَظْنـــــُونْ

جمع بين حبه للنبي الكريم :

حُبْ حْبِيبْ الرَّحْمَـــانْ   خَمَّرْنِـــي يَالَخــــوَانْ

وَسْقَانِي بَالْجَرْيَـــانْ   أَمَحْــــلاَهْ ابْحَرْ جــُونْ

خَادْ جْوَارَحْ الابْــدَانْ   ....

وبين خوفه أن لايكون في مستوى هذا الحب :

لَعْقَلْ حَايَرْ هَيْمَـــانْ   وَنَاسَاهِي غَفْـــلاَنْ

وَالْعُمْرْ مْضَى خُسْــرَانْ   طُولْ حْيَاتِي مَدْيُـــونْ

إنما يعود فيستبشر ويبشر : أوليس هو الشفيع ؟نعم

هُوَ دَبَّابْهَا انْهَارْ يْضِيقْ الْحَــالْ   فِي يُومْ اللّْ تْفِيدْ مَخْلُوقْ انْدَمَــا

مَا بِينْ الانْبِيَا وْالافْضَالْ الأَرْسَالْ   كَبْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعْظَمْ لَقْيَامَــا

أَنَا لَهَا يْقُولْ طَيَّبْ كُلْ افْعَـــالْ   هَذِي بْشْرَالْنَا بَالْعَفْو وَسْلاَمَـــا

وَكْمَالْ شَفَاعْتُو مْنَ اللّه كْرَامَــا

ويختم بالصلاة على النبي الكريم ... وقد سبق أن قال في المقطع الثاني :

مَا فَ صْلاَتُو نُكْـــرَانْ   وَالنَّاكَرْهَا مَلْعــــُونْ

وهذا رد صريح واضح على الذين كانو يروجون لطروحات الفكر المعتز لي المتطرف في عصره ، وإن دل هذا البيت على شيء ، فإنما يدل على تصوف امتيرد في حب الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ...

من الجيلالي متيرد الى الجيلالي الحقيقي

نَارْ الْبِينْ اللِّي كْدَاتْ بِينْ ضْلُوعِي وَسْفَـــاقِي   وَالْمُهْجَا وَالدَّاتْ حَارْقَـــا

هِيَّجْهَا قَبْلْ الصْيَامْ فَ : اعْضَايَا رِيحْ اشــْوَاقِي   وَتْرَكْ رُوحْ الدَّاتْ شَايْقَـــا

مَنْ شوْقِي هلُّو دمُوعْ عيْنِي فـ : الْخدْ اسْــواَقِـــي	أوْ امطْارْ تْصبّْ دَاْفْقـــا
وَالنُّومْ احلْفْ مَا يرُومْ جفْنِي ضيّْ أو اغْســاقِـــي	ساهرْتْ اوقَاتِي الْفَاسقْـــة
شلاَّ مَا قَاصيتْ فـ : الْمْحبّاً وَالشوْقْ وْبَـــاقِـــي	كَانتْمْنَا ساعْتْ الْقـــا
هيَّ عنْدِي عزْ منْ الروُحْ اللِّي بِهَا بَــــاقِـــي	وَغْلاَ منْ عيْنِي الرَّامْقـــا
وَحْسنْ منْ مَالِي امعْا اهلِي وَاحبْابِي وَارْفَـــاقِـــي	وَفْضلْ لِي منْ كُلْ مَا ابْقَـا
وَحْلاَ منْ شهْدْ الْجبْاحْ ، وَطْيَبْ فِي قلْبْ اعْمَـــاقِـــي	منْ طيبْ النَّسمْا الْعَابقْـا
لاَينْ قدْرْ اللِّي اعْشقْتْ عَالِي .. وَعْظِيـــمْ .. وْرَاقِـــي	منْ لاَذَاقْ مْحبَتُو شقْـــا
قوْتْ الروُّحْ ، وْنُورْ للْبْصيراَ .. وَضيْاَلمْـــــأقِـــي	منْ سرّْو الاسْرَارْ دَافْقـا

تعرفنا على "محبوب" الجيلالي امتيرد ... من أول جملة في قصيدته :

حبْ حبْيبْ الرَّحْمـــانْ   خمرّْنِي يالْخـــوَانْ

لكن "محبوب" الجيلالي لحقيقي ... مر المقطع الاول بكامله ولم نتعرف عليه ... كل ما في المقطع ... هو وصف لما يعانيه من هذا الحب الذي لازمه "قبل اصيام" أي من صباه وأن أقصى ما يتمناه هو ساعة لقاء ...وأن ساعة اللقاء هاته ... أعز من الروح ، وأغلا من المقل ... وأحب من المال والاهل والاحباب والرفاق ... وأحلا من العسل ، وأطيب من كل نسمة عطرة ... ويختم المقطع بقوله :

لاَينْ قدْرْ اللِّي عشْقتْ فَالِي ... وَعْظِيمْ .. وْرَاقِـــي	منْ لاَ ذَاقْ امْحبْتُو شقْـــا
قُوتْ الروُّحْ ، وْنُورْ للْبْصيراَ ، وَضيْا لمْـــأقِـــي	منْ سرّْوْ الاسْرَارْ دَافْقـــا
أعْطِيتْ الْبيْعَة الْمَالْكِي وعْلاَ حسْنْ اتْفَـــاقِـــي	عَاهدْتُو بعْهُودْ وَاتْقَـــا
غِيرْ أنَا وَاللّهْ وَالسنْا منْ طِيفْ الْيشْــراقِـــي	كَانتْ بيْعَا حقْ خَارقْـــا
امتْزَجْ طبْعِي امعْاهْ وَظْهرْ سرُّو فـ خــلاَقِـــي	وَافقْنِي جلْ الْموَافْقـــا
يْعدلْ أوْيْجُورْ هذْ الْعْصرْ حسْبِي رُونَـــاقِـــي	وَسْعادتْ رُوحِي الرَّايْقـا

عندما يصل الانسان الى هذاالحال من التجريد ، يصير حقا من الصوفية الكْبَارْ، ولا أقول المْتَصوفَة .

"يَعْدَلْ أَوْ يْجُورْ هَذْ لَغْصَرْ " لا يهم - حَسْبِي رَوْنَاقِـــــي وَسْعَادَتْ رُوحِي الرَّايــقَا

على كل حال ... القصيدة أكبر بكثير من أن تحلل في جزء من كتاب ... والمعول على القارئ الكريم - أن يقرأها بحضور تام ..... فماذا باستطاعتي أن أقول عن هذا البيت ؟ ...

غِيرْ أَنَا وَاللَّهْ وَالسْنَـا مَنْ طَيْفْ الْيَشْـرَاقِـــي كَانَتْ بَيْعَا حَقْ خَارْقَـا

والبيت الذي يليه :

امْتَزَجْ طَبْعِي مْعَـاهْ وَظْهَرْ سْرَوْ فْ : خَـلاَقِـــي وَافقْنِي جَلْ الْمْوَافقَـا

فانا لا أحلل القصيدة كما ينبغي التحليل ... ولا أتعامل مع النقد وفق أصوله ومناهجه ... بل أكتفي بإشارة هنا وأخرى هناك وأمر مر الكرام على كل المواطن التي تحتاج في تحليلها الى صفحات وصفحات ... لان طبيعة الكتاب لا تحتمل ولان المدائح المحمدية الملحونة تحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وليس الى عشر فصل في كتاب .

وتْمَـامْ مْنَايَـا وْغَايْتِي وَنْهَـايَتْ تَرْيَـاقِـــي وكْمَالْ النْعْمَا اللاَّحْقَـا

العْطْفَا لَمْدَاوْمَا بْجُـودَكْ تَشْرَقْ فْ غْسَاقِـــي شَمْسْ الْحَقْ اتْدُومْ شَارْقَا

لاشك قد لاحظت - عزيزي القارئ - هذا الالتفات المفاجئ ... من ضمير الغائب الى خطاب الحاضر ... يسمونه في حضيرة الملحون "تنبيه اللي غفلوا" ... وربما خصصنا له فقرة أو فقرتين في الفصل الذي نخصصه لفنون البلاغة في فن الملحون .

إِلَى يَتْجَلاَّ بْهَاكْ كَانَفْنِـي فِي تَمْحَـاقِـــي بَشْعَاعْ انْوَارُو الْخَارْقَـا

وِيلاَ نَحْجَبْتِي يَتْيهْ عَقْلِي وِيهِيـجْ حْمَـاقِـــي وَنْهِيمْ فْ بْحُورْ غَامْقَـا

حَطِّيتْ حْمُـولِي فْ : بَابْ عَطْفَكْ مَنْ فُـوقْ انْيَاقِـــي لاَيَنْ بَتْقَلْهَا الْوَاسْقَـا

كَلَّتْ وَبْعَادْ الْمْسِيرْمَا بِينْ ضْعْـانْ رْفَـاقِـــي وَمْسَارَبْ لَحْيَاتْ خَانْقَا

فِي بَابْ حْمَاكْ الْعْظِيـمْ دَقِّيتْ وْتَـادْ وْثَاقِـــي بَالسْكِينَا وَالْمْلاَيْقَـا

وَجْعَلْتْ هْوَاكْ العْظِيـمْ دْكَّـارْ لَغْصَنْ وْرَاقِـــي وَثْمَارْ نْوَاحِي الْبَاسْقَا

أنهينا المقطع الثاني ... وبدأنا في الثالث ... ولا يزال لا يتحدث عن حبه الكبير هذا ألا بالاشارة والتلميح ...

سْقَانِي لَمْدَامْ ذَالْمَحَبَّة أَمَـامَنْ سَـاقِـــي صَهْبَا مَخْتُومَا امْعَتْقَا

خَمْرْ قْدِيمْ بْلاَ عْصِيرْ مَا يَتّْشْرَبْ بْعْرَاقِـــــي | بِه أفْضَـــــالْ الْقَوْمْ تَنْسْقَـا
يَسْرِي سَرْيْ الرَّاحْ فـ : الْعْضَا وَطْلُوعْ السّْرْيَاقِي | رُوحِي وَابْدَانِــي امْحَقْـقَـا
لَمْحَبَّا تَفْنِي رْسُومْ ذَاتِـــي هَذَا تَحْقَـــاقِي | وَالْمُهْجَـــا بَالْحَقْ حَاقَّـــا
بَرْدْيَا "تَاجْ الْكْرَامْ" صَهْدْ مْشَـــاهَبْ تَحْـرَاقِـي | بَاكْوَابْ الْخَمْـــرَا الْعَاتْقَـــا
وَسْقِينِي حَتَّى نْشَـــاهَدْ الْمَتْحَجَّبْ فـ : رْوَاقِـــي | نْفُوزْ بْطِيـــبْ الْمْعَانْقَـــا
نَنْسَى مَا عَانِيتْ مَنْ مْرَايَرْ فـ : عْـذَابْ فْرَاقِـــي | فِي لَحْظَـــافَنَّا مْرُونْقَـــا
بُوجُودْ الْعَطْفْ اسْعِيدْ وَطْلُوعْ بْهَـــاكْ الرَّاقِـــي | يَا "سِيَّدْ" مَنْ سَـــادْ وَرْتْقَـــا"
بَعْدْ خْفِيتْ هْوَاكْ فـ : الْعْضَامَا نَـافَعْ تَضْرَاقِــي | وَنْوَارُو فـ : الْقَـــلْبْ عَامْقَـــا
وَسْفُورَتْ لُونِي مْعَا نْحُولِي وَسْهِيــرْ غْسَـاقِـــي | مَنْ حَالِي لَحْبَـابْ شَافْقَـــا
رَحْمَا رَسْلَكْ رَافْعْ السّْمَا لَجْلِيلْ الْخَـــلاَّقِـــي | بَشْرِيعَـا كَشْمْسْ شَارْقَـــا

الآن فقط ـ وبعد أزيد من ثلاثين بيتا كلها رموز وإشارات صوفية محضة ... كلها تلميحات شاعرية رائعة ... كلها حالات شعورية صادقة ... يعرضها لنا بتعبيرات موحية تؤكد صدق الشعور ـ الآن فقط ... يعرفنا بحقيقة المحبوب .

رَحْمَا رَسْلَكْ رَافْعْ السّْمَـــا لَجْلِيـلْ الْخَـلاَّقِـي | بَشْرِيعَـــا كَشْمْسْ شَـارْقَـا
وَسْرَى بِكْ فـ لِيلْتْ السّْعْــــادَا فُوقْ الْبْرَاقِـــي | وَعْطَاكْ الْحُجَّـــا الصَّـادْقَـا
يَابْحَرْ مَنَ الْجُودْ وَالْفَضْلْ يَا مَحْبُـــوبْ الْبَاقِــي | مُولْ الْقَـــدْرَا دَايَمْ الْبْقَـا
أَنْتَ مُولْ الْحَوْضْ وَالشّْفَاعَا وَالتَّـــاجْ الرَّاقِـــي | خَبْرَتْ بِكْ السّْـــوَنْ نَاطْقَـا
وَدَكْ مُولْ الْمُلْكْ الْعْظِيـــمْ الْحَيْ الـرْزَّاقِـــي | بِمْحَاسَنْ لَبْهَـــاكْ لاَ يْقَـا
الرَّفْعَا .. وَالْجَاهْ .. وَالْعْنَايَا .. يَاضَيْ رْمَاقِـــي | لِيلِـــكْ فـ : الأَزَلْ سَابْقَـا
وَتْجَلاَّ نُورَكْ فـ الاكْوَانْ شَعْشَعْ مَنْ كُلْ افَـــاقِ | بَســــرُورْ الْبَهْجَة الدَّافْقَـــا
الْحِلْمْ .. الرَّحْمَا .. وَعْلَمْ وَاسَعْ.. شَعْ فـ : الاذْوَاقِـي | وَفْضَـــايَلْ مَاهِي مَضْرْقَـا

أَنْتَ هُوَ صَاحَبْ الشَّفْـــاعَا يُومْ "التَّــلاَقِـــي	يُومْ تْكُـــونْ النَّاسْ غَارْقَـاَ
فَ : بْحُورْ خْطَاهَا تْفُكْـــهَا بَامَرْ مَنْ عَتَّــاقِـي	وَتْخَلِّي لَحْسُـــودْ شَاهْقَـا

☆☆✪

اِلَى غَابْ بْهَـــاكْ فِي مْنَـامِي وَاَلْلاَفْفْيَـــاقِـــي	تَبْقَى رُوحْ الـذَّاتْ قَلْقَـــاَ
يَتْحَيَّرْ قَلْبِي مْعَا "الْوَجْدْ" وَيَقْــــوْاَ تَقْـلاَقِـي	وَنْفَاسِي تَمْشِـــي مْلاَحْقَـاَ
وَشْدَا عَطْرَكْ فَ : الاَكْوَانْ مَنُّو كَانْ اسْتَنْشَاقِـــي	فَ حْدَايَقْ زَهْـرِي الْحَادْقَـاَ
شَمَّيْتُو وَحْيِيـــتْ بِـهْ بِينْ دْهَـــاتْ الْحَـدُاَقِـــي	فَ : غْصَانْ دْوَاحِي النَّايْقَـاَ
قَالْ "الجِيلاَلِي" ابْمَدْحْ طَهَ عَمَّرْتْ اسْـــوَاَقِـــي	جَاتْ اهْلَ الْحَضْرَا امْسُوقَـاَ
رَبْحُوا بَصْـلاَتْ النَّبِي فْضَلْ مَا تَحْصِيهْ اوْرَاقِـي	بِمْعَنْتُـو لَعْقُـــولْ فَـايْقَا
خُذْ ارَاوِيهَا الْفَـاظْ تُورِيلَكْ طَرْزْ مْسَـــاَقِـي	فَ : بْيَـاتْ رْقِيقَا وْرَايْقَـــاَ
لَحْقِيقِي يَهْدِي سْلاَمْهَاَ لَدْهَـــاتْ الْحَـــدَاَقِـــي	اَوْلاَدْ الزَّهْـــرَةَ الصَّـــادْقَا
صَلَّى اللَّهْ عْلِيـــكْ يَا اْمَـــامْ اهْلَ الفَضْلْ الـتَّاقِـي	يَا سَيْـــدْ مَنْ فَازْ وَرْتْقَـــاَ
يَا تَاجْ الرُّسْلَ حْبِيبْ رَبِّي يَا ضَيْ ارْمَـــــاقِـي	بَصْـلاَتَكْ الاَنْجَـابْ تَرْتْقَاَ

☆☆✪

كان هذا هو النص الكامل للمداحية الصوفية ، وكما كتبها الجيلالي لحقيقي جازاه الله عن مكتبة الملحون بكل خير ... ولعل القارئ الكريم ، قد لا حظ أنها من نفس النبع الذي استقى منه الجيلالي متيرد .

الاشارات والرموز الصوفية ... هي هناك ، كما هي هنا .. التحليق البعيد والغوص العميق ... هو هناك كما هو هنا ... حتى المعجزات هي نفس المعجزات ... معجزة القرآن عند امتيرد .

صَلِّيوْا اعْلاَ الْعَدْنَـــــــانْ   مَنْ جَانَا بَالْبَيَـــــــانْ

وعند لحقيقي "وَعْطَاكْ الْحُجَّةْ الصَّادْقَةْ" وهي القرآن

معجزة "الاسراء والمعراج" عند امتيرد :

لِيلْ سْرَى بَالسرَّيَـــــانْ رَتْفَعْ لَلسبّْعْ امْتَـــــانْ
وَيُومْ حْرَمْ بَالْجَمْعَـــــانْ صلّي وَصْعَدْ مَامـــــُونْ
تَمْ دْنَـــاهْ الْمَنَّـــــانْ لَبْسَاطْ فْ : علُو الشـَّأنْ
قَلْبُو يَسْمَعْ يَقْضـــــَانْ وِبْنَاظِرْ دُونْ عْيُـــــونْ

وعند لحقيقي

وَسْرَى بِكْ فْ : لِيلْتْ السعْادَا فُوقْ الْبْرَاقْ

ومعجزة الاخبار به في الكتب السابقة عند متيرد : "مَنْ قْبَلْ اللّْ يزِيدْ خَبْرَتْ بِهْ كْتُبْ ... وعند "لحقيقي" :
خَبْرَتْ بِكْ الْسنْ نَاطْقَة" ....

والشفاعة المحمدية يوم الفزع الاكبر ... قال فيها متيرد المراكشي :

طَهَ دبَّابْهَا انْهَارْ يْضِيقْ الْحـــَالْ فِي يُومْ اللّْ تْفِيدْ مَخْلُــوقْ انْدَمَـــــا
مَابِينْ الانْبِيَا وَالافْضَالْ الارْسَـالْ كَبْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعظَـمْ لَقْيَامــــَا
أنَا لَهَا يقُولْ طَيْبْ كُلْ فْعَــــالْ هَذِي بْشْرَالْنَا بَالْعَفْــــوُ وَسْلاَمـــَا
وَكْمَالْ شفَاعتُو مْنَ اللّـــــهْ كْرَامَا

وقال فيها لحقيقي الفاسي :

فَأنْتَ هُوَ صاحْبْ الشفْاعَا يُومْ التْلاَقــــي يُومْ تْكُونْ النَّاسْ غَارْقــــَا
فَـ : بْحُورْ خْطَاهَا تْفَكْهَا بَامرْ مَنْ عتَّاقِي وَتْخَلّي لَحْسُودْ شَاهْقــــــَا

بل وحتى الصلاة على النبي الكريم ، للجيلالي لحقيقي فيها ، نفس اعتقاد الجيلالي امتيرد : فهذا يقول "ما ف : صلاَتُو نُكْرَانْ وَالنّاكْرهَا مَلْعُونْ وذاك يقول : "بَصلاتَكْ الانْجَابْ تَرْتْقَا"

أرجو أن أكون قد أحسنت الاختيار ... ولو أن من الصعب جدا جدا ، أن يختار الانسان ثلاث قصائد فقط ، من ثمان مائة قصيدة في المديح النبوي ...نعم ياحصرات القراء ، ثمان مائة قصيدة في هذا الغرض فقط وليس كل الاغراض ... أفلا يصعب الاختيار ؟ .

مديح نبوي للشريف محمد بن الوليد

اللازمة:

هَلْ يَاتْرَى نَلْقَـــــاكْ وَنْشَـاهَدْ نُورْ بْهَــاكْ يَاأَحْمَدْ يَـــاطَهَ

يَالْمُصْطَفَى زِينْ الزِّينْ وَيَا جَدّْ الْحَسَنِينْ

★✪☆

آهْ عْلِيَّ بْهَـــــــوَاكْ يَامَنْ رُوحِي ، فَ هْوَاكْ عَزْهَا وَهْوَاهَـــا

يَا اللِّي فِيكْ الظَّنّْ احْصِينْ وَنْتَ الْحِصْنْ الْحَصِينْ

سِيدِي لَكْرِيمْ عْطَــاكْ وَالرَّحْمَا مَنْ مَعْطَاكْ لَلْعْبَادْ عْطَاهَـــا

بِكْ إِسْلاَمْ الْمُسْلِمِينْ صَحّْ الصَّدْقْ الْمْبِينْ

صَــحْ الهُدَى بَهْــدَاك انْهَارْ اللَّهْ اهْـــدَاكْ لَلْهْدَى وَهْدَاهَا

وَدْهَا فِي لِيلْتْ الاثْنِينْ بِكْ الْمُولَى لَحْنِينْ

يُومْ الْحَق تْـــــوَلاَّكْ أُوبَانْوَارُو جَــــلاَّكْ دَرْجْتَكْ عْلاَّهَـــا

شَرْفَكْ وَنْصَرْ بِكْ الدِّينْ يَا تَاجَ الْمُرْسَلِينْ

وَسْلاَمْ اللَّهْ رْضَـــاكْ وَيَعَم اللِّي يَرْضَـــاكْ شُوفْتَكْ نَرْضَاهَا

يَاالشَّافَعْ فَ : الْمُذْنِبِينْ وَتْخَمَّرْنِي فَ : الْحِينْ

★✪☆

ابْدِيتْ فَ : انْشَادِي بَاسْمْ اللَّـــــــهْ

نَنْسَجْ حْلاَفَ : النَّسْبْ هَاشْمِيَّـــــــا

بَرْزَاتْ مَنْ شْجِيَّـــــا

بلْفَـــاظْ مرْتْضِيـــــا
ونْقُـــولْ يَا اللّهْ مُولَايـــــا
احْسَنْتْ فِيـــكْ ظَنْ رْجَايـــــا
ارْحَمْ جْوَارْحِـــي وعْضَايَـــــا
يَـــامَنْ رْزَقْتْ الاسْمَـــاكْ
ورْفَعْتْ سمْكْ الافْـــــلاَكْ
نَبْهْنِي لَنْهَاجْ الرْضَا انَّـالْ سلْاكِـــي
لَلسْـــــلاكْ نْسلْكْ آســـلاَكْ
نَتْوَسلْ بَاسمْكْ لِيــكْ اوبَصادْ طَـــهْ
وقَـــافْ وَالرَّحْمـــانْ اويَسِـــينْ
وَالقُرْآنْ الْمُبِـــــينْ

☆✯★

يَا أحْمَدْ صرْخَتْ منْ نَـــــدَاهْ
لاتَحْرَمْنِـــي منْ شوُفْكْ اَلْهَـــادِي
رَانَاكَا النَّادِي
يَاشْـــــافَعْ الْعْبَـــــادِي
وِيلَا نْــــرَاكْ يَـــــا مْحَمَّدْ
بَلْســـــانِي مْعَكْ انْشهْــدْ
ونْـــزُوكْ فِي بْهَــــاكْ اونَسْعَدْ

وَنْشــدْ فيـكْ وَنْــراكْ
كمَا صَحْـابكْ اتـرَاكْ
يَفْجَا بنُورَكْ ظْـلاَمْ حْلاَكـي
وِيشْرَقْ فِيـاً نُـورْ ضيّـاكْ
وَنْصلّـي مَنْ مُـورَاكْ
رْكَعْتِينْ نـزَاهَا
نْصيبْهَا يُومْ خَلاَصْ الديّـنْ
تَلْقفْ ذَنْبِـي لَمْتِـينْ

✪☆✯

مَا حرّ حَالْتْ بْطـاكْ
عَنْ ضَـيفْ جـاكْ نـادَاكْ
مَنْ قَامْ بَالْفَضلْ وَاشْ آنـاكِـي !
الضـيّفْ يَا مُحَمَّدْ لُـولاَكْ
مَـا تَتْشرَّفْ عُقْبـاكْ
مَا تْكُـونْ نْبَـاهـاَ
لَلاَشْـرَافْ الْمُقَرّبِـينْ
وَلاَلَّلْمَسَـاكِـينْ

✪☆✯

يَا الْهَاشِمِـي نـُورْ اللّـه
هَلْ يَامَنْ دْرَا نَلْقَـاكْ فِي مْنَامِـي
نَرْتَـاحْ مَنْ سْقـامِي
وَنْزْهْ النّيَـامِـي

نَظْـــرَافْ : صُورْتَكْ لَكْرِيمَـــــاَ

فـــــيِهَا البُشْرَى وَغْنِيمَـــــا

يَا أَبْ لاَ للأَّ فَــــاطِمَـــــــاَ

كَرْمْ الْكْــــــرِيمْ مَثْــــوَاكْ

وَرْفَــعْ دْـــــــرَاجْ مَــــثْوَاكْ

أَنْتَ فَ : الرْسَــــــاَلْ الزَّكِـــيِ

وَاسْمُو مَقْــــــرُونْ بَــــــأَسْمَكْ

وَالشَّمْسْ ابْنُــــــورْ ضْيَــــاكْ

شَعْشْعَتْ فَ سَمْــاَهَـــــــــاَ

مَنْ قَرْعْ بَــــــابْ ظْفَرْ بَمْنَــــاَهْ

فَضْلاَ عَنْ مَنْ يَقْرَعْ بَــــابْ جَـــدَوْ

حَاشَــــــا يْخِيبْ قَصْـــــدُو

فَ : اللِّي بْغَـــــاهْ عَنْـــــدُو

وَنْتَ يَــــــــــاحْمَدْ لاَبَــــدًّ

تَكْرَمْ حَفِيــــــــدَكْ بَمْوَدَــــــاً

مَنْ قَبْلْ مَا تْفُــــــوتْ الْمُــــدَاً

الْهَرْمْ دَرْكْ الْحْـــــــــــرَاكْ

وَرْمَا عْقْــــــــــاَلْ الادْرَاكْ

وَالشَّيِّبْ قَــــاَمْ جَنْدُو لَعْـــــرَاكِي

وَالاعْضَـــا كَلّتْ مَنْ الْعـــــرَاكْ

وَقْتْ الصغُّرْ الهَتّـــــــــــاكْ

فَ : الْوْعَرْ خَــــــــــلاّهَا

طـــــالْعَةَ فِي عَقْبَةْ ستّـــــينْ

يَا طَهَ بِــــــــينْ وبِــــــينْ

★✪☆

يَـــا الْمُصْطَفَى ضِيــفْ اللّـــــهْ

رَحَّبْ بِيّ يَاخَــــاتْمْ الرْســـالَا

وقُلْ لِـــــــي تْعَــــــالاَ

دَغْيــــــا بْلاَ مْهَـــــــالَا

نْرَا انْـــــوَارْ وَجْهَكْ لَجْمِــــيلْ

مْعَا جْمَـــــالْ خَدّكْ لَاْسِـــــيلْ

وَنْرَى جْـــــلاَلْ طَرْفَكْ لَكْحِــيلْ

فَرْحَـــــا وْعِيدْ نَحْكِـــي وَنْحَاكِي

عَنْ امْتَكْ وَالنَـــاكِي فَ : عــــذَاكْ

وَنْصَبْحْ امْــــــنَ التّيّــــــاكْ

مْنِيتِـــــي وفَاهَــــا

خَالْقِــــــي ربْ العَالَمِـــــينْ

مَلِكْ يَوْمِ الدّيّـــــــــــــنْ

★✪☆

أَشْ رَامَنْ لاَ شَـافْ بْهَـاهْ
كُلْ مَّا نَالْ فْ دُنْيْتُو خْسَارَا
لاَ مَالْ لاَتْجَارَا
وَلاَ يلُو عْمَارَا
سَعْدَاتْ مَنْ شْفَاوْا ابْصَارُو
فَ جْمَالْكْ أحْمَدْ وَانْوَارُو
دَارْ الْكْرَامْ هِيَّ دَارُو
نَعْمْ الْعْظِيمْ صَطْفَاكْ
سبْحَانُو وْنَبَّاكْ
وَانَا فِي سْكُونِي وَحْرَاكِي
نَرْتْجَى عُمْرِي مَا نَخْطَاكْ
نَصْبَحْ وَنْرُوحْ مْعَكْ
رَاحْتِي كُلّْهَا
فِيكْ .. عَادْ الزَّادْ أوْلَعْوِينْ
عَزْا مْنَ الوَالدِينْ

☆☆☆

زَانْتْ اسْمَاوَاتْ أُو أَرْضِينْ
بِكْ اسِيدْ التّْقْلِين

لاَإِلاَه إِلاَّ اللَّـــــــــــــــــهْ

وَنْتَ رَسُـــــول اللَّه يَا الْمُخْتَـــــارْ

مَنَّك نُورْ الانْوَارْ

وَنْتَ سِيـــــــــدْ الابْـــــــرَارْ

أَنَا دْخِيلْ لِيكْ بْ قَـــــافْ الْقُـــدْرَا

وْعِينْ عَزْ صَحْـــــــابَكْ عُشْــــرَا

وْبُو الْفَضَلْ وْفَــــاطْمَة الزَّهْـــرَا

وْلاَمْ لَمْـــــــــــــــــلاَكْ

الْقَـــــــرْاَبْ عَنْدْ مُــــــولاَكْ

هَا انَــــــا وَاقْفْ فْ : بَابَكْ شَــاكِي

زَكْتْ يَــــا مُحَمَّدْ فَ حَمْـــــاكْ

فَادِي رُوحِــــــي بَفَـــــدَاكْ

مَنْ يْدِيــــــــنْ عْدَاهَــــا

نَفْسْهَــــــا وَهْوَاهَا لَخْشِـــــينْ

وَالشِّيْطَـــــــانْ اللَّعِـــــــينْ

☆☆☆

خْيَارْ كُلْ مَا نَتْمَنَّـــــــــــــاهْ

مَنْ هَذْ الدَّنْيَــــا جُودَكْ الْعَرْبِـــي

هَـــــــذَاكْ حَدْ رَغْبِــــــي

يُغْفَرْ بـــهْ ذَنْبِــي

سِيـــدِي انْدُوزْ فَـ حْمَــاكْ

بْشْـــرَا مْنَايْنْ نْـــرَاكْ

خُـــذْ يَا رَاوِي سَـــرْ اللَّـــهْ

وَتْأَمَّلْ فَـ : كْلاَمِي وْقَيْـــسْ وْجُـــولْ

هَذْا الْحـــدِيثْ مَنْقُـــولْ

عَنْ مْلُـــوكْ لَعْقُـــولْ

الَّـــى أَنْتَ الْبِيـــبْ وْعَـــاقَلْ

خْضَعْ أوْتَـــأَدْبْ وَمْتَـــاثَلْ

حَتَّى تْنَـــالْ قَصْدَكْ كَـــامَلْ

وَحْكِـــي عْلاَمَنْ صَنْعَاكْ

وَاللِّـــي جَاوْسَقْصَـــاكْ

أَنَا اسْمِـــي اُفْ رْمُوزْ "كْنَابْكِـــي"

وَعْتَبْرَتْ الكَنْيَـافَ : "قْجَـــاكْ"

ايَكْفَـــاكْ اَيَـــزَّاكْ

انْتْهَـــا وَلَّـــلاَ : "هَـــا"

وَالسَّـــلاَمْ عْلَى الْمُومِنِـينْ

وَعْلَى الْمُجَاهِدِيـــنْ

لا أعلم على وجه التحديد و أهو الانس بالرسول جعله يشطح مثل هذه الشطحات ؟ أم هو تدلل الحفيد في أحضان جده الحبيب .

وَنْتَ يَامْحَمْدْ لاَبُــــــدْ

تَكْرَمْ حْفِيدَكْ ابْمَــــودَا

★★★

رَحَّبْ بِيَّ يَا خَاتَمْ الرْسَــالَا

وْقُلْ لِـــــي تْعَــالاَ

دَغْيَـــا بْلاَ مْهَـــالاَ

★★★

وعلى رأى الحاج محمد بنعمر المراكشي : "شْرِيفْ مْخَنْتَرْ . كِيفْ مَا كَالْهَا يَقْبَلْهَا جَدُّو إِنْ شَاءْ اللَّهْ".

تعرف هذه القصيدة باسم "الهاشمية" ، لان كاتبها قال :

نَنْسَجْ حلَّة ف : "النَّسْبْ " هَاشْمِيَّة"

أهو تذكير "بهاشميات" الكميت ، وما قال فيها عن آل البيت ؟وقوله :

هَذْا الْحْدِيثْ مَنْقُــــولْ

عَنْ مْلُوكْ الْعَقْــــولْ

أَوَلاَ يعني أولئك الذين مدحوا الرسول في حياته ، والذين أثنوا عليه بعد وفاته،صلى الله عليه وسلم ، والذين دافعوا عن آل بيته ؟ .

فمدائح حسان ، وبانت سعاد لكعب ، وتائية دعبل في آل البيت ، وقصائد الشريف الرضى في صريع كربلاء ، وقصائد مهيار ، وميمية ابن الفارض ، وبردة البصيري وبديعية ابن حجة الحموي ، ومدائح ابن نباته ، تزاحم قصائد الملحون في مخطوطات ، وتقاييد ، وكنانيش المكتبات الخصوصية لمعظم "الخزانا" أي رواة الملحون ...

بل أن فقرات طويلة من خطب الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نجدها في المخطوطات الملحونة كمقدمات لقصائد معينة مثل "عريس الجنا" "اتفافح" "اشباب الغساني" "العرفاويا" "الشافي".

فمثلا في مخطوط "الهاشمي" بوشعرة "السلاوي" - وقد وجدته في حوزة الحاج محمد بنغانم - لازمة " العرفاويا".

رَيْحِي وَسَرُورْ الْقَلْبْ وَالْمْنَا حبُ عْظِيمْ الْجَاهْ   مُولْ الْحُلاَّ وَالتَّاجْ يَا الْغَافَلْ كَثَّرْ فَ : صَلاَتُو

صَلَّى اللَّـــــه عْلِيـــــهْ

حَالِي لاَ حَالاَ مَنْ فْرَاقْ سِيدِي رَسُولْ اللَّـــهْ   أَمْضَرَا يَارَبِّي انْشَاهَدْ مْقَامْ شَفِيعْ امَّتُو

قَلْبِـــــي شَايَقْ لِيـــــهْ

وبعدها مباشرة .. أي قبل بداية القصيدة ، نجد هذه الفقرة من خطبة للامام علي كرم الله وجهه :

"أرسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الامم ، واعترام من الفن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقهاوإياس من ثمرها ، واغورار من مائها ، قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى ، فهي متجهمة لاهلها ، عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ودثارها السيف" وبعد هذه الفقرة مباشرة نجد النصف الكامل لقصيدة العرفاوية ...

بل أننا نجد في بعض المخطوطات للعربي المكناسي مدائح نبوية ملحونة تتخللها أبيات فصيحة ، ولعلها كانت تستعمل كمواويل للترويح بين كل مقطع وآخر :

يا مصطفـــــى من قبل نشـــاة آدم   والكون لم تفتح له أغـــــلاق

ايـــــروم مخلوق ثنــــــااءك بعدما   أثنى على أخلاقك الخـــلاق

✪☆✭

بعدت همة عـــــــين   طمعت في أن تـــــــــراك

أوما يكفي لعينـــــــي   - جعلت نفسي فـــــــداك -

أن ترى من قد رأى من   قــــد رأى من قــــدرآك

✪☆✭

ألايا محب المصطفى زد صبـــــابة   وضمخ لسان الذكر منك بطيبـــــه

ولاتعبأن بالمبطلين فإنمــــــــا   علامة حب الله حب حبيبـــــــــه

✪☆✭

الغرض الثالث :

"لوصايات" أو "لوصيات" وهي قصائد كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو ديني كالقصائد التي تنطلق من حديث جبريل المعروف "الاسلام ، الايمان ... الاحسان" وتركز على الكتاب والسنة . ومنها ما هو اجتماعي يشمل سائر الاخلاق والواجبات ويعتمد على التجربة والملاحظة.

غير أن هذه القصائد منها ما يوجه للمجتمع بصفة مباشرة كقول "بنعلي" :

لَّهْ يَا ابْنَ الدُّنْيَا خُذْ وْصَايْتْ الدهْاتْ اللِّي مَرْوِيًّا

قُلْ مُومَنْ لِيكْ نْظَمْهَا وْخُوكْ فَ : اللَّهْ

ومنها ما يخاطب فيه الشاعر نفسه :

يَا هَذْ النَّفْسْ اللِّي مْجَرْعَانِي كِيسَانْ الْأَسَا

رَجْعِي بِيَّ مَا حَدْنِي لْدَابَا مَا قَاطَعْ يَاسْ

أو يخاطب قلبه : "قَلْبِي يَا قَلْبِي تُبْ وانْتْهَى مَنْ لَهْوَكْ وَرْمِيهْ"

أو يخاطب شخصه : "أَرَاسِي نُوصِيكْ يَا الزَّايَدْ تَعْبِي وَشْقَايَا"

وهكذا يكون التوجيه والنصح بصفة غير مباشرة ... وتكون القصيدة وكأنها تجربة شخصية عاشها الشاعر ... وعبر عن إحساسه بها ... وهذه - لعمري - أروع قصائد هذا الغرض ، وأحبها الى قلوب الناس فليس فيها أستاذية ، ولا استعراض عضلات ، ولا تسبب للمستمع أية ضآلة أو تحقير..

فالشاعر يخاطب نفسه ، أو يحدث عن نفسه ، والمستمع يستمع .

فالقصيدة في الواقع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد .. ولكنها في الحقيقة تفعل في وجدانه ما الله به أعلم :

وقد اخترت من التوجيه الديني قصيدة "الخمس اوقات" باعتبار أن الصلاة عماد الدين . وأنها أكبر صلة بين العبد وربه ... ومن التوجيه العام الذي يجمع بين الدين والدنيا ، والمجتمع والناس ، قصيدة

"لَّه يَا ابْنَ الدنْيَا" ومن التوجيه الصوفي :

"زَانْ تَقْلِيدُ ومَنْ صَلَّى خَلْفْ إِمَامْ"

الخمس أوقات للشيخ لحمر

يَارَاسِي خِيرْ لِيكْ تُبْ لْمُولَاكْ وْعظَمْ الْقدَرْ   بَالْحَمَدْ وْغَايَتْ الشكُـــرْ

الْحَيْ الْوَاحَدْ الْمُهَيْمَنْ مُولْ السطْوَا الْعَالْيَا

احمَدْ نَعَمْ الْكْرِيمْ مُولْ الْقُدْرَا لَمْدَبَّبْ الأَمَرْ   وَطْلَبْ لَعَفُو مْعَا السَتَــرْ

وَالْعِنَايَا مْعَا الصحَّةْ وَالْبَرَكَا الْوَافِيـــا

رَبِّي غَانِي كْرِيمْ جِيدْ مُوجُودْ يَسَمَحْ وِيغْفَرْ   وِيشَافِي هَوْلْ كُلْ ضَــرْ

يْسَلْكْنَا جْمِيعْ بَالْعَتْقَا مَنْ نَارُو الْحَامْيـــا

بِجَهْ هْلَ الصفَا وْجَاهْ الْكْتُبْ وْجَاهْ مَنْ ذَكْرْ   وَهْلَ الْقُرْآنْ وَالذَّكْــرْ

وجبل عرضا وجاه من داروا عمرت كل زوايا

بِجَاهْ شْيَاخْ وَالتْلَامَدْ وَنْجُومْ الدَّاجْ وَالْبْـدَرْ   وَالأَوْلْيَا هْلَ الصبْــرْ

وَالشَّمْسْ وْجَاهْ مَنْ تْضَرَّعْ وَهْلَ النِّيَّةْ الصَّافْيَا

سألت شيخي وأستاذي سيدي إدريس العلمي رحمه الله عن معنى "نجوم الليل ، والبدر والشمس" في هذا السياق : فأجاب رضي الله عنه : "نجوم الداج هم الانصار والمهاجرين الذين انعكس عنهم نور الشمس ، فأضاؤوا به ليل الحياة ... والبدر هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... أما الشمس يرمز بها الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ حَضْـــاهَا   بِهَا يَنْجَى مَنَ الْهْمُـــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ رْضَــاهَا   بِهَا رَبْحُوا هْلَ الْعْلُـــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ قْضَــاهَا   قَالْ الْمُولَى رَبْحَتْ قَــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ دْخَلَتْ فَـ قَلْبُو يَنْجَى مَنَ الْمْكَرْ   وَالْهُولْ وْغُمْتْ الْقْبَرْ

وِينَجِّيهْ الْغْنِي الدَّايَمْ مَنْ شَدَّتْ كُلْ دَاهْيَا

الْخَمْسْ اوْقَاتْ فِي شَأْنْهَا كَمْ مَنْ حَدِيثْ مَشْتَهَرْ   وَامَا مَنْ أيْ فَـ السطَرْ

وَالصَّوْمْ وْحَجْ مَنْ الارْكَانْ وْهَلْ لَكْتُبْ دَارْيَا

وَجْهَادْ النَّفْسْ هُوَ لَجْهَادْ بْصَدْقْ يْنَاسَبْ الْعْصَرْ   وَهْلُو فَ : الْعَزْ وَالنْصَـرْ
وَالزّكَا فَرْضْ بِهْ تَبْقَى هَذْ الأُمَّا مْكَافْيَا

لااسمح لنفسي بتفتيش وحدة القصيدة ، قصد تسليط الاضواء على أبياتها لاكتشاف مافي تلك الابيات من أفكار وآراء رائدة .

فقوله عالى سبيل المثال ... "وَجْهَادْ النَّفْسْ هُوَ الْجْهَادْ بْصَدْقْ يْنَاسَبْ الْعْصَرْ

يحتاج الى تأمل .. وكذلك قوله"

"وَالزّكَا فَرْضْ بِهْ تَبْقَى هَذْ الأُمَّا مْكَافْيَا"

إنما المعول على القارئ ، أن يقرأ تراث آبائه وأجداده ... بصبر وتأني ... ليستطيع سبرأغواره ، والوصول إلى خفاياه ..

يَا مَا اسْعَدْ كُلْ مَنْ عْمَلْ تُكْلُو فِي مُولاَهْ مَا خْسَرْ   عَنُّو يَسْهَالْ مَاوْعَرْ
مَاخَاسَرْ غِيرْ مَنْ تْمَادَا   وَسْعَفْ نَفْسُو الْخَاطْيَا
شُوفْ اهْلَ الدِّينْ كُلْ وَاحَدْ فَ : الْجَنَّا عَدْلُو قْصَرْ   وَقِيلْ : عَدْلُو اكْثَرْ
مُولْ الْحُسْنَا رْضَاهْ رَبِّي وَسْعَدْ مَنْ نَفْسْ رَاضْيَا

✪☆✯

يَارَاسِي لَلْغْنَى اسْتَرْجَــــعْ   وَعْرَفْ الْمُوتْ كَايْنَــــا
صَغْيَ لِيَّ وْكُنْ تَسْمَــــعْ   وطْرِيقْ الْحَقْ بَايْنَــــا
بَالصّومْ مْعَا الصّلاَ وتْوَلَّــعْ   وَالْمُكْتَابَا امْعَايْنَــــا

نُوصِيكْ أَرَاسِي السَّاهِي قَلّْ مَنْ قَلّةْ الْوَقْــرْ   قِيلْ ثْلاَثَةْ أهْلَ الْغَــدْرْ
إبْلِيسْ مْعَ الْهْوَى ونْفْسَكْ هُمَا شَرْ الْمْلاَهْيَة
وإلَى تَسْمَعْ لِي نُوصِّيكْ ، صَغَى لَمْوَاهَبْ الذكَرْ   لُوطَالْ الفَلَكْ وَالْعْمَــرْ

لاَ تَتْبَعْ غِيرْ دِينْ رَبِّي قِيلْ الدُّنْيَا الفَانْيَة

أَشْ مَنْ زْهُو يْضَادْ الْخَمْسْ وْقَاتْ وْسَرْهَــــا ظْهَرْ   مَا كِيفْ وْلاَعْتْ الْفْجَرْ

وَالصُّبْحْ نْزَاهْتُه فَـ وَقْتُو وَالنَّجْمَة فِيهْ ضَاوْيَة

ماكِيف نْزَاهْةْ الدْهُو وَنْزَاهَا بْصْفُوفْ تَتْذْكَــــرّْ   هَذَاكْ لْذَاكْ مَا صْبَــرْ

مُورْ الإِمَامْ كَاتْبَايَعْ نَاسْ التَّقْوَى مْسَامْيَــــة

المقطع الرابع :

وَالعَصَرْ كْرَامْتُه كْــــــرَامَة   وَهْلُه لَكْرِيمْ كْرَمْهُـــــمْ

عَمْدًا عَمْدًا اللِّي تْعَامَــــــى   يَتْوَفَّى وِيشْتَاقْهُـــــمْ

أَنَا خُوفِي تْجِي نْدَامَــــــة   لَلِّي هُوَ تَرْكْهُـــــمْ

الْمُغْرَبْ يَا مَنْ تْسَالْ مَنْ صَلاَّ هَا فِي وَقْتْهَا بْشَــــرْ   وَالعْشَا وَالشَّفْعْ وَالْوْتَرْ

هَذَا رَبْحْ الاسْلاَمْ جُمْلَة وَاهْلَ النِّفَاقْ عَامْيَة

وَقْتْ الصَّلاَ مْعَ الاِمَامْ تَنْجِي وَتْزِيدْ فَـ الْعْمَــــرْ   مَعْلُومَة مَا لْهَا نْضَــــرْ

وَالتَّارْكْهَا نْهَارْ يِبْعَثْ عِينُو بَالدَّمْ بَاكْيَــــة

فِي جَهَنَّمْ مَنْزْلُه فِي بِيرْ الْفَلَقْ يَنْحَشَــــــــرْ   يَتْشَوَّى فُوقْ الجْمَــــرْ

اللَّهْ يْجِيرْنَا مَنَ الْقُومْ اللِّي بَالْجُورْ طَاغْيَــــة

تُبْ لْرَبِّي الَى بْغِيتِي تَغْنَمْ وَتْزِيدْ فَـ : الشُّكْـــــرْ   مَنْ تَابَعْ نَفْسُه خْسَــــرْ

عَايَشْ مَغْرُورْ غَرْتُه نَفْسُو وَإِيمَانُه الْخَاوْيَــــة

المقطع الخامس:

يَا حَيْ اللّ يْنَامْ تَغْفَـــــرْ وَرْحَمْ الاسْلاَمْ كَلْهَــــا

نَتْوَسَّلْ بْالنْبِي الطّاهَــــرْ وَالْمُعْجِزَة وَسَرْهَــــا

واصْحَابُو لاَ مْتْ الْغَنَـــادَرْ رَضْوَانْ اللّه عَنْهَــــا

اللّهُمَّ بْحَقْ مُلْكَكْ يَا رَبِّــــي سَلَكْ الأَمْـــرَ دَبَّرْ الاحْوَالْ يَالْبَــــرَّ

احْنَافِي عَارْ لاَلْ فَاطِمَة الزَّهْرَة البَاهْيَــــة

والسَّمَوَاتْ وَالْبَحَرْ وَالأَرْضْ وَالشَّبِّيكْ وَالْقَبَـــرْ وَالْخَلْفَــــا وبُــــوبكَرْ

نَتْوَسَّلْ بَالْفَضِيلْ عَثْمَانْ احْفَظْنَا مَنْ الْمَلاَهْيَة

اللّهُمْ بْحَقْ عَالِي وبْبَرْكَةْ سِــــيدْنَا عُمَـــرْ وَسَــادَاتِي اهْلَ الْغَـــزَرْ

مْعَ الْحَسَنِينْ وَالاشْرَافْ وْأَهْلْ النَّجْمَة الضاوية

اللّهُمَّ بْحَقْ فَضْلَكْ تَدْرَكْ الاسْـــلاَمْ بْالنّصَرْ يَا مَنْ هُو عَنْـــنَا اقْـــدَرْ

كَافِي يَا ذَا الْجَلاَل كَافِي وَنْتَ مُولْ الْمَكَافْيَة

المقطع الخامس:

مَصَّابْ يْجِي ضَيْا اعْيَانِــــي يَفْدِي فِي لاَمْتْ الْجَحُــــودْ

هَذَ مَا قَلْتْ فِي اوْزَانِـــــي سَبْحَانْ الْمَالَكْ الْــــودُودْ

سَلَّمْ يَاحَافَظْ الْمَعَانِـــــي لارْبَابْ الْفَنْ هَلْ الْجَـــودْ

وَسَلاَمْ لِلْمَاهْرِينْ جَمْلَة مَا فَاحْ الْوَرْدْ وَالزْهَرْ مَنْ عَنْدْ التّايْكْ الاحْمَـــرْ

يُوصَلْ هَذْ السْلاَمْ لِيهُمْ تْرُوحْ الذَّاتْ هَانْيَة

بَعْدْ السْلاَمْ وْالصْلاَةْ عْلَى طَهَ طَيْبْ الذَكْـرَ مُحَمَّدْ سَيَّدْ الْبَشَـــرْ

صلّى اللّه عليه قدْ القومْ الْحيَّـــــة وفَانيَـــــة

صلّى اللّهُ عليهْ عدّ الذّكْرْ ومَافيهْ منْ سطَـــرْ   ومَنْ يتْليهْ سرّ والْجهَرْ

وَهْلَ السنَّة وهْلَ الْحديثْ وَهْلَ الْهمَّة الْعَاليَــــة

الهمَامْ اللّي يتْوك قبْلَة لنَا مَازَالْ مَا ظهَـــرْ   مَالُه مَابَانْ لُهْ خبَــــرْ

مَنْ صَابْ يجِي يسلْ سِيفُه مَابِينْ سيُوفْ مَاضيَة

***

- اللازمة -

رَاجِي يعْفُو اللّهْ عنّي وانْعُودْ موَابدْ الْفجَــرْ   نعْبدْ الدّايمْ الاكْبَــــرْ

ونْكثّرْ فَ : الصلاَ علَى شفِيعْ الامَّة الزَّاكيَـــة

***

أما الشريف سيدي محمد ابن على الملقب ب :"ولد أرزين" .. فهو كالفقيه لعميري ينطلق من اطلاعه ، وليس من شعوره أو إحساسه..

وهو لا يخفي هذه الحقيقة ، بل يعلنها : "خُذْ وصَايتْ الدهَاتْ اللّي مَرْوِيَــــا" .

"شْحَالْ منْ قَوْلْ ورْدْ فيهمْ .. "هذْ الْموَاعْظَة منْ عنْدْ اللّي عَارْفِينْ" ...

"اسْمَعْتْ فِي حدِيثْ اهْلَ العلْمْ ..." نُوصيكْ كِيفْ وَصّى " الْحرِيرِي" قال

فَ : "الْمقَامَة السسَّانِيَّة . " قالوا نَاسْ الْحدِيثْ وَاهلَ الْعرَبِيـــــة"

على كل حال ، هو لا يخفى أنه ينقل عن "الدهات" و "العارفين" و "أهل العلم " بل يعلن ذلك بالكثير من الفخر والاعتزاز ، بل إنه في اللازمة ينادي المخاطب ب : يابن الدنيا " .

للّهْ يَا "بْنَ الدنْيَا " خُذْ ، وصَايتْ الدهَاتْ اللّي مرْوِيًّا

قُلْ مُومَنْ لِيكْ نْظمْهَا وخُوكْ فَ : اللّه

والمتصوفة ينعتون ما سواهم من عباد الله بهذا النعت "أبناء الدنيا" بل ويضيفون : "أن أبناء الدنيا لا يصلحون للآخرة ،

كما أن أبناء الآخرة - أي هم لا يصلحون للدنيا"

وقراءة متأنية لحديث : " من يكفله ؟ "تغني عن مناقشة مثل هذه الاقوال .

يَامَنْ خْفَاهْ حَالْ الدُّنْيَا واحْوَالْ نَاسهَا يَتْصَنَّتْ لِيَّ

اشْحَالْ مَنْ : "قَوْلْ وْرَدْ فِيهِمْ " يَامَنْ صْغَـــاهْ

نستعرض مع "ابن علي" في هذه القصيدة إذن مجموعة من الاقوال التي وردت في : "حَالْ الدُّنْيَا وَاحْوَالْ نَاسهَا".

اعْلاَ الاطْمَاعْ رَتْكَبْ حَالْ الدُّنْيَا وْحِيَهْا وَعْلاَ مَاهِـــيَّ

كِيفْ مَنْ شَيَّدْ سُورْ عْلَى الْفَضَا وَعـــلاَّهْ

حْرُوفْ" طْمَعْ" كِيفْ اهْلَ الدُّنْيَا جْبَاحْ مَنْ دَاخَلْ مَخْوِيًّا

وَاشْ تَرْجَا فَ : اللِّي خَاوِي عْلاَ شْ تَرْجَـاهْ

علق "أحمق الجن" على هذا البيت بقوله : لو قدم حرف " العين" وأخر حرف "الميم" لاصبح اللفظ"طعم" وإذن لوجد فيه الكثير من الخير والبر والوداد . هي نفس الحروف "من داخل مخويا""

هِيَ الْغْرُورْ وَاللاَّهِي بِهَا كَايْغَرْ لُوشَاقْ الْمَدْهِيـــًّا

وكُلْ مَنْ سعْا لِيهَا مَغْرُورْ خَابْ مَسْعَـــــاهْ

لاحظ حرفية الآية :

وَالْكَانْزِينْ ذَهْبْ أو فَضًا بِهَا جْبَاهْهُمْ تَضْحَى مَكْوِيـًّا

فْ : يُومْ يَصْلاَ وْاعْلَى حَرْ الْجْحِيمْ وَالضـــــاهْ

وحرفية الحديث :

جَنًّا لْكُلْ كَافَرْ وَسْجَنْ لَلْمُومْنِينْ هِيَّ هَدْ الدَّنـــــْيَا

مَنْ دْخَلْهَا وَخْرَجْهَا أَشْ خَرَجْ مْعـــــــاهْ

وَاللِّي تْقَدَّمْ تْوَجْدُو وَاللِّي تَنْفْقُو تْرَبْحُو لاَشَكِّيَّـــــا

وْكُلْ مَا تَرْكْتِي مَخْسُـــــــورْ غِيرَكْ الدَّاهْ

نُوصِيكْ كَانْ كُنْتِي دَنْيَوِي صَـــاحَبْ للاشْغَـــالْ الدَّنْيَوِيـــا
عْلِيكْ بَالتَّنْزِيلْ اتْحَزَّمْ مْعَـــــاهْ وَقْـــــرَاهْ
وِيلاَ مَا دْرَكْتِي سَتِّينْ عْلِيكْ بَ : الثْلاَثـــينْ الْخَتْمِيًّـــا
وْدِينَكْ تْفَقَّهْ فِيهْ فَ كُلْ بَـــــابْ تَفْقَـــاهْ
وَقْرَا "الْبَيَانْ" وَ "الْمَنْطِقْ" يْصَفِّي النُّطْـــقْ مَنْ كُلْ الْجَهْلِيًّـا
وْطَالَعْ مْنَ "التَّوْحِيد" اللِّـــي ابْلَغْتْ مَعْنَـــاهْ
وْخُذْ مْنَ التَّنْجِيمْ حْسَـــابْ الْوَقْتْ وَالْفْصُولْ اللِّي مَسْمِيـــًّا
لْجِـــيهْتْ الْقَبْـــلاَ تْتْوَجَّهْ كُلْ تُوجَـــاهْ
صَلِّي وْصُومْ وَاحْمَدْ وَشْكُرْ رَبْ الاشْيَاءْ كَـــامَلْ كُلْ عْطِيًّـا
دِيرْ مَايَبْغِي رَاحَـمْ ضُعْفْـــنَا وِيَرْضَـــاهْ
وَعْلِيكْ بَالغْرَاسْ للأَشْجَـــارْ الثَّـــامْرَ اللِّي فِيهَا غْلَّـــيًّا
وهِيبْ غَرْسَكْ فَ : سْبِيـــلْ اللَّـــهْ تَرْبَحْ ثْـــنَاهْ
وَتْعَلَّمْ "الرْمَايَا" وَرْكُوبْ الْخَيْلْ لَلْجْهَـــادْ بْقَصْدْ النِّيَّـــا
وَ"السْقَرْ" اتَّخْذُ لَلْحَرْبْ فْـــرَاشْ وَغْطَـــاهْ
زَكِّي وْعَشْرْ ، وْصَدَّقْ ..ذَاكْ اللِّي حْـــلاَلْ لَلنَّـــاسْ الاغْنِيـــًّا
وْكُلْ مَا فَ : الدُّنْيَـــا دُونْ الاحْسَـــانْ يُكْـــرَاهْ
نُوصِيكْ كَانْ كُنْتِـــي فَ : الدُّنْيَا لاَمْوَالْ لاَحَـــرْفَا نَقْلِيـــًّا
لاَغْرَاسْ وْلاَ "أَصَلْ" كَاتْعِيـــشْ فَ : كْـــرَاهْ
الرَّفْقْ فَ :الْمْعِيشَا افْضَلْ قَالُوا مْنَ التْجَارَا بَـــالَفْ مِيـــًّا
وْخُذْ رَاحَا فَ : نْصِيـــبَكْ مَنْ الْوَقْتْ وَشْقَـــاهْ
وَغْنَا عْلَى الْحْرَامْ بْ : الْحْلاَلْ كْفَـــاكْ كُلْهَا نَـاسُو مْغْنِيًّـا
وْكُلْ مَنْ يَقْنَعْ بَحْلاَلُـــو كْفَـــاهْ وَغْـــنَاهْ

اسْمَعْتْ فِي حدِيـــثْ اهْلَ الْعلَمْ العَارْفِـــينْ الاسيَـــادْ الأتْقِيًـا

الْقنَـــاعَا هِيَّ كَنْـــزْ الغنْـــا فْ مَبـــدَاهْ

"اقْضِـــي" بْمَا فْ : رَزْقَكْ وَصبَـــرْ حَتَّى الْيُـــومْ الاجلَ أُولَمْنِيـًا

أَشْ بِـــيدَكْ مَاتَخْتَـرْ ؟ كُلْشِـــي لْمُـــولاَهْ

وْلاَ تْشـــوُفْ دُومَـــالِي وتْحَسَدُو وَالْحسَدْ مْنَ الْكُفْرِيـــا

وْلاَ تْقَطَعْ ايـــاًسَكْ مَنْ اللِّـــي عطَـــاهْ وَغْنَـــاهْ

وَيْغِي لْكُلْ مُومَنْ مَا تَبْـــغِي لِيكْ كُلْهَا الاسْـــلاَمْ سْوِيـــًا

نَنْصَحْـــكْ وَنْصَحْنِـــي نَصْـــحْ الْقلُـــوبْ وَافْـــوَاهْ

وْصَـــايْتِي لْمَنْ يَصْغَـــى وَالتَّوْفِيـــقْ مَنْ العَالَمْ كُلْ خْفِيًـا

قَـــدْرْ اللِّـــي قَدَّ رْبَّ الاشْيَـــاءْ وَقْضَـــاهْ

أُوصِيـــكْ كِيفْ وَصَّى "الحرِيـــرِي" قَالْ فَ : الْمقَامَـــا السَّاسَانِيًـا

يُومْ وَاعَظْ وَلْدُو بَلْطَافتُو وَوْصَاهْ

إِيَّاكْ قـــال لُو : تَتْـــأَمَّرْ لاَفَ : الْمدُنْ وَلاَ فَ : الْبَادِيـــًا

ايَّـــاكْ تَتَّـــاجَرْ لاَ حَاجـــا فْ : بـــيعْ وَشْـــرَاهْ

ايَّـــاكْ الْفـــلاَحَا وَالرَّزْقْ الضَّـــامْنُوا يْجِيبُـــو لِيـــكْ وْلِـــيًّ

سَوْلـــوُ : كِيـــفْ يْعِيـــشْ ؟ فْ : دَنْيْتـــو : وُوَرَّاهْ

لْبِيـــبْ قَالْ لُوكُـــنْ .. وْكَيَّسْ .. لاَ تْكُونْ فَ لْسَانَكْ خَشْنِيًـــا

مْسَـــاعَفْ ... صَـــرُوخِي ... مَنْ رَمْتُـــو تْعِيـــشْ فَ : حْمَـــاهْ

بـــالصَّدْقْ ... وَالْوَفَا ... وَالْكَلْمَا .. وَالْعَهْدْ ... وَالْقَبُولْ مَنْ الْوَهْبِـــيًا

مَنْ قَبْلَ عَنـــــوْ رَبّ الْكـــــايِنَاتْ هَنَّــــــاهْ

أَيَّاكْ الْغَدَرْ .. وَالشُّبْهَا .. وَمْوَاطَنْ الاتِّهـــــامْ السُّوْئِيــــــّا

خُوكْ فَ : النَّاسْ اللِّي وَاتَـــــــاكْ كُنْ لُوخَـــــــاهْ

وَاصلْ الرَّحِيمْ وَلَّا تَقْطَعْ صِيلْتُـــــو فَ : قُرْبْ وَلَا بَعْدِيــــــّا

وَاصلُو لاَ تَقْطَعْ وَلُو يَصِيـــــــبْكْ خَطـــــــاهْ

وَجْعَلْ كُلْ مَنْ شَاتْ امِيـــــرْ وَكُنْ لِيهْ لِيكْ يَكُونْ رَعِيــــــّا

وَكُلْ مَا شَاتْ غْنَا عَنُّو تْكُـــــونْ فَ : ســــــوَاهْ

وَسَالْ كُلْ مَا شَاتْ فْقِيرْ امَنْ تْســـالْ فَ : الدُّنْيَا الدَّنِّيــــــّا

لاَشْ مـــــــا تَطْلَبْ رَبْ الاَيْمَنْ مَعْطَـــــــاهْ

نُوصِيكْ لاَ تْجَسَّسْ .. لاَ تَغْتَبْ لاَ تْنَمْ لاَ تَجْهَلْ أَصْلِيّـــــا

كُلْ مَخْلُــوقْ اللِّــي مَكْتُـــــوبْ لِيـــــهْ وَدَّاهْ

وَالْغَاتْبِينْ هَلْ الْمَعْـــاصِي ، هَنُوكْ شَرْ مَنْهُمْ فَ : الْمَعْصِيَّـــا

وَاعْظْ الْخَـــــلْقْ فَ وَجْهُو لاَ تْدَمْ فَ : قْفَـــــاهْ

النَّفْسْ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانْ عَـــــدَاكْ لاَ تَــامَنْهُمْ قَطْعِــيّا

وَاشْ مَنْ عَاقَلْ يَا مَنْ يَـــــا فْهِيـــــمْ فَ عْـــدَاهْ ؟

غَضْ الابْصَـــارْ عَلّ لَحْرَايَمْ وَفْ : شُوفْتْ الْحْرَايَمْ كُلْ خْطِيــّا

رَاقَبْ اللِّـــــي خَلْقَكْ فِي كُلْ حِــــينْ وَخْشَـــــاهْ

وَاخْتَارْ مَنْ تْرَافَقْ شَـــوفْ اللِّي طَـاعْ خَالقُو جَعْلُو وَلْفِيّــــا

عْسَى يْجَلْبَكْ وَتْوَ لّلِـــي لَلْوحِيـــــــدْ وَحـــــدَاهْ

مَرْجُوعْنَا الّلاصلْ قـــــالُو نَاسْ الْحــــدِيتْ وَاهْلَ الْعَرَبِيـــةْ

وَالاطْبَاعْ يِسْرَقْــــو الاطْبَـــاعْ يَالّلـــــي تـــــاهْ

نُوصِيـــكْ دِيرْ زَادَكْ مَنْ مَا تَصرَفْ مَنَ الايَّامْ اللِّي مَخْلِيَّـــا

اشْحـــــالْ مَا قَمْتــــي تَرْحَلْ يَامْدَخَّرْ بــــــلّاهْ

اقْصَدْ لَلطْرِيـــــقْ بْالافْعـــالْ الطَّيْبَا وتْوجَدْهَا مَخْلِيَّـــا

فِي صَحــــوُفْ فْعـــــالَكْ مــادرَتْ رَاكْ تَلْقَـــــاهْ

الَى فْعلّتِي سِيـــــةْ تَلْقَا ابْحـــــالْهَا وِيحْ اهْلَ السيِّـــةْ

وْمَنْ عمَلْ حَسَنْا بَالْعَشْـــــرَا صَحِيــــحْ مْجــــزَاهْ

لَمْحَاسْنِـــينْ فَ : الْجَنّا وقْرَارْ النْعِيمْ فَ : الْقْصُورْ العْلـــوِيَّا

وَالْجْحِيـــــمْ يْــــرَاجِي لَلْفَاجْــــرِينْ بلْضـــــاهْ

أمَّا خِيــــرْ لِيـــكْ ؟ الْجَنَّا وَ لَّل النَّارْ يَالنَّفْسْ الْمَذْهِيـــــةْ

يَاللِّــــــــــي مَا يَعـــــرْفْ غَدَّاوِينْ مــــتْوَاهْ

ابْكِـــــي عْلَى ذْنُوبَكْ مَــــادَلَكْ حَتَّى بَالدْمَا وَدْمُوعْ سَخْيَـــةْ

يَــــاللِّي مَا زَالْ انْهَـــــارْ الْحْســـابْ يَرْجــــاهْ

هَذْ الْمْـــــوَاعظَا مَنْ عَنْدْ اللِّي عَارْفِـــينْ تَكْفِي لِيكْ وْلِيـــةْ

يَاللِّي صـــــابْ اللِّي نَصْحـــوُ صَحِيـــحْ وَصـــاهْ

ستَّامْنَ الاقْسَـــــامْ فَ : مِيَاتِي خُذْهُمْ كُلْ قْسَمْ بُوصِيـــــةْ

وْكُلْ بِيْتْ عَنْ أيَا وَحْدِيــــتْ قـــــامْ مَعْنـــــاهْ

وَسْلاَمْنَا لْنـــــاسْ التَّسْلِيمْ مَا فَاحْ الزْهَرْ بَنْســـومْ دْكِيـــةْ

وْلاَسْلاَمْ عْلَى الْعَارَفْ مَنْ نْشَـــــــاهْ وَعْصَـــــــاهْ

وَالْغَاتْبِينِي فـَ : الْغِيبــَا لَمْلاَكْ جَاوْبـــُوهُمْ فـَ : الْغِيْبِيــــا

وْلاَ يـْعَرَفْ الْغَتـــــــابْ عْلِيــــــهْ لَعْنَتْ اللّـــــــهْ

وْشَرْ مَنُّو غَاتَبْ الاشـــــــرَافْ مَنْ الْغَلْ وْمَنْ الْبُغْضِيــــــا

وْمَنْ بـْغَضْهُمْ يِبْغَضُـــــــــو فِي انْهَـــــارْ يَرْجـــــــاهْ

امْحَبَّتْ الاشـــــرَافْ الْوَجْهْ اللِّي جَابْشِـيرْ وَنْـذِيرْ اللّبْرِيـــا

وْمَنْ كْرَهْهُمْ يْكَرْهُو مَايـــــــنُورْ فـَ : حْمَـــــــاهْ

مُحَمَّدْ اسْمِي وَرْجَـــايْ فـَ مَنْ لاَيَخْيَبْ اللاَســـلاَمْ رْجِيـــا

وَلْدْعَيْنْ الرَّحْمـــَا نَعَمْ الْجْلِيـــــــلْ صَطْفَـــــــــاهْ

اعْلِيهْ الصـــــلاَتْ امْنَ اللَّهْ مَا دَامْ الصّبَـــاحْ وْكُلْ عْشِيـــا

مَاتَنْتْهِــــــــى وَسْـــلاَمْ اللَّهْ كِيـــــفْ يَرْضـــــــاهْ

افتتحنا هذه الاغراض الدينية الثلاثة بقصيدة "الصرخا" أي الاغاثة ، وهي لسيدي عبد القادر العلمي. ونحب أن نختتمها بقصيدة "الإمامة""زَانْ تَقْلِيدُو مَنْ صَلَّى فـْ خَلْفْ إمَامْ"، وهي لنفس الشاعر .

تقع هذه القصيدة في واحد وستين بيتا على قافية الميم .

وهي ككل رسائل الشيوخ الكبار الى مريديهم ، تتابع المريد في كل أطوار حياته خطوة خطوة .

أَمَّا مَنْ ضْعِيفْ الزَّادْ عْلَى السلُوعْ رَسَـــامْ مْعَا الْتّجَارْ فـْ : بِيَانْ سْوَاقْهاَ يْزَاحَمْ

هكذا بدأ القصيدة ... عينة من البشر سباقة في كل ميدان ، وتزاحم رواد كل ميدان .

كْفَاهْ مَسْكِينْ بْسِيمَتْ هَلْ الْفَنْ يْسَامْ   وْلاَ فـْ مَلْكُو مَنْ ذَاكْ الْفَنْ غِيرْ الاَسَمْ

يكفي الواحدمن هؤلاء أن يصنف ضمن أهل هذا الميدان أو ذاك ، حتى ولو لم يكن يعرف من هذا الميدان أو ذاك إلا الاسم

هو يشير في هذين البيتين الى المشعوذين المتطفلين عى "اسواق أهل الله" لكن المثل ينطبق على كل المتطفلين في كل

الميادين ، خصوصا وأنه أضاف :

تَاجَرْ بْغِيرْ بْضَاعَا بَالْفَضُولْ يَتْهَـــــامْ   كِي دْخَلْ يَخْرُجْ حَدْ شْطَارْتُو يْسَاوَمْ

مَا وْصَلْ مَا وَصلُوهْ الْوَاصلِينْ الْكْـــرَامْ   غِيرتْهُمَا لَسقْتْ مَنْ جُمْلَتْ الْمْتَاهَــمْ

ويدخل بنا الى صلب الموضوع :

الطَّامَعْ بْأُجْرَا لَلْخَدْمَا يْشَدْ الْحْـــزَامْ   وِيبرْ بْ : مَخْدُومُو ، وَلْطَاعتُو يْلاَزَمْ

الاجرة هنا هي رضي الله ، هي روح الله ، هي البشرى بالقبول ، والخدمة هي كل الرياضات والمجاهدات من قيام وصيام وأذكار ، وأيضا قضاء حاجات الناس وتقديم العون لهم ، إنما - وكما سبق القول - فإن الامثلة التي يصنعها سيدي عبد القادر العلمي ، يراعي في صنعها أن تكون صالحة للدنيا ، كما هي صالحة للدين ، إذ يتوجب على كل طالب أجرة .

............لَلْخَدْمَا يْشَدْ الْحْـــزَامْ   وِيبرْ بْ : مَخْدُومُو ، وَلْطَاعتُو يْلاَزَمْ

وْلاَ يْكُونْ قْلِيلْ الصَّرْخَا كْثِيرْ لَمْـــلاَمْ   عْيُونْ رَاسُو يَقْظَانَا وَالْقْلِيبْ نَايَمْ

وْلاَيْقُولْ خَدَمْ نَاسْ الْحَالْ كَمْ مَّنْ عَـامْ   وْلاَ نْظَرْ لَلسَّعْدْ بْشَارَا وْلاَ عْلاَيَمْ

يَجْتَهَدْ فَ : الصَّبْرْ أُويَرْجَا صَرْوُفْ الايَّامْ   كِيفْ يَرْجَا الرَّاحَا مَنْ هُوَ مْرِيضْ عَادَمْ

وْلاَ يْكُونْ مْثَلْ مَنْ يَغْشَاهْ مَرْضْ لُوخَــامْ   سَاعَتْ الرَّافَا يْلْقَا خَاطْرُو مْفَاكَمْ

وْلاَ يْكُونْ فْ : لَحْرُوبْ بْلاَ سْلاَحْ زْعَّـامْ   بَاشْ يَلْقَى صَدْمَتْ لُوغَا الَى تْلاَطَمْ

وْلاَ يْكُونْ عْلَى الْبَعْضْ مْنَ الْوْرَادْ قْـدَّامْ   بْدُونْ "عَارَفْ" شِيَخْ مْرَبِّي فْقِيهْ عَالَمْ

نعم إن أهل الملحون يشترطون الشيخ للتلقي ، ومن أقوالهم في هذا الباب : "شِيخْ بْلاَ شْيَاخَا بَاطَلْ شَاخْ" "وْشِيخْ بْلاَ شِيخْ لُوعْمَرْ جْبَحُو خَالِي" ، ولكنهم لا يشترطون في الشيخ الذي يعلم الملحون أن يكون بهذه المواصفات : "عارف ، مشيخ ..مربي .. فقيه .. عالم" : فالمسألة أكبر بكثير من "شيخ لفريحا" أو "شيخ شْجِياً" إنه الشيخ الذي قال عنه الامام الغزالي في الاحياء ، وفي غيره من كتبه :

ينبغي للسالك شيخ ، مرشد ، مرب ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقا حسنا] وفي مكان آخر يقول : [ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى] ويشترط في الشيخ [أن يكون من فقهاء الشريعة ، ومن المعرضين عن حب الدنيا ، وحب الجاه ، و أن يكون قد تابع لشخص بصير تتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان الشيخ هكذا ، وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم

وكان بمتابعة الشيخ البصير ، جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل ، واليقين ، والقناعة وطمانينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار وأمثالها ، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلح للاقتداء به] .

وْلاَ يْكُونْ عْلَى الْبَعْضْ مَنَ الْوْرَادْ قَـــدَّامْ   بْدُونْ عَارَفْ شْيْخْ مْرَبِّي فْقِيهْ عَـالَمْ

ثم أن الاوراد تشمل الكثير من العبادات ومن ضمنها الاذكار ، والاذكار تكون ببعض اسماء الله الحسنى،والاسماء الحسنى في تعاليم السادة الصوفية ـ منها ماهو للذكر والتخلق ، كالكريم جل جلاله ، والحليم جل جلاله والعفو جل جلاله ، والودود جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتعلق، كالرحمان جل جلاله ، والملك جل جلاله ، والقدوس جل جلاله ، والعظيم جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتحقق كالاول جل جلاله ، والاخر جل جلاله ، والظاهر جل جلاله،والباطن جل جلاله ، ولهذا لا ينبغي للمريد أن يذكر بإسم من أسماء الله الحسنى إلا إذا أذن له الشيخ .

فالذي تغلب على نفسه الشراسة ، أوالرعونة ، أو الفضاضة مثلا .. ينصحه الشيخ بأن يذكر باسم القهار جل جلاله ، والذي لا تزال تزل قدمه ولو من حين لاخر ، ينصحه الشيخ بأن يذكر باسم التواب جل جلاله ، أو باسم العفو جل جلاله ، والخائف الوجل يذكر باسم السلام جل جلاله ، أو باسم المؤمن جل جلاله ، وأصحاب العلل المزمنة ينادون "يارحمان يارحيم" أو "ياأرحم الراحمين" وهكذا ...

فالشيخ إذن هو الذي يعرف طبائع نفوس مريديه ، ويتابع تحولاتها باستمرار . ويرصد ما يطرأ عليها من تغيير، وبالتالي هو الذي يعرف ما يصلح حال هذه النفس،وما يناسب تلك،فهو طبيب نفوس مريديه .

مَابْلُقْيَا ف : مْسَالَكْ هَلْ الْفَنْ يْـــــرَامْ   اصْبَعْ الاعْوَجْ مَا وَاتَاوْهْ الْخْوَاتَـــمْ

الدْوَا النَّافَعْ مُرَّا شَرْبْتُوفْ : لُفَـــامْ   حِينْ يَتْجَرْعْ بَالتّْكْلِيفْ لَلْحْلاَقَـــمْ

وِيسَرِّي لَلجُوفْ يْنَقِّي عْفُونْ الاتْـــخَـامْ   مَنْ الْقَلْبْ الْمَلْسُوعْ الْمَبْتْلِي السَّاقَمْ

وهذه فلسفة سيدي عبد القادر في "الصبر والتوكل" كما أشرنا إليها في أول قصيدة من الغرض الاول .. الصبر عند تجرع الدواء ، والتوكل على الله في الشفاء . الصبر على مشاق العمل ، والتوكل على الله في إنجاح العمل .

وفي طريق القوم ، الصبر على الجوع والعطش في الصيام ، والتوكل على الله في القبول ، بل الصبر في كل الرياضات والمجاهدات التي يامر بها الشيخ ، ومن دون تأفف ولا تبرم والتوكل على الله في إصلاح حال النفس .

التْلاَمَدْ فَحْضَنْ الاشْيَاخْ مَثْلْ الايتَامْ وْمَنْ "طْرِيقْ الْقَوْمْ" الْمَكْفُولْ مَا يْخَاصَمْ."ما يخاصم" أي لا يجادل،فالمريد وهو في مجلس شيخه ينبغي أن يحترمه ظاهرا وباطنا . يقول الامام الغزالي في إحدى رسائله : [أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسالة ولو علم خطأه ، وأما احترام الباطن : فهو ان كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن ، لا فعلا ولا قولا ، لئلا يتسم بالنفاق] .

وْ حِينْ يَكْمَلْ حَالُو وَالرُّشْدْ فِيهْ يَفْهَـــامْ   يَحَلْ تَحْجِيرْ وَمَنْ هُوَ عْلِيهْ حَـــاكَمْ

كَالْجَنَانْ الَى صَبْ عْلِيهْ مُزْنْ الْغَمَـــامْ   وَقْتْ هِيجَانْ الْقَاحُو فـ : الدْجَا الْبَاهَمْ

يَزْيَانْ غَرْسُو يَطْفَحْ زَهْرْ وَيْطِيبْ الانْسَـامْ   بَعْدْ زَهْرُو يَثْمَرْ وِيعُودْ رَوْضْ نَــاعَمْ

مَا يْلُومْ مَنْ عْشَقْ مَنْ فَاتْ فِيهْ الْغَـــرَامْ   حِيتْ جَفْنُو فِي بَحْرْ الْحُبْ كَانْ عَايَـمْ

إِلَى يْشُوفْ خْيَالْ حْبِيبُو فـْ : طِيبْ الْمْنَامْ   يَقُولْ مَا بَاقِي هَجْرْ وْفَزْتْ بَالنْعَـايَمْ

أَمَّا إِلَى تَمْ الْجَمْعْ وْوَاصْلُو بْالاقْـــدَامْ   وْنَادْمُو وَحْيَا بِهْ عْوَاهَدْ الْمَـــرَاسَمْ

يْصَدَّقْ الرُّؤْيَا يَشْرَحْهَا بْخِيرْ وَسْـــلاَمْ   يْصِيبْ حُسْنْ الْفَالْ لْتَعْبِيرْهَا مْـوَالَمْ

يَرْتْحَمْ : "السَّرْ الْكُلِّي التَّامْ الْعَـــام"   فـْ : مَنْزْلاَ مَحْجُوبَا عَنْ لُومْ كُلْ لاَيَمْ

ويعد وصفه لجماليات البدايات ومحاسنها - وليس من الاقطاب الكبار من لا يحن الى لوامع بدايته وبوارقها ، وإلى ما رأى فيها من رؤى ، وما شاهد من مشاهدات - بعد وصفه الشاعري الجميل لبداية التنوق عند المريد .. إلى أن يرحمه الله بما أسماه : "السر الكلي التام العام" يبدو وكأنه يخشى على هذا المريد أن ينزلق ، أن تنال منه آفة من آفات الطريق ، فالانس قد يكون السبب في الشطحات ، والقرب ربما أوصل الى التمادي وسوء الادب ، ولهذا نراه يقول له بكامل الصراحة والوضوح :

زُوكْ فـ : السُّنَّة .. وَدْخُلْ تَحْتَ ظَلْ لَعْلاَمْ   وْلاَ تْكَدَّرْ صَفْوْ الْحَسْنَاتْ بَالْمَـــاتَمْ

وْلاَ تْبَدَّلْ صَدْقْ الْيَقْضَا بْطِيبْ الاحْـــلاَمْ   وْلاَ تْقَابَلْ سَرْ اهْلَ الْكَشْفْ بَالْمْنَـــايَمْ

كُنْ فِي مَجْمَعْهُمْ زَاكِي مْهِيلْ مْبْهَـــامْ   كُن عَنْدْ الأَمْرْ إِلَى أَذْنُوكْ عَـــازَمْ

غَارْسْ الْحِيلاَ مَا يَجْنِي ثْمَارْ الْمْظَـــرَامْ   ابْحَالْ مَنْ يَزْرَعْ حَبْ الْقَمْحْ فـَ: السْمَايَمْ

مَا يْفُوزْ بْغَلاَّ بِهَا عْلِيهْ يَنْعَـــــــامْ   مَا يْنَالْ الرَّاحَة دَغْيَا يْعُودْ نَـــادَمْ

الْوَرَادَ بْلاَ لَـــذَّا نُوعْ مَنْ الالَـــــمْ   الْغْدِيرْ حْدَاهْ وْجُوفُو عْطِيشْ فَـــاحَمْ

مَنْ تْعَبْ فـَ : الْمَبْدَا يَرْتَاحْ عَنْدْ الْخْتَـامْ   إِلَى بْرَا ضَرْ الْقَلْبْ ارْتَاحَتْ الْكْـــوَايَمْ

مَا يْلُوسَهْمْ قْصِيرْ الْبَاعْ بِينْ الاسْهَـــامْ   لُو يْكُونْ فـْ : ظَاهَرْ فَعْلُو حْرِيصْ عَـازَمْ

وَاشْ حَقْ الصَّابِي يوم الْخَلُوقْ يفْطَـــامْ ... لالْبَا تَدْيْ أ ولا طَعْمْ لِيهْ رَايَــــمْ

غِيرْ كَاتْخْرَجْ دَا تُومَنْ غْمُوقْ الارْحَـــامْ ... لْمَنْ انسَاهْ يسْبَحْ وَعْلَى اللْبَا ينَـــاهَمْ

يُوجَدْ نْعِيمْ فْصَدَرْ الأُمْ بِهْ يُرْحَـــامْ ... كِيفْ يرْجَامْ ضْعِيفْ النَّبْتْ بَالرْهَـــايَمْ

مَنْ فْقَدْ تِيسِيرُو بِينْ اللْسُونْ يدْمَـــامْ ... ضِيقْ لَمْعِيشَا يكْسَر هَيبْتْ اصَــلادَمْ

كِيدْ هَاذْ الدُّنْيَا قَانُونْ شَرْحْ يغْـــلاَمْ ... الَى بْرَقْ ضَيْ الشَّمْسْ نْزَاحَتْ الدوَاهَمْ

صَالْحْ الرَّيْ الْصُحْبَتْ هَلْ الْخِيرْ يلْهَـــامْ ... يَا هْنَاهْ الَى كَانْ بْحَقْهُمْ قَـــايَمْ

كُلْ مَنْ يَحْضَرْ مَجْمَعْ ذَكْرْهُمْ يرْحَـــامْ ... يْعَايَنْ الرَّفَا بَاعتِقَادْ لِيهْ جَـــازَمْ

حَلاوتْ الْعَطْفْ يطْلَبُوهَا خْصُوص وَعْوَامْ ... وَالاغْرَاضْ اخْتَلْفَتْ فَطْبَايَعْ العَــوَالَمْ

وَالشْبَابْ الْمَرْبُوحْ مْعَ وقُوفْ الايَـــامْ ... اِيحَلْ بَابْ الْمَنْزَلْ وِيفَتْحْ الشَـــرَاجَمْ

الَى خْفَاوْ أهْلَ الْحَكْمَا عَن عْقُولْ الْغَشَامْ ... يْعَرْفُوهُمْ أهْلَ التَّمْيِيزْ بَالْوَسَـــايَمْ

بودي لو أستمر في القاء بعض الاضواء على أبيات هذه القصيدة حتى النهاية،إلا أن الاغراض التي لا تزال أمامي كثيرة جدا ، ويتوجب علي أن أترك لكل غرض حصته من صفحات هذا الكتاب . ويرحم الله القائل : "آذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار ".

وها قد ظهر المعنى الصوفي لهذه القصيدة ، وأرى أن لا ضير على القارئ إذا ما تركته مع ما تبقى منها دون أدنى تدخل مني .

اسْتَنْشَقُوا رِيحْ الْمَسَكْ مَنْظَفِينْ الْخَشَـــامْ

لُو يَنْحَجَبْ عَنْهُمْ ف : دوَاخَلْ الْمَكَاتَـــمْ

الْقَمَرْ مَنْ بَعْدْ يغَطِّيهْ ثُوبْ الْغَمَـــامْ

الغْلاسْ تْرَاهْ عْلَى هَالْتُه تْرَاكَـــمْ

يبَانْ شَطْرُو وِبْيَاضُه مَنْ الْجَوْ سَهَّـــامْ

كِي يبَانْ الشِّيبْ مَنْ سَحُومَتْ اللْمَـــايَمْ

المقطع الرابع

مَنْ حفَظْ خَمْسَة دَالْحَسنَاتْ حفَظْ مُحْكَـــــمْ

وفِيهْ رَسْخُوا كِي رَسْخْ الْوَشْمْ فَ الْمْعَاصَــــمْ

يَعْتَدْلْ مِيمُونُو وَالسَّعْدْ لِيهْ يَسْقَــــامْ

يرْتَفَعْ بَعْدْ الْخَفْضْ الْهَامَتْ الدوَاخَــــمْ

الصمْتْ وَالْعُزْلَة ، وَالْهدْنَة ، وتَرْكْ الْمْــــلاَمْ

وَالْقَنَاعَة ، وفْرَاقْ الْبَعْضْ مَنْ بْنَــــادَمْ

ومَنْ تَرْكْ خَمْسَة دَالسيَّاتْ تَرْكْ عَــــزَّامْ

كِي يتْرَكْ الْمَحْرُومْ اللِّي عْلِيهْ حَــــارَمْ

الْحْسَدْ ، وَالْكِبرْ، وَالْجفَا ، وضِيقْ الاشْيَــامْ

وَالطْمَعْ بيْتْ الدلْ ومْنَصْبْ الْحْشَــــايَمْ

كُلْ سِيةْ مَنْ دَالسيَّاتْ ضَرْهَا ســــامْ

فَاقْ سَمْ الْحيَّاتْ الرُّكْدْ السْــــوَادَمْ

هْبِيلْ مَنْ يزْعَمْ يتْزَيَّا بْزَيْ الْكْــــرَامْ

ويبْلِيسْ عْلَى عَنْقُه بَالاَقْدَامْ زَاطَــــمْ

مَا يلْقْ يوْجَةْ وَجْهُه لْهَذَا الْمْقَــــامْ

غِيرْ مَنْ نَفْسُه فِي مَلْكُه مْثِيلْ خَــــادَمْ

تْرَيَّضْ ارْبَابْ الْفَنْ نْفُوسْهَا اللَّقْــــوَامْ

كِي تْرَيَّضْ الْعْرَابْ عْوَاصِيْ الْهْجَــــايَمْ

وَاشْ مَنْ بَاتْ عْلَى فتْرَة وْضَلْ هَـــــوَامْ

كَمْثَلْ مَنْ بَاتْ يْصَلِّي وْضَلْ صَـــــايَمْ

المقطع الخامس:

الشْرِيعَة جَرْزَتْ مَنْ فِيهْ بَانْتْ أثْـــــامْ

لُو زْعَم وْاينْ قَلْبُه مَنْ الْجَهْلْ سَـــــالَمْ

وَالْحقِيقَة يفْعَلْ مَارَادْ مُولْ الْحكَـــــامْ

عَبْدْ رَحْمُه سِيدُه مَا ضرَتُّه جرَايـــــمْ

حيَّاهْ بَ : التُّوبَة مَنْ يَحْي رمِيمْ الْعْظَـامْ

وأَيْدُه بَالْقُرْبْ وْنَقْدُه مَنْ النْقَـــــايَمْ

الرَوْفْ الْبَرْ ، الشَّافِي ، الْغْنِي ، السّلاَمْ

يْنْتَجْ الْعُقْمَاوِينَطْقْ الْبـــــوَاكَمْ

سَرْ الاجَابَة فَ : صْدُورْ الرْجَالْ مُكْتَـمْ

فُوقْ مَا يَنْكَتْمُوا الْكْنُوزْ وَالْحـــــرَايَمْ

سَرْهَا خَبْرُو بْجُودُه لْسُونْ الاقْـــلاَمْ

وْخَرْقْ عَادتْهَا فِيهْ قْصَارَتْ الْفْـــــوَاهَمْ

نْفَايِس الدُّرْ مَنْ جْوَافْ الْبْحُورْ تُغْنَامْ

وْلاَ يْغُوصْ عْلِيهَا إلاَّ شِيخْ عَـــــازَمْ

مُسْتَمْرْ مْعَا مُوجْ البَحَرْ شِيخْ عَوَّامْ

مَنْ الصْغُرْ مَتْوَلَّعْ بَصْيَادتْ الْغْنَـــــايَمْ

كُلْ كَنْزْ فْ : بَابُهْ حرَّاسْ لِيهْ خُــــدَّامْ

وَمَنْ وْضَايَفْ شرْطُهْ الْبْخُورْ وَالْعْزَايَــــمْ

مَا يفْتَحُو إلَّا تَاقِي حكِيمْ نَجــــامْ

مَا يْهَمُّهْ رَصَدْ وْ لاَ تَرْهَبُو طَــــلاَسَمْ

المقطع السادس :

مْنِينْ يَتْنَفَّضْ مَنْ الادْنَاسْ قَلْبْ الغــلاَمْ

وِيرتْحَلْ يبْلِيسْ اللِّي كَانْ فِيهْ قَــــايَمْ

كَالْمْزَانْ الَى صَبْ عْلَى يبِيسْ الاكْمَــامْ

زْمَرْدُهْ يَصْبَحْ فُوقْ بْيَاضْ الارْضْ رَاشَــمْ

يلْبَس يزَارْ خْضَرْ وِيلُوحْ ثُوبْ الحْطَــامْ

لَلشبَابْ يْوَلِّي مَنْ بَعْدْ كَانْ هَــــارَمْ

عْلَى عْطُوفْ اجْنَابُو يرْخِي صْنَافْ الكْمَامْ

مَنْ الزْهَرْ وْعْلَى الرَّاسْ يْشَيَّدْ الْعْمَــايَمْ

يطَرْ دْخْيَالْ السُّودَ عَنْ ضْمِيرْ مْغْــمَامْ

حِينْ يَفْتَحْ زْهَرَا نْوَارُو بْثْغَرْ بَــــاسَمْ

الَى نْشَرَ دُرْ لْقَاحُو فَ : السْلُوكْ نَظَـامْ

والنْظَامْ بْزَهْرُو تَتْزَيَّنْ الْمْشَامَــــمْ

بْهِيجْتُو يَنْفِي مَنْ الْمْزَاجْ رِيحْ الْهْيَــامْ

كِيفْ تَهْرَبْ الْعْوَارَضْ مَنْ حْرُوفْ الاســمْ

عْلَى كْمَالْ الْحُسْنْ الْبَاهِي النَّايِرْ الْتَــــــــامْ

مَخْتْلَفْ الاغْصَانْ وْالاغْرَاسْ وَالنّْسَايِـــــــمْ

فِيهْ تَبْهَتْ وَتْحِيرْ دْهَانْ كُلْ رَكـــــــــامْ

رَايَقْ النَّفْسْ مْفَنَّنْ صَاحَبْ التّْرَاجِــــــــمْ

مَا يْمَيَّزْ هَذْ التَّرْتِيبْ جَلْفْ مُبْهَـــــــامْ

زَيْ أَصَمْ السَّمْعْ فْ مَحْفَلْ النّْغَـــــــايَمْ

أَوْ زَيْ مْرِيضْ اِلَى شَاوْرُوهْ بَطْعَـــــامْ

وْمَنْ عْوَايَدْ الْمْرِيضْ الزّْهْدْ فَ : الْمْطَـــــاعَمْ

مَا يْلِيَّنْ صَخُورْ الصَّلْدْ سِيلْ الادْيَـــــامْ

لُوِيبْاتْ عْلِيهَا وِيصَلْ مَاهْ سَـــــــــاجَمْ

المقطع السابع والاخير :

الْعْقِيلْ يْخَمَّمْ وِيَفْقْهُو التّْخْمَـــــامْ

فِي عْجُوبْ الْخَنَّاسْ مْهَيَّحْ الْمْظَـــــــالَمْ

وْسَاوْسُهْ تَسْرِي فَ : الاجْسَادْ سَرْىْ الْمْدَامْ

يَاْخُذْ بْالْقْلُوبْ أو الْعْـــــرُوقْ وَالجْمَّـــاجَمْ

دَاهْ شَاعْ وْدَاتُه خَتْفَاتْ عْلَى الْعـــــالَمْ

كِيفْ خَتْفَاتْ فْ : الْعْضَا عْلَتْ الْبــــلاَغَمْ

مَا يْمَكْنُه قُوَّاسْ يْشَدْ فِيهْ بْسَـــــهَامْ

وْلاَ يْطَعْنُو رَمَّاحْ قْوِي بْسَنْ فَاصــــــمْ

مَنْ اَعْتَصَمْ بَاللّه وْفَـازْ بَالاعْتِصَـامْ

هِبْتُو تَفْعَلْ فَعْلْ الْبَنْدْ فِي الصَـارَمْ

وِينْ مَا يَقْبَلْ وَسْوَاسْ اللّعِينْ يُرْجَـامْ

يَنْطْرَدْ وَالْجَمْرْفْ : نَحْرُو لْهِيبْ ضَـارَمْ

قُومْ طَهَّرْهُمْ الْمُولَى قْلُوبْ وَجْسَـامْ

لِ : يبْلِيسْ يْظَهْرُوا فِي صُورَةْ الدَّرَاغَـمْ

مَا يْبَارَزْ الْعْدُو صَافِي يْقِينْ بَخْصَـامْ

حِيثْ عَرْفُو يَسْرِي اللّعْرُوقْ فَ الْمَنَـاسَمْ

وْمَنْ سلَّمْ مَنْ ضَيْمُو مُحَالْ وَاشْ يَنْضَـامْ

صَارْ مَغْلُوبُو ، وَالْمَغْلُوبْ مَا يْلاَطَـمْ

مَا يَنْحَجَبْ مَنْ نَزْعَاتْ الْعْدُو الْمَشْنَـامْ

غِيرْ مَنْ بَالْحَقْ يْقِينُو صَدِيقْ جَـازَمْ

وْمَنْ صَفَى مَنْهَاجُو وْلْقَى سْعُودْ الايَّـامْ

رَايَسْ الْحَكْمَة بَالْحَاجَة يْجِيهْ قَـادَمْ

أهَلْ الْوْفَا نَظْرَتْهُمْ لْكُلْ ضَرْ مَرْهَـامْ

وَالْمَالَّمْ مَا يَسْتَغْنَى عْلَى التّمَـايَمْ

اللازمة:

زَانْ تَقْلِيدُو مَنْ صَلَّى فَ خَلْفْ الإمَـامْ

اِلَى يْكُونْ فَ سَرْ ضَمِيرُو يْقِينْ جَـازَمْ

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الغرض الى أن من بين قصائده ما يصل عدد أبياتها الى ست مائة بيت كوصية بوخريص مثلا :

يَا الْغــــافَلْ عَنْ مَا يَعْنِيهْ وَالْعُمَرْ حــــانْ   قُمْ ، وَاعْزَمْ ، وَاخْدَمْ ، يَكْفَى مَنَ اتْفَرْعِــين

أو وصية بوزايد :

يَا هَاذْ النَّفْسْ اللِّي مْجَرْعَانِي كِيسَانْ الأَسَى   رَجْعِي بِيَّ مَاحَدْنِي لْدَابَا مَاقَاطَعْ يــــاسْ

أما قصائد المائة بيت ، أو ـأقل بقليل كحالية مريفق ، وهي نظرات في سياسة النفس على جانب كبير من الدقة .

يَالْعَاقَلْ نُورْ الإلْهَامْ ضَنْ وَقَّــــاسْ   بِهِ تَدْرَكْ لَعْقُولْ نْفَايَسْ النْفَـــايَــسْ

أو تائية سيدي عبد القادر ، وفيها من غزير علم الاجتماع ما الله به أعلم :

لَعْبْ مَنْ غِيرْ شْطَارَا فُوقْ رُوسْ حَرْبَـــاتْ   هَكْذَاكْ ابْنْ أَدَمْ مَثْلْتْ فِي عَشْرَتُـــــو

أو الدار لنفس الشاعر :

أَشْ مَنْ عَارْ عْلِيكُمْ يَارْجَالْ مَكْنَـــاسْ   مْشَاتْ دَارِي فَ حْمَاكُمْ يَاهْلَ الْكْرَايَــــمْ

على كل حال "وصيات" الملحون تعد بالمئات وليس بالعشرات .

ـ الغرض الرابع "الربيعيات"

"الربيعيات" بتشديد الراء مع تسكينها ، هي الابداعات الفواحة بعبير الورود والازهار ، الصداحة بأغاريد كل أنواع الطيور .

"الربيعيات" هي قصائد الاجواء عندما تخلو من غمائمها الداكنات السود ، قصائد السماء وهي تستعيد شبابها وصفاءها ونضارتها ، قصائد الارض ، هذه العروس وكيف تراءت لشعراء الملحون في حفل زفافها ، وكيف أصبحت في "اصبوحي" وهي كلها مستعدة للاخصاب .

وبتواضع العلماء ، أطلقوا على هذا الغرض بكل بساطة "الربيعيات" والحق أن هذا الغرض ، أكبر بكثير من هذه التسمية : الربيعيات" ذلك لان سائر الابداعات الملحونة، التي يشملها هذا الاصطلاح ، لم تقتصر فقط على الربيع ، وإنما شملت الطبيعة ككل ، ولم تتناول الربيع إلا من حيث أنه جزء من كل ، ويعبر عن الكل.وسوف نرى أن هذه الربيعيات لم تقتصر على وصف الربيع فقط ، وإنما وصفت لنا أولا الفصل الذي يسبق فصل الربيع ، يقول متيرد :

زَلْزَلْ الرْعَادْ سَهْلُو وَوْعَـــــارُو   بَاتْ طَالَعْ وَاصْبَحْ لْمَّاعْ مَنْ بْرُوقْ تْشِيـــرْ

وَرْيَاحْهَا تْشَالِي وَمْزُونْ كْمَا الْجْحُوفْ مَسْطْــــورَا

ويقول ابن سليمان :

السْحَابْ اِلَى همَا سَحْبُو اللّبْطَـــــاحْ   يرْقَمْ الْفَلْكْ رقَامْ الرَّعْدْ فـَ : الْمْلاَمَـــحْ

والْبَرْقْ بَحْسَامُو يبَدْ وَشْجِيعْ الْكَفَـــاحْ   وَمَنْ سيُوفْ الْهَجْرَا قَلْبْ الْغَضَا امْجَرْحْ

وَالرْعَادْ ايزْكَّمْ طبَلُو عْلَى الْوْفَا صَـــاحْ   حمَلْ جيُوشُو نَارْ جْمِيعْ كُلْ نَايَـــحْ

ويقول نفس الشاعر :

الرَّعْدْ زَامْ طَبْلُو مَنْ بَعْدْ قْنَاطِرْ السْمَايَـمْ   وَالبَرْقْ سلْ سِيفُو وِيخَبْلْ فِي سْلُوكْ لْمِيزَانْ

وَالرِّيحْ فَارْسْ إِيشَالِـــــــــي   عَنْ عقَابْ الْعَلَفَاتْ فـْ : خَلْفْهَا مْشَمَّـــرْ

ووصفت لنا ثانيا أين يكون الربيع ، البساتين ، الجنان ، الرياض ، السهول ، الجبال ، المروج ، الربى ، يقول التهامي المدغيري :

يَالعَرْصَة صُولِي صُولِي بِطِيبْ الاطْيَـابْ   سَاكْنَكْ سِيدِي وَلْدْ السَّاكْنِينْ طِيبَـــا

ويقول بن مسعود :

ابْلُغَتْ الضَّاضْ اتْسَارِينَا جْمِيعْ فَرْيَاضْ   فـَ : الشْتَى وَالشَّمْسْ أُو الشْرِيفْ ضَلْ رَاضِي

ووصفت لنا ثالثا نتائج الربيع ، أو لنقل آثاره في الكائنات الحية التقارب ، التفاهم ، التجاوب ، الالفة ، التزاوج من أجل تخليد النوع ، أي نوع : الانعام ، الدواب ، الوحوش ، النحل ، النمل ، الفراشات الطيور ، الانسان ! نعم الانسان ... ولم لا ؟ أوليس الانسان أيضا من هذه البيئة الطبيعية التي تحيط بالشاعر ، والتي يصفها لنا في هذه الربيعيات ؟

فأنا في ترتيبي للاغراض ، جعلت "الربيعيات" و"العشاقيات" و"الخمريات" في مكان واحد،لاعتقادي بأن هذه الاغراض الثلاثة يكمل بعضها البعض الآخر ، تماما كما هو الحال في الاغراض السابقة : "لاإلاه إلا الله" عنوان التوسلات ، محمد رسول الله "عنوان المدائح ، وحاصل هذا الاقرار ، مكارم الاخلاق التي اشتملت عليها "لوصايات" .

ولعمري أن كل هذه الربيعيات التي ربما وصلت في عددها الى ثلاث مائة إبداع ، من "قصائد" وسرابات و"عروبيات" هي من باب " وأما بنعمة ربك فحدث" فالارض التي أكرمها الله تبارك وتعالى ببحرين بدل البحر الواحد، المحيط الاطلسي ، والابيض المتوسط وكم تصب في هذين البحرين من أنهار ، وعيون ، وآبار ، وشلالات ، وهذه التربة الخصبة الغنية المباركة ، قطع متجاورات عند النظر ، وغير متجاورات في العمق ، ليكون التنوع ، وليجعل الله لنا فيها من الخيرات ما تفرق في غيرها من أراضي الاوطان ، وهذا الجو المعتدل الجميل ، وهذا النسيم العليل المنعش ، لا في الاصائل ولا في البكور، وهذه الشمس التي أرادها المنعم الكريم صالحة لهذه الارض ، ونافعة لابنائها في سائر فصول السنة ، لو صادف كل ذلك ـ لاقدر الله البشر

السديم الذوق ، المتبلد الاحساس ، الميت الشعور ، المتحجر العواطف ، أولا تتلفه الغفلة ويطمره الاهمال ؟

ولكن لا .. المنعم الكريم ، الكامل ، الجميل ... الودود ... قد أتم نعمته علينا إذ جعلنا لا نغفل أبدا عما أنعم علينا به من نعم لا يحصيها عدد ، بل ننتفع بها وننعم ، ونحمده ونمجده ونثني عليه .

ف : السي التهامي مثلا - كما سنرى في النص الكامل - يختم الربيعية بقوله :

وَاجَبْ انْحَمْدُوا وَنْشُكْرُوا تْبَارَكْ اللَّـــــهْ   عْلَى النْعَايَمْ لَجْزِيلاَ رَبْنَا عْطَاهَـــــا

ونجد من لايستطيع الانتظار الى آخر القصيدة ، بل يحمد الله ويشكره ويثني عليه : مع كل رؤية ، مع كل صورة ، مع كل خاطر ، الحاج الحسن بنشقرون مثلا :

يَنْعَاتْ انْوَاوَرْ الْعْفَا وكْسَـــــاتْ الأَرْضْ   طَلْقَاتْ اغْصَانْهَا اللْفْضَا تَسْتَرْضَـــــا

مَنْ شَاهَدْهَا كْمَا نْشَـــــاهَا رَبْ الأَرْضْ   بَقْدُرْتْ مْوَاهْبُو كْمَا حَتَّمْ وَرْضَـــــا

وَجْعَلْهَـــا لَلْعْيُونْ فَ : النَّظْرَا تَرْضَـــى

غَاتْهَا لَكْرِيمْ ، الْوَفِي ، الْبَرْ ، لْحْفِيـــظْ   لاَحْتْ رْدَانْ غْطَاهَا وَالْكْرِيمْ حَـــافَظْ

ويقول في موضع آخر من نفس القصيدة :

ذَا الْمُلْكْ الشَّامْخْ الْمْتِـــينْ الَّل يَنْقَضْ   سُبْحَانُو كَامَلْ الْعْطَا قَاضِي الْقْضَـــا

يَا سَاهِي تْرَكْ سِينْتْ النُّـــومْ اسْتَيْقَظْ   وَرْشَدْ الاعْيَانْ مَنْ سَهُوهَا لَلْيَقْضَـــا

تَنْظُرْ مَا خْلَقْ مَالَكْ الْقُدْرَا وَقْضَـــــى

حتى الذي يغفل أو يتغافل بسبب من الاسباب ينبهونه :

"يَاسَاهِي تَرْكْ سِينْتْ النَّوْمْ اسْتَيْقَضْ" "فَارَقْ سَهْوَكْ نْظَرْ الاكْوَانْ" "حَلْ عِينِيكْ وَتْنَزْهْ زِدْ شُوفْ وَسْطَابْ" والامثلة كثيرة .

وإذا كان متيرد ، والازموري ، وبن سليمان ، وبن علي ، والغرابلي ، والحاج إدريس ، قد جعلوا في ربيعياتهم مجرد أبيات لحمد الله وشكره والثناء عليه ... فإن بن اصغير ، وبن سليمان وقدور لحنش ، ولهويتر ... قد خصصوا ثلاثة أرباع الربيعيات إما للتوحيد ، وإما للمديح النبوي وإما لهما معا .

نقرأ ربيعية بن الصغير الصويري فلا نجد فيها من جو الربيع إلا المقطع الاول ، والمقطع الثاني أما ما تبقى فليس إلا في توحيد الله والثناء عليه ، سوف نلتقي بمحمد بن الصغير الصويري في الملحون الروائي ، أو القصصي ، إنما الآن نثبت له هنا هذه الابيات العشرة من ربيعية له في "لرما الثلاثية" للدلالة على أن جل قصائد الربيع ، ماكان وصف الربيع فيها إلا كمركوب

إما للوصول الى توحيد الله جل علاه ، أو للوصول الى مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

والشاعر المغمور بن الصغير الصويري ، الذي لا تكاد تعرفه الا قلة قليلة من أهل الملحون هو من فحول الشعراء ، كما سيلاحظ القارئ الكريم لا في الابيات التالية ، ولا فيما سندرجه له من شعر قصصي في الغرض السابع من هذه الاغراض العشرة .

ويمتاز بن الصغير رحمه الله بخصوصيات لا نجدها أبدا عند غيره من الشعراء ، من هذه الخصوصيات ، التركيز على جزئية صغيرة بسيطة قد لا ينتبه اليها أحد ، مع وصف شامل لدقائقها ، وتفاصيل تلك الدقائق .

فمثلا في قصيدته "الشَّمْسْ وَالشْتَا" ، نجده يركز في المقطع الاول بكامله ، على أشعة الشمس ، وهي تنفذ من بين الاغصان لتنعكس على أوراق الشجر ، بما عليها من قطرات المطر ، أو لتشع في "سلُوكْ النُّقْرَا" .

شُوفْ انْوَارْ الشَّمْسْ سَاطْعَـــا .. شُوفْ الطَّلّْ قْطَاطْرُو مْلاَتْ الْوَرْقْ أُو الازْهَــارْ

تَتْبَاهَا كَالدُّرّْ وَالتّبَــــــرْ   فَرْقِيصْ أَلْوَانْهَا اتْحِيرْ النَّظّــــــارَا

وَالنَّاظَرْ لِيــ هـــا اِلَى تْمَلْمَلْ فَ : النَّظْــرَا   كُلّْ لَــونْ يَتْبَدَّلْ فَ : الْبَصَــرْ

وَتْوَلِّي لَلْـــوَانْ فَ : النّْظَــرْ   تَتْرَاقَصْ كُلّْهَا وْالافْكَــارْ احْيَــارَا

حَبَّـــاتْ الْبَلُّورْ .. أَوْ جُوهَرْ .. أَوْ الْيَـــاقُوتْ وَالتّبْرَا أَوْتْقُـــولْ ادْرَارْ

فِي سَـــايَرْ الاوْرَاقْ ذَا لْشْجَــرْ   وْعَنْ وْرِيقَاتْ كُلّْ زْهَرْ أو نَـــوَّارَا

وَشْعَى ضَيّْ الشَّمْسْ كَالسّبَــايَكْ   تَنْفَذْ مَنْ كُلّْ جِيهْ مَا بِينْ غْصَانْ اكْثَــارْ

وْمَا عْلَلْ الاوراقْ مَـــن الدُّرّْ   يَتْبَارَقْ بِينْهَا وَالْمْطَرْ هَمَّــارَا

يَامَنْ شَافْ الشَّمْسْ وَالشّتَــا فَ   رْيَاضَاتْ الْوَرْدْ وَالزّْهَرْ وَالنُّورْ أُو الانْــوَارْ

حَالْتْ صَحْوْا فَ حَـــالْتْ الْمْطَرْ   وَالْمَاصَافِي شْرِيقْ وَالْكُونْ مْنَـــارَا

شُوفْ دْمُوعْ الْفَرْحْ عَنْ خْـــدُودْ الْحَرْجَاتْ مْنُوْرَا اشْرِيقَا مَن دُونْ غْيَـــارْ

مَا فِـــيهَا لاَ حُزْنْ لاَ كْــدَرْ   وَالدُّنْيَا شَـــارْقَا يْمِينْ أوْ يْسَـــارْ

ركز فقط كما لا شك قد لاحظ القارئ الكريم على قطرات المطر ، وهي تبدو عالقة بأوراق الاشجار وكأنها : "حبات البلور ، أو جوهر ، أو الياقوت والتبرا أو تقول درار" وتتسلل أشعة الشمس من بين الخمائل والاغصان لتنعكس على تلك القطرات

فتحولها الى أحجار كريمة ترسل الالوان الزاهية البراقة ، التي تتراقص أمام الناظر وفق حركاته الخفيفة التي قد لا يحس بها .

أما المقطع الثاني يصرفه بكامله في التعجب ، الماء لا لون له ، ويلون كل الورود والازهار ، الماء لا عطر فيه ويعطر كل هذه الرياحين ... وهكذا ... وهكذا ... الى نهاية المقطع .

شُوفْ حَــــرْاَجْ الارْضْ كَالــزْرَابِي ، وَتْأَمَّلْ فِي رْكَيْـــمْهَا لاَ عَلَّ تَحْتْـــــاَرْ
كِيفْ حَتْرَتْ اَنــاَفْ : مَا ظْهَـــــرْ وَدْهَلْتْ أوتَهْتْ كِيفْ تَاهُو شْعَــــارَا
يَاكْ الْمَا هُوَ الْمَا اللِّي خـــاَلِي مَنْ لَلْـــوَانْ كِيـــفْ حَتَّى لَوَّنْ الازْهَـــارْ
زْرَقْ وبْـــيَضْ وَصفْرْ وَالاحمَـــرْ وَالْوَانْ كْثَارْ مَا التُّوصَفْ بِيشَـــارَا ؟
يَــــاكْ الْمَا هُوَ الْمَا اللِّي خَالِـــــي مَنْ لَلْـوَانْ كِيفْ حَتَّى غَلَّتْ الاشْجَــارْ
فَ : الْوَانْ اللِّـــي مَالْهَا احْضـــرْ مَا بِـــينْ اورَاقْ فَ : الْغْرَاسْ الْمَخْضَارَا ؟
وَالْبَرْقُـــــوقْ امْعَا الْعَنْبْ مَـــاوِي وَالتُّفَّــاحْ اونْجَاص مْتَبْضَعْ فَ : التَّشْبَـــارْ
وَالرُّمَّــــانْ مْجُوهَرْ ايْبْهَـــــرْ وَاللِّيمُونَا شَنْــــاَنْفْ اقْيَــاس عْبَــارَا
مَنْ يَخْبَرْ غِيــــرْ كِـــيفْ حَتَــى يَخْتَــالَفْ فَ : اللَّوَانْ كُلْ مَارَاتْ ابْصَارْ
أُوفَ : النُّوعْ الْشُــوفْتْ النْظَـــرْ أُوفَ : الطِّيــبَا خْلاَصْ طِيبَا حَيَّــارَا ؟
حَقْ الْحَقْ اَصَــــاحْ رَاهْ مَـــاَ كَايَنْ غِيـــرْ اللَّهْ صَانَعْ أُوبَادَعْ مَا يَخْتَــارْ
سَرْ اللــــهْ الْمَــالَكْ الاكْبَـــرْ جَلْ جْلاَلْ الْجَلِـيلْ فِي كُلْ إشَـــــارَا

وهكذا دخل بنا بن الصغير الى التوحيد من أحد أبوابه الواسعة ، باب الابداع الموصل الى المبدع . أي أنه ركب وصف الربيع للوصول الى التوحيد ، وكذلك فعل بن سليمان من قبل ... كتب ربيعية في عشرة أقسام ، خصص النصف الاول لوصف الربيع ، والنصف الثاني لتمجيد الله ، والثناء على رسوله .

السْحَابْ الَى هُمَا سَحْبُوالَّبْطَـــاحْ يَرْقَمْ الْفَلْكْ رْقَامْ الرَّعْدْ فَ : الْمْلاَمَـــحْ
وَالْبَرْقْ بَحْسَامُو يِبْدُو شْجِيعْ الْكْفَاحْ وَمَنْ سْيُوفْ الْهَجْرَا قَلْبْ الْعْضَا امْجَرَّحْ

وَالرْعَادْ ايزَكْلَمْ طَبَلُو عْلَى الْوَغى صَـــاحْ حَمّلْ جيوشو ثَأْرْ جْمِيعْ كُلْ نَـــايَحْ

وَالْمَطَرْ يَرْسَلْ لَلْبِيدَا عْلُـــومْ الْقَـــزَحْ كَايفْرَحْ بقْدُومْ الْغَيْثْ كُلْ قَـــارَحْ

حَنْ قَلْبِي بِبْكَالَغْيَـــامْ عَنْ التَّجْيَـــاحْ وْصَبّتْ اعْيَانِي عْلَلْ لَخْدُودْ دَمْعْ كَافَـحْ

هَبّتْ رْيَاحْ الْغَيْثْ عْلَى غْصَـــانْ الادْوَاحْ سَرّهَا يَسْرِي سرَى الرَّاحْ فَ الْجْوَارَحْ

فرقعات الرعد هي طبول الحرب لجيش تكفل بأخذ ثأركل "نايح" مما سبق من جفاف ، و "قوس قزح" هي أعلام البشرى بالفرح تلوح بها السماء الى الارض .

وأخيرا تاثره ببكاء الغيم من : "التجياح" أي ما اجتاح الارض من ويلات الجفاف .

حْيَاتْ الأَرْضْ مُوتْهَا مَنْ بَعْدْ الشُّـــومْ كَمَا تَحْيِي اشْوَاهَدْ قْلُوبْ الْفُهَّـــامْ

أي معنى رفيع يمكن في هذا البيت !؟ وأية معلومة دقيقة تجمع بين صدره وعجزه !؟ المطر ينزل من السماء فيحيي الارض بعد موتها ، والشواهد - القرآن ، الاحاديث القدسية ، الفتوحات ، الفيوضات ، الوهب الالهام - أيضا تنزل من السماء فتحيي ، "قلوب الفهام " ، ولقد كان شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي رحمة الله عليه يقول : الرحمان بإنارة القلوب بالغيوب ، إذ «الرحمان علم القرآن » ... والرحيم برزالة الكروب والعيوب : «سلام قولا من رب رحيم»، صدق الله العظيم .

كَأَنْتَى فَارْقَـــاتْ لَبْعَلْ كَمْ مَنْ يَـــوْمْ بَاتَتْ فَ : الزْهُوْ إِنْ بَانْ الفَجْرْ اعْـلاَمْ

حَمْلَتْ مَنْ زُوْجْهَا مْنِـــينْ غْشَـاهَا نَوْمْ صَبْحَتْ فِي ثَوْبْ عَبْقْرِي يَسْحَرْ الانْيَـامْ

وَضْعَتْ فَصْلْ الرّبِيعْ وَالْخِيرْ الْقَـــدَّامْ

إنه - ككل فحول الشعر الملحون - ينطلق الى وصف الارض من التعبير القرآني المعجز [وَتَرَى الارْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءْ اهتَزّتْ ، وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلُّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] صدق الله العظيم .

فِقْ مَنْ سِينَتْ نَوْمَكْ يَاغْفِيلْ تَنْظَـــرْ وَرْدْ وَزْهَرْ حَمّلْ طِيبُو نْسِيمْ نَشْـــرُو

كُلْ وَرْدَا عَنْهَا "حَبْ النْدَا مْجَوْهَـــرْ عَمْ بْسْتَانِي لَلْعُشَّاقْ طِيبْ زَهْـــرُو

الجزئية التي وقف عندها بن الصغير الصويري المقطع الاول بكامله ، "حب الندا امجوهر"

كُلْ مَنْ فَ : الْحَضْرَا بِبْرَايْقِي اتْخَمَّـرْ دُونْ مَنْ طَامَسْ شِيطَانُو بْصَارْ فَكْرُو

قُمْ يَا سَاهِي تَنْظُرْ لِي شْمُوسْ الْبْطَاحْ كِيفْ زَادَتْ حَلّتْهَا سَرْ لَلْبْطَـــايَحْ

وَسْجَلْجَلْ يَا قُوتْ عْلَى كْفُــــوفْ الادْوَاحْ   وَالاشْجَارْ عْرَايَسْ بْغَصَانْهَا تْصَافَــحْ

إنها فرحة اللقاء في مهرجانات الربيع ، الاشجارتتصافح بأغصانها ، غصينات الاغصان وكأنها الاكف تحمل جواهر "حب الندا" وسوف يبدأ الغناء ، والرقص وتبدأ التصفيقات ، وتشارك الطيور بألحانها في عرس الارض البهيج .

✪☆✬

تَتْصَافَحْ بَالْكْفُوفْ فَ رْيَاضْ السلْــــوَانْ   وَتْوَادَدْ بَعْضْهَا البَعْضْ بْسكُرْ بْنَــــينْ

وَتْصَفَّقْ بَالْوْرَاقْ تَتْرَاقَصْ الاغْصَــــانْ   عَنْ صَوْتْ الْبُوحْ وَمْ لَحْسَنْ وَمْ قْتِــــينْ

الاطْيَارْ صَوْاتْهَا تْرَنْ بْلاَ عِيــــــدَانْ   نَغْنِي "مَايَا" وْ "دِيلْ" وَ "الرمْلْ" أُو "لَحْسِينْ"

وَالنَّحْلْ يْجَاوَبْ الاطْيَارْ بِصَوْتْ حْنِينْ

انْسَاتْ الاطْيَارْ نْغَايَمْهَا فْ : رَوْضْ الاشْجَارْ   عَرْبَطَتْ مَنْ جَرْيَانْ الطَّلْ فَ : الْمَنَــابَرْ

فِي رْيَاضْ السلْطَانْ الْوَرْدْ مِيرْ الازْهَــارْ   لِيهْ أَدَّاتْ الْبَيْعَا سَايَرْ النْــــوَاوَرْ

مَا تْرَى فَ : الْمَشْوَرْ إلاَّ سْيُوفْ وَرْمَــاحْ   مْصَافْيِنْ عْلَى صَفْ اجْدَاوَلْ السـوَارَحْ

فَارْغِينْ الْكَـــدَّارْ مْوَهَـــبِينْ الارْوَاحْ   كَنْهُمْ هْمَامْ عْلَى جِيشْ جَنْدْ فَـــالَحْ

كُلْ قَايَدْ مَنْ قْيَّادْ الْجْنُودْ طَمَّــــاحْ   وَكُلْ حَامَلْ لَعْلاَمْ سْمِيتُو الْفَـــاتَحْ

✪☆✬

دَارَتْ بِينْ الْكْتَايَبْ عْلَــوْمْ الْخَــابُورْ   دَارَتْ لَلْمِيرْ مَنَ الْيَبْــرِيزْ جْوَامَــرْ

وَالنَّسْرِي نَــاشَرْ الْمَضْلْ عْلَى الْمَنْصُــورْ   وَهْدَاتْ الْيَاسْمِينْ لَلْمِــيرْ نَــانَرْ

وَالْخَيْلِي فِي تْبَاعْتْ الْوَرْدْ الْمَعْطُــــورْ   بَمْنَا يَرْضَا وَيَــامْنَ الْحُسَــنْ الزَّاهَرْ

وَنَا مَفْتُونْ فُوسْطْ الضَّيْ الْبَاهَرْ

وَالنْسِيمْ الفَانِي يَهْدِي غْرَايَمْ الْيَـــاسْ   لِيهْ نَاصَبْ طَمَّاجْ فْوَاهْ مَنْ خْمَاسِــي

وَالْغْصَانْ السكْرَانَا دَالْدَاكْ مَيَــــاسْ   وَالْعْشِيقْ بْرَزْ لَلْمَعْشُوقْ فَ : الْكْرَاسِـي

وَالْبْهَا يَسْقِي لَلنَّرْجِسْ صِرْفْ مَنْ كَـــاسْ　　مَنْ حْرِيرْ السَّنْدُسْ حَلْلْ لِيهْ كَاسِـي

وَالْبْهَرْ بَاهِي وَالسُّوسَانْ رَاخْفْ جْنَـــاحْ　　وَالزْوِيوَلْ وَنْسِيمْ الْقِيقْلاَنْ فْـــايَحْ

وَالنْخَلْ بَقْلاَ يَدْتَمْرُوتْهِيجْ الافْـــــرَاحْ　　بَالْعْقُودْ الْمَنْظُو مَا كُلْ جْدَعْ مَـايَحْ

✪☆✯

خَرْجَاتْ لَزْهُوْهَا حْوَادَقْ مَــــرْدَدُّوشْ　　وَصْبَحْ جُنْدْ الشْقِيقْ بَالْفَرْحْ فْ : تَشْوِيشْ

وَقْرَنْفَلْ عَلْدْمِي وْشَاكُوكِي مَرْشُـــوشْ　　وَالزَّفْرَانَا فْ : طَاعَتْ السُّلْطَانْ بْجِيــشْ

وَمْدِيدَشْ مَنْ مْدِيلْكَا غَايَرْ مَفْــرُوشْ　　لَبَّسْ جَنْدُو ثْيَابْ خَابُورِي لَلْفِيـــشْ

وَالْحَرْكَا طَايْلاَ وْفَضَّاهْ التُّوحِيشْ

زَهْرَتْ افْنَانْ الرَّوْضْ الْيَانْعَا بْالاَصْنَـافْ　　بَاهْيَا عَذْرَا بْكْرَا سَبْلَتْ السَــوَالَفْ

مَا تْخَطَّاهَا بَعْلْ مَنَ اجْنَانْ بُوصَـــافْ　　كَنْهَا حُورِيًّا فَتْنَا لْكُلْ عَـــارَفْ

ضَمَّتْ اشْمَايَلْهَا فَ بْسَاطْ لِيهْ تَشْـرَافْ　　لْكُلْ مَعْنَاوِي صَرْفْ كْوَابْهَا تْـرَادَفْ

مَا بْخَلْتْ أهْلَ الْفَنْ مْخَمْرِينْ الاجْبَـاحْ　　بَالتْمَرْحِيبْ طْلَقْتْ الْخُوفْ وَالتْسَـارَحْ

وَالزْهَرْ بَالنَّسْمَاتْ يْفُوحْ عَنْدْ الاصْبَـاحْ　　وَالاشْجَارْ تْرِيَّاتْ غْلُولْهَا امْصَـابَحْ

✪☆✯

وبانتهاء هذا المقطع ، وهو المقطع الخامس من القصيدة ، ينتهي وصف الطبيعة ، الذي كان مجرد مركوب للوصول الى توحيد الله والثناء على رسوله .

هَذَا تَسْخِيرْ مَالْكْ الْمُلْكْ الدَّيَّـــانْ　　تَكْوِينْ الْكَايْنَاتْ بِينْ الْكَافْ وْنُـــونْ

الْعَالَمْ مَا اخْفَا وَمَا نَظْرَتْ الاعْيَـانْ　　الَى قَالْ الشَّيْءْ : كُنْ فْ حِينْ يْكُـونْ

مَنْ فَضَلْ دِينْنَا عْلَى سَايَرْ الادْيَـانْ　　لاَجْلُو خْلَقْ الاكْوَانْ خَالِي وَالْمَسْكُـونْ

وَصْبَحْ يَبْلِيسْ فِي حْزَنْ سَجْنُو مَرْكُـونْ

لَاحَتْ شَمُوسْ الْحَقْ عْلَى السْلَامْ حُلاً ....

و من هنا ينتقل بنا الى تمجيد الاسلام ، والثناء على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونحن كما لم ندرج الشطر الاكبر من قصيدة بن اصغير لان مكانه الغرض الاول : "التوسلات" ، كذلك سوف لا ندرج ما تبقى من قصيدة بن سليمان لان مكانه الغرض الثاني "المدائح النبوية".

ونكتفي بهذين النموذجين ، من القصائد التي لم يكن وصف الربيع فيها الى وسيلة للوصول الى غاية أسمى وأعمق ، لننتقل الى القصائد التي يكاد يكون وصف الربيع فيها ، غاية في حد ذاته ، القصائد التي تصف الربيع ، من بدايتها الى نهايتها .

من هذه القصائد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر للجيلالي متيرد :

سَعْدْ السعُودْ خَبَّرْ بَخْبَـــارُو   عَامْنَا عَامْ البَرْكَا وَالهْنَا وْعَامْ الْخِيـر

مَنْ بَرْكَتْ النْبِي صَلَّى اللَّهْ عْلَى بَاهْيَ الصوُّرَا

و للشريف بنعلي :

نَـــادَا وَقْتْ الزَّهْـــو لَلنْظَرْ   وَالنَّظْرَا فَ يَّامْ الرّبِيعْ تْجَـــــارَا

لَهْ مَا تَزْهَـــا يَا خَنْـــارْ

وللحاج الحسن بنشقرون :

هَلّتْ مَزُونْ الْغَيْتْ عْلَى بْطَاحْ الْخْضِيضْ   كُلْ فَجْ اتْخَضَّبْ وَرْوَابْسِيلْ فَـايَضْ

وللحاج ادريس :

الرّبِيعْ اقْبَلْ بَالْفَرْجَـــاتْ   قُمْ نَسْطَابُو طِيبْ اوْقَاتْنَا عْلَى نُـوَّارُو

بَالْبْهَا وَالْكَاسْ أُوالاوْتَـــارْ

و ل : بن الطاهر المعروف ب : الشاوي :

اخْضَرّتْ الْبِيدَا يَاصَاحِي بْسِيلْ الامْطَارْ جَادْ الكْرِيمْ بْفَضْلُو حَلّتْ الْبْشَـارَ

أما الرياض والبساتين على سبيل المثال ... منها "روض" مريفق .

نَزْهْ الْبَصَرْ فَ : "رَوْضْ" خْصِيبْ فَاحْ بَنْسَامْ   مَنْ زْهَارْ خْمَايَلْ الاغْصَانْ يَالفَاهَمْ

ومنها "عرصة" المسفيوي .

صُولِي صوُلِي مَنْ مْحَاسنْكْ يَا عَرْصَت ْالازْهَارْ   فِيكْ اتْجَمْعُوا الابْكَـــــارْ

و"بستام سيدي قدور، وأكثر من "عرصة" للسي التهامي ...زيادة على قصائد الاصائل والبكور ، و الدهبيات "والصبوحيات" وكلها في اجواء الربيع ... إنما نحن سوف لا نختار من كل ذلك وغيره الا قصيدة واحدة ننهي بها هذا الغرض ... ولتكن هذه القصيدة .

هي : جَادْ يَا مَحْبُوبِي فَصْلْ الرْبِيعْ بْرْضَاهْ " للتهامي لمدغري ، وقد عاصر السلطان المقدس" مولاي عبد الرحمان بن هشام" وتوفي في عهده

هَلْ مُزْنْ الْغِيثْ وْزَارْ الْعْشِيقْ وَسْقَاهْ   بَالرْحِيقْ مْنَ الْغَيْمْ حْبِيبْتُو سقْاهَـــا

لم يقل كما يمكن أن يقول الانسان العادي : "تساقطت الامطار" وإنما جعل المزن" هو المعشوق المدلل ، والارض هي العاشقة الولهانة .

ويتفضل هذا المعشوق ، ويتكرم بزيارة لهذه العاشقة "الارض"فسيقيها الرحيق من "دنان" الغمام .

وكاني بهذه الزيارة جاءت بعد فترة جفاف ، إذ نجده يقول في البيت الثاني "بعد ما ضاقت ، ذاقت والوصال محلاه"

وأخيرا ...وبعد طول عطش وضما ، ذاقت من كؤوس الغمام .

وبْعَدْمَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوصَالْ مَحْلاَهْ   وَالزْرَابِي عَنْ كُلْ الْوَانْ فِي وْطَاهَا

سَابْكْ فْ جِيدْ الْبِيدَا جُوهْرُو فْ : مَعْنَاهْ

لم يقل ما يمكن أن يقول الناظم العادي : "اصبحت الارض كلها ورود ، وأزهار ، ورياحين" وإنما قال :

"سَابْكْ فْ :جِيدْ البِيدَا جُوهْرُو"

ف : الارض هنا غادة حسناء -والحبيب يقدم لها هداياه ، وهي عبارة عن قلائد من الاحجار الكريمة .

ونعيد هذه الابيات متصلة :

هَلْ مُزْنْ لْغَيْثْ وْزَارْ الْعْشِيقْ ، وَسْقَـــاهْ   بَالرْحِيقْ امْنَ غْيَامْ حْبِيبْتُو سقْاهَـــا

مَنْ سْدِيمْ الكُونْ الْعَذْبِي هْطَلْ مْنَ سْمَاهْ   بِينْ حَرْجَاتْ الزَّهْرْ فْنَاجلُو مْلاَهَـــا

وَقْتْ مَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوصَالْ مَحْلاَهْ   وَالزْرَابِي عَنْ كُلْ الْوَانْ فِي وْطَاهَـا

سَابْكْ فْ : جِيدْ الْبِيدَا جُوهْرُو فْ مَعْنَـاهْ   حَارْتْ عْقُولْ أهْلَ التَّحْقِيقْ وَالنّبَاهَا

مَنْ سيْوفْ الْبَرْق أُوودَقْ الرّعَادْ فـ دْجَاهْ   عَاتَقْ الزّهْرْ بمُزْنْ الغَيْثْ مَنْ سمَاهَا

دَرّجْ الغَيَمْ الْكَاسْ الاَرْضْ حلّتْ أفْــوَاهْ   وَالْبْطَايَحْ مَنْ جَاتُو نُوبْتُو الْقَاهَـــا

إذا كان قارئ القصيدة الملحونة على شيئ من الاطلاع ، في الشعر الجاهلي والشعر المخضرم ، والأموي ، والعباسي ، والاندلسي لابد من أن يتمتع بحقيقة المثل المشهور : "الشيء بالشيء يذكر ..

فانا مثلا عند قراءتي لهذه الابيات أذكر ل : (الحسين بن علي الملقب بابن وكيع)

وتمايلت فيه غصـــــــــون قدوده   من شرب كا سات العيون الهطـل

و أذكر لابن خفاجة

في أبطيح رضعت ثغـــور أقـــاحة   اخلاف كل غمـــــــامة مدرار

و أذكر لابي تمام

فسقاه مسك الطل كـــافور النـــدى   وانحل فيه خيط كل سمـــــــاء

أبيات كثيرة من المشارق والمغارب تقفز الى ذهني كلما قرأت للممتازين من شعراء الملحون .

هَذَا فَصلْ الرّبِيعْ فِي رْبِيعْ الْخَيَرْ ....

تزامن شهر المولد النبوي - في السنة التي كتب فيها .. السي التهامي المدغري" هذه القصيدة .. ولا أرتاب أبدا في أن هذه السنة هي سنة 1260 هجرية ، التي وافقتها سنة 1850 ميلادية - مع أجمل أيام الربيع ... وكان لابد لشاعر مغربي عربي مسلم ... أن يبدأ المقطع بالثناء العطر .. على النبي الكريم الذي ولد في هذا الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الخير .

هَذَا فَصلْ الرّبِيعْ فِي "رْبِيعْ الْخَيــرْ   مَوْلْدْ حبْيبْنَا أحْمَدْ شَارَقْ الانْـــوَارْ

ضوْاتْ نْجُومْ الارْضْ بَالْهَلاَلْ الْمُنِيرْ   فِي وقْتْ مْنَارْ السّعْادَا مَنْ الابْطَـاحْ

بُوجُودْ الزّمْزْمِي غَنْمَنَا فَرْحْ كْبِيــرْ   فِي عِيدْ خْضَعَتْ لِيهْ الْمَوْاسَمْ الْكْبَارْ

فِي سَرّو مَنْ طْلاَسَمُو حَارَتْ الافْكَارْ

ويقف مشدوها بين أحضان الطبيعة ، مفتونا بجمال الربيع ... وينبهر ، وتختلط المرئيات التي يرى ، والمشاهد التي يشاهد بصور أخرى تختزنها الذاكرة ، أو المخيلة فألوان الزهور في الربى الخضر ...وألوان الافق ... وقوس قزح ... كل تلك الالوان اختلطت في ناظره ب : السباني "و"الشرابي "و"العبارق" وهي أسماء قديمة كانت تطلق على أشياء خاصة بالنساء ، فالعبروق مثلا وشاح ، والشرايبي مراول ، و"السبنية مما يوضع على الرأس ... وكذلك أسماء الاثواب الزاهية "الشكْرْنَطْ" "لَمْشَجّرْ: عيْنْ علّجة" "مْشرّقيّة" ، وألوان تلك الاثواب "شمْسْ لَعْشِي" "الْخَابُورِي" "الشيّبِي" "عكْرِي" "فْلاَنْصَا" "دَمْ غْزَالْ" "قَلْبْ حْجَرْ" "لِيمِي" "سماوي" .. الى أخر ما جاء في هذا المقطع .

شُوفْ لَبْطَاحْ ، لْبَسْتْ الْقْمَاشْ وَالْقْلاَيَدْ   بَالْعْقِيقْ أوعُقْيَانْ وْجُوهْرُو الْوَقّـادْ

لَبْسَتْ قْمَايَص مَنْ ثُوبْ الرْضَا الزَّايــدَ   مَنْ مُودَّة مَاعمَّرْهَا خْطَاتْ مِيعَـــادْ

هَالْتْ وْمَالْتْ بَنْسِيمْ الشْدَا الْبَـــــارَدْ   لاَقْحَة بَرْزَتْ عَنْ شلّْيَاتْهَا فْ : الاوهَادْ

بَ : الشْرَابِي ، وَسْبَانِي ، ضَيّْهُمْ وَاقــدَ   وَالْعْبَارَقْ وَسقْلِّي فِي أحْسَنْ الْمـرُادْ

الشْكَرْنْطْ لَمْشَجَّرْ سلّْبْنِي مَنْ سَمَـــاهْ   عَيْنْ عَلْجَا وَمْشَرْقِياً عْلاَمَنْـــاهَا

شَمْسْ الْعْشِي وَالْخَابُورِي سْوَايْ وَسْوَاهْ   جَاوْرْ الشِّيِّيا وتْحَيَّرْ مَنْ نْدَاهَــــا

✪☆✯

عَكْرِي وَفْلاَنْصَا وْدَمْ غْزَالْ نْصِيـــــحْ   قَلْبْ احْجَرْ لاَنْ بَالْهْوَى وَعْطَفْ فَ بْطَاحْ

لِيمِي مَاطَالْ وَالسْمَاوِي فِي تَمْرِيـــــحْ   بِهْ رْقَصْ بَنْفْسَجْ بِينْ مْسَى وَصْبَـاحْ

شَطْحَاتْ مْعَ النْجُومْ فَ : الدِّجُورْ شْطِيحْ   وَعْلاَ تِيجَانْهَا الْيَاقُوتْ الْوَضَّـــاحْ

بَرْزَتْ فِي ايزَارْهَا عْلَى كُرْسِي الابْطَاحْ

شُوفْ هِيفَاتْ الوَرْدْ مَا حَرْهُمْ بَاشْــفَارْ   خَدْهُمْ الْعَكْرِي فَ : رْيَاضْهُمْ نَايَـــرْ

رَافْدَاتْ سْلاَحْ الْقُضْبَانْ بِينْ الاشْجَـــارْ   مَنْ تْجَنَّا تَجْنِي عَنُّو بْجُنْدْ جَــايَرْ

رحم الله الاصفهاني إذ يقول في هذا المعنىٰ :

قلت للورد مالشوكك يدمـــــــي   كلما قد أسوته من جـــــــراح

قال لي هذه الريـــــــاحين جنـــد   أنا سلطانها وشوكي سلاحـــــي

ويصف شاعرنا الوردة المتفتحة فيقول :

شَابَّة حَشُومِياً خَارْجَا اللّْمَــــــرَارْ   لاَحْتْ عْلَى الْجِيدْ الْعَبْرُوقْ وَالضْفَايـرْ

و لقد أبدع ابن المعتز في هذا المعنى .. بل توسع فيه أكثر ..

أتاك الورد محجوبا مصـــــونا   كمعشـــــوق تكنفه الصـــدود

كأن بوجهه لمـــــا تـــوافـــت   نجوم في مطـــالعها سعـــــود

بياض في جوانبه احمـــــرار   كما احمرت من الخجل الخـــدود

أما الوردة التي لم يكتمل تفتحها بعد ... والتي لا يظهر احمرارها إلا من بين الاكمام الخضر .. فقد وصفها شاعرنا بقوله

كَالْعْزِيبَة شَافَت مَنْ شَافْهَا بْ الابْصَـارْ رَاسْهَا غَطَّاتُو بكْمَامْهَا الْعْوَاطَـرْ

إنما فكرة البيت بالتأكيد ، عثر عليها "السي التهامي" في شعر الشاعر الاندلسي المعروف "صاعد" .. فعشقها لجماعته....

ودونك ياسـيدي وردة يذكرك المسك أنفاسـهـا

كعـذراء ابصرها مبصر فغطت بأكمـامها رأسهـا

والترويج للخاطرة الجميلة ، والصورة الحية ربما أمر لا ضير فيه ... خصوصا ونحن نجد الامام البصيري يعشق خواطر رائعة في ميمية ابن الفارض ، فيأتي بها الى بردته ، قال ابن الفارض .

يالائما لا مني في حبهم سفها كف الملام فلو أحببت لم تلـم

فتابعه البصيري وقال :

يا لا ئمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو انصفت لم تلـم

كما تابع شوقي البصيري فقال :

يا لائمي في هواه والهـوى قدر لو مسك الشوق لم تعدل ولم تلم

ونعود الى شاعرنا ، وإلى ربيعيته الرائعة ...

كُلْ عَذْرَا مبْسَمْهَا فَاحْ طِيبْ أشْـدَاهْ خَاجِلاً مَنْ لَحْيَا عَرَقْ الندا كْسَاهَا

"السكُّمَاسِي" فِي صَوْلاَ مبرزا حداه ليه وجنا دون عكر لونها كفاهـا

✪☆✯

"نَسْرِي" مَنْسُومْ ، هَزْ نَاسْ صَحَابْ الْحَالْ "سُوسَانْ" وْ "فَنْ" جَابْ حُلاً وَمَحْـلاً

"بِيضْ وَزْرَقْ" لاَبَسْ ايزَارُو مَحْتَـالْ لُوصُولْ "مَدِيلْكَا" وْعَشْقُو مَا يَبْـلاَ

مَشْغُوفْ بْحُبْهَا مَنْ هْوَاهَا لاَ حَـالْ وَصْلْ الْمَحْبُوبْ مَنْ الشَّهْدْ حْلاَ وْغْلاَ

وَصْفَى مَنْ سرُ خْدِي عْلَى وَجْنَتْ عَبْلَة

شُوفْ "عَاشَقْ جَارُو" بْهْوَاهْ شَارْبْ مْرَارْ مَا يْصِيبْ الرَّحَا عَمْرْ وْعْشِيقْ جَـارُو

دَابْلُونُو مَسْفَارْ وْدَبْصُولْتُو جَـــــارْ　　مَاعْرَفْ حَقْ الجُّورَا مَا طْفَا جْمَـــــارُو

وَالرْقِيبْ مْكَلَّفْ مَا بِينْهُمْ خَصَـــــارْ　　مَا حْمَلْ حَمْلْ ثْقِيلْ كْبِيرْ عَنْ سِيْـــارُو

عَيْنْ هَذَا فِي وَجْنَتْ دَ تْطَالَبْ التَــارْ　　وْلَا مَنْ فْدَا لْلْعَاشَقْ فَ : الرْقِيبْ ثَـــارُو

شُوفْ كُرْسِي هَذِيكْ الْيَاسَمِينْ مَعْـلَاهْ　　فَ : السْرَايَرْ شَرْبَتْ كِيسَانْ مَنْ نَـدَاهَا

طَلْقَتْ ضَفَايَرْ مَنْ تَحْتْ الْخْلَالْ مْغْدَاهْ　　كِيفْ يَخْفَى النَّهْدْ عْلَى كُلْ مَنْ يْـــرَاهَا

✪☆✯

"مْشَرَقْيَةْ" فْ لُونْهَا شَلَا يْذْكَـــــارْ　　حَرْ قَصْتْ اخْدُودْهَا عْلَى حُمَرْ التَّعْكِيـرْ

"بِيضَا وَمْذْهَبَا" وْمَنْ ذَهْبْ التَّشْحَـارْ　　"الْوَرْدِيَا" امْعَا "السْكْلْمَاسِي" فَ عْدِيـرْ

"زَهْرْ الْعَفْيُونْ" فُوقْ رَاسُو" جَلْنَـــارْ　　اكْدَلَا تُومْكَدْلَا فِي شَانْ كْبِيـــــــرْ

جَنَّبْ كَفَّى انْوَاوْشُو وَنْزَلْ فَ غْدِيرْ

"زْرِيرْقَا "وَشَامَاوَوْشَامْهَا مْنَيَلْ" ....

"الزْيرِقَا" هي زهيرة برية زرقاء" ، متناهية في الصغر ... وتتكاثر في الاراضي المعفاة ، فتشكل في الربى والبطاح ، لوحات ولوحات قد لايحس بروعتها إلا الفنان التشكيلي المستبصر ... شاهد السي التهامي هذه "الزهيرة الدقيقة الزرقا" وهي تبدع لوحاتها في ناحية ما من أرض الله الواسعة ، فتراءت له "وشامة مبدعة ... تدمغ الوشم على أطراف الارض ... كما تفعل "الوشامة " بين النساء ...

"الْغَمَّارَةْ" "السَلْسُولْ" "دَالْ وْخَرْطَةْ" "طَابَعْ مْهَلَّلْ" مَشْطَةْ فُوقْ الدَّرْعِينْ

خَالْ وْشَامَةْ" "سِيَالَةْ مْسَوْلَا" "رَكْمَا فَ: "السِيَّالَةْ" هَمْزَا فَ : الساق " "رجل حمامة ... وهكذا احتفظ لنا"^
في هذا المقطع ... بكل أشكال الوشم في كل القبائل المغربية وتلك لعمري خصوصية من خصوصيات هذا الشاعر الملهم ...

"زْرِيرْقَا "وَشَامَا وَوْشَـامْهَا مْنَيَـــــــلْ　　شِي وْشَمْتُو بَ : الْغَمَّارَا "وْشِي بْ :سَلْسُـولْ"

شِي بْ : دَالْ وْخَرْطَةْ "شِي" طَابْعُو مْهَلَّـلْ　　شِي بْ : مَشْطَةْ فُوقْ الدَّرْعِينْ "وْ "خَطْ مَعْزُولْ"

شِي بْ : خَالْ وْشَامَا "مَنْ شَافْهَا اتْخَلْخَلْ　　بِينْ خَالْ وْشَامَا كَمْ مَنْ عْشِيقْ مَخْلُـــــولْ

شِي عْلَى "السيَّالاَ رَكْمَا "وْشِي مْسـوَّلْ" كَمْ عَاشَقْ بَالسيَّالاَ رَاحْ مَدْهـوُلْ

شِي بْ : هَمْزَافَ : السَّاقْ " وْشَامْهَا مْتوُّلْ شِي بْرَجْلْ حْمَامَا فِي جِيدْهَا الْمَسقُولْ

شُوفْ ذَاكْ "الْخَيْلِي " خَيْلُو خْصَلْتْ فُوغَـاهْ مْسَرْجَا مَلْجُومَا صَلاَّت فِي حْمَاهَـا

كَأَنْهَا فَامِيدَانْ فْحُـولْ فَـاخَمْ الْجَاهْ "وَلْدْ سِيدِي هِشَامْ الْمِيرْ ، وَلْدْ طَـهَ

يربط الصورة الخيالية التي تخيلها وهو ينظر الى أزهار "الخيلي" وهي أزهار برية معروفة ـ بالصورة الواقعية التي يراها صباح مساء : جنو د الملك مولاي عبد الرحمان بن هشام ـ وقد امتطت الجياد (في طريقها الى صد غارة أو إخماد فتنة ، وبمثل هذه الاشارات الخفيفة يستطيع الباحث أن يضبط تاريخ الملحون بكيفية لا تقبل الشك فهنا "ولد سيدي هشام" ... وفي قصيدة "زهرة" .

وِيدُومْ مُلْكْ سُلْطَانِي عَزْ انْصَـارُو بَنْ هِشَامْ التَّايْكْ الاشْهَـرْ

دبَّابْ الْعِيَّانْ وَلْدْ الزَّهْـرَا

وليس من بين شعراء الملحون ، من لم يؤرخ لنفسه ، إما بمثل هذه الاشارات ، وإما بقصيدة تتويج أو نصر الملك في حياته أو حتى بأحداث وقعت في عصره ووجدناها عند الناصري أو غيره من المؤرخين .

قَرْنْفَلْ هَاجْ ، فْ :طِيبْ نَسْمَا لَلْهِيَـاجْ هَيَّجْ لَمْهَاجْ هَاجْ فُوهَامْ الْبَهْجَة

سبق أن عرفنا أن هذه القصيدة ظهرت في عهد السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان ، والآن نعرف أنه كتبها بمراكش ... وبمثل هذه الاشارات نستطيع رصد تحركات الشاعر .. يقول في "زهرة" ، وقد سبقت الاشارة إليها ـ يْغَطِّي سَتْرُو الْبَهْجَة الْحَمْرَا" وقصيدة :

شَدْ اسِيـدِ رَمَّـانَكْ بِيدِيكْ زُوجْ مَنَّكْ لِيهْ اَشْ عْلِـيَّ

كتبها بطنجة ، وفيها أكثر من دلالة ... و"الساكنة درب القاضي" كتبها بفاس وهكذا ... وعلى ذكر القرنفل ، الذي "هاج فوهام البهجة "أي في ضاحية مراكش يتوقف الشاعر لحظة و ليعبر عن حبه لهذه المدينة وهيامه بها .

بَهْجَتْ لَمْتُونْ حَبْهَا لَلْقَلْبْ عْـلاَجْ بُوجُودْ السَّلْطْنَا وَالْهْنَا فِي طَهْجَـة

خَضْرَا نَضْرَ طَلُوعْهَا فِي سَعْدْ بْرَاجْ وَطْلاَسَمْ سَرْهَا غْمِيقَة عَلَلْ الْحِجَـا

مَنْ دَخْلْ حْمَارْ جَالْهَا عَمَّرُونْجَـا

على رأي المثل : "إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار" نكتفي بهذا القدر من التوضيح ونترك القارئ مع ما تبقى من

القصيدة حتى لا نفوت عليه فرصة التمتع بإيقاعاتها الداخلية والخارجية . وما بين كلماتها وألفاظها من ضل وجرس .

شُوفْ "الْبْهَا" وَ "الشَّاكُوكِي" عْلِيهْ يَشْكِي   الْبْهَامَا يَرْفَقْ بَمْحَايْنُو مَنْ شْكَى
"الْحْكُمْ" بَلْطَافَا يَحْكَمْ حْكَامْ تُرْكِي   هْمَامْ عَادَلْ يَفْهَمْ مَنْ جَاعْلِيهْ شْتَكَى
بِينْ "مَعْشُوقْ" وْ"عَاشَقْ" كَانْ جَاهْ يَشْكِي   يَقُولْ لَلْمَحْبُوبْ فْحَكْمُو رْحَمْ مَنْ شْكَى
كُنْ عَاشَقْ بَصْدُودْ الزِّينْ رَاحْ مَنْكِي   وَالْمْلِيحْ الَى يَعْطَفْ كَمْ حَاسْدْنَكَا
شُوفْ تَفَّاحَاتْ الْعُشَّاقْ زِينْهَا تَاهْ   فِي رْيَاضْ الْبَاغِي لَلِّي بْغَابْغَاهَا
شُوفْ ل : "الدِّيدِي" وَ"الْجَلْنَارْ" خُوهْ حْيَاهْ   وَالْحْوِيدَقْ فَ : الْوَانُولَ : "الشَّقِيقْ" ضَاهَا

✪☆✯

شُوفْ "الْجَمْرَا" عْلَى خْدُودْ الْبَيْدْرْ مَاتْ   جَمْرَا فَ : قْلُوبْ نَاسْ الْغْرَامْ الْعَاتِي
تَكْدِي بَخْدُودْ نَايْرَا بِينْ الْحَرْجَاتْ   وَالطَّفْسْ خْلِيلْهَا مَنْ هْوَاهَا وَاتِي
"خَابُورِي" نَحْتْكِيهْ كَحْوَانْ افْ لَنْعَاتْ   يْخَبَّرْ مَنْ هْوَى الْعَاشَقْ فَ انْعَاتِي

"حْرِيرِيَّا" حْرِيرْهَا زَهْوْ اوْقَاتِي

"غَالْبَا" تَرْكَتْنِي مَغْلُوبْهَا فْ غَلْبَا   وَالْعْشِيقْ الْمَعْشُوقُو مَايْزُولْ مَغْلُوبْ
"بَلْفْجُوجْ" وَأَقْحْوَانْ رْبَاوْافَ : الْمْحَبَّا   "يَاسْ" يَشْبَهْ وَدْنِينْ الْخَيْلْ يُومْ الْحْرُوبْ
"الْبْهَرْ" يَبْهَرْ بَسْحُورْ وبْغِيرْ كْتَبَا   سَفُورْتُو وَنْحُولُو بِيهْ الْجْلَامَدْ تْذُوبْ
شُوفْ "عْنْبَاجْ" زَهْرْ مَنْ كْثُرْ مَا تْرَبَّا   لِيلْ وْنْهَارْ وْمَاهْ عْلَى الدْوَامْ مَسْكُوبْ
شُوفْ "مَصْلَحْ لَنْظَارْ" أَلِيعْتُو مَنْ هْوَاهْ   إلَى سْمَعْ لَلْهِيفَاتْ يْهَيْجُوا لْغَاهَا
إلَى شْطَحْتْ احْدَهْ رْيَامْ الْخْيَامْ مْبَقَّاهْ   كَايْجُودْ بْدِينَارُو عَنْ رْضَا رْضَاهَا

✪☆✯

الزَّرْبِيَّاتْ فَ الْبْطَايَحْ لَلنُّزْهَا   ابْيَدْ الْقُدْرَا مَرْكْمَا سُبْحَانْ اللَّهْ

مَنْ لِيـــــهْ الْمَلْكْ الْبْدِيعْ مْطَرَّزْهـــا   زَهْرْ الْحَرْجَاتْ فَ : العفْا نَسْجُو مُــولاَهْ

مَنْ حَقَّقْ فِي نْسِيجْهَا بَالْقَهْرْ فَهَـــا   سبْحَانْ اللِّي انْشَى الزْهَرْ وَنُورْ بْهـــاهْ

كَم مَّنْ عَشَّاقْ حَارْ فِي صُورَتْ مَعْنَاهْ

شُوفْ هِيفَاتْ تْقَطْفْ زْهَارْهَا فَالأوْهَـــامْ   كُلْ بْكْرَا عَمْلَتْ فُوقْ الْخَــدُودْ مَشْمُـــومْ

رَافْدَاتْ الْبَارُودْ عْلَى جْعَابْ الانْيَـــامْ   حَادَّاتْ الشَّفْرَا فِي سَحَرْ غُنْجْ مَسْمُـــومْ

مَنْ طْمَعْ فَ : الصيَّدَاتْ يْصَيَّدُوهْ بَسْهَامْ   فَ : الشَّبَّاكْ حْصَلْ حَرْبْ البَاهْيَاتْ ، مَعْلُومْ

مَنْ لْبَسْ شِي "نُوَّارْ" مَنْ الْحْرَاجْ وَتَــاهْ   عَنْ خْدُودْ الارْضْ وَسُبْحَانْ مَنْ نْشَــاهَا

وَاجَبْ انْحَمْدُوا وَنْشَكْرُوا تْبَارَكْ اللَّـــهْ   عْلَى النْعَايَمْ لَكْثِيرَة رَبْنَا عْطَـــاهَا

✪☆✯

جَادْيَا مَحْبُوبِي فَصْلْ الرْبِيعْ بَرْضَـــاهْ   مَا بْقَا غِيرْ اللَّهْ وَرَاهْ لَلنْزَاهـــــــةَ

✪☆✯

هذه واحدة من ست ربيعيات كتبها "التهامي لمدغري" في وصف الطبيعة الحرة الطليقة ، الطبيعية في الربى والبطاح ، في الجبال والسهول ، في الغابات والمروج .. أما ربيعيات الجنان ، والرياض ، والبساتين .. فلقد عرفت منها أزيد من ثلاثين قصيدة ، إنما فيما قدمناه كفاية لننتقل الى الغرض الخامس .



٭ "الْعَشَّاقِي" ٭

إذا ما سئل رجل الملحون عن "الْعَشَّاقِي" ما هو ؟ لا بد وأن يجيب بأن قصائد "الْعَشَّاقِي" إما أن تكون قصائد دموع ، وإما أن تكون قصائد بسمات أو أنها تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات ، أو العكس ، ويضيف أن "المعشوق" في قصائد "العشاقي" ، إما أن يكون : "موافي" .. فتكون القصيدة كلها متعة وطرب ، وغبطة وانشراح ، وإما أن يكون : "مجافي" فتكون القصيدة مجرد آهات وحنين ، وأنين .

ويستدلون على قصائد "الجافي" بمثل قصيدة "الكندوز" .

مُقْدَاكْ "اجَافِي" الَى جَفِيتِي رَسْمِـــــــي

مَازَالْ يَالْجَافِي يَجْفِى مُرْكَاحَكْ الْوْلِيـــــفْ

وَتْذُوقْ مْرَايَرْ الْجِفَا وَتْكُولْ أوَاهْ كُنْـــــتْ

حَتَّى أنَا جَافِـــــي .

أو "ناكر الاحسان" لانجار

سِيرْ أَنَاكَرْ الاحْسَـــانْ   الايَّامْ تْشِيطْ وْرَاكْ بَالْقْهَـــرْ

وِيبَانْ الْبُرْهَـــــانْ   فِيكْ آمَنْ خَانْ حْبِيبــــو

وعلى قصائد "الوافي" ب : راضيا " .. ل : بلقاسم :

أَسَاقِي رَادَفْ الرْحِيقْ   اعْلَنَا الايَّامْ "رَاضْـيَـــــا"

يُوجُودْ الرِيمْ "رَاضْيَا"   السُلْطَانْ رْضَا عْلَى الرْعِيَّا   وَالزِّينْ اللَّهْ نَاصـــــرو

أو الياسمين للحاج ادريس :

طَابْ السْرُورْ وَنْسِيمْ رْضَاكْ يْفُوحْ كُلْ حِـــينْ   وِيعَطَّرْ الرْيَاضْ أوِيعَبَقْ بَالطِّيبْ مَنْ كْمَامَكْ

كما يستدلون على القصائد التي تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات بمثل قصيدة فاطمة للحاج ادريس : فهي في شطرها الاول : "جافي"

خَدِّي نْفَرْشُو بَالشُّوقْ الْذُوكْ الْقْدَامْ

شُوفِي بْعَيْنْ لَمْحَتْنَا فِي هَذْ الْغْــــــلاَمْ

مَا كَانْ هَكْذَا ظَنِّي يَــــــا بَنْتْ الْكْرَامْ

ولكنها في شطرها الاخير :

جَاتْ الْمِيلاَ فْ رَايتْ الْهَشَامِــــي   نَاوْيَا تْـــــزُورْ رْسَامِــــي

تْلَحْفَتْ فَ ثْيَابْ رْفِيعـــــــا   وْجَاتْ تْتْمَايَسْ كَ : يَا سَامْنَعْمَا

وَمْنِينْ نْظَرْتْ زِينْهَا بْنْيَامِـــــي   قْلْتْ مَنْ كْثُرْتْ هْيَـــــامِي

وَاشْ هَاذِي يَقْظَا وَلَّا مْنَــــامْ ؟   عَهْدِي بَالشَّمْسْ كْبِيلْ فَ : السمَا

السَّاعَا لاَحْ نُورْهَا فَ : رْسَامِي   فِـــي صُورْتْ الأدَامِــــي

وَالْحْبِيبَا تَضْحَكْ حَتَّى تْطِيـــحْ   وَتْكُـــولْ آنَا لاَ لَلاَّكْ فَاطْمَــا

أما العكس ، أي القصائد التي تبتدئ بالبسمات وتنتهي بالدموع ، فهي تكاد تكون معظم قصائد "العشاقي" .

وهذا التعريف بقصائد هذا الغرض ، ربما لا يجادل في صوابه أي أحد ، ولكنه على كل حال ، لا يمس الجوهر ... لا من قريب ولا من بعيد ، ومن ثمة لا يليق بنا إطلاقا أن نستأنس به في بحثنا" ، وندرج القصائد التي يشير إليها ، وننهي غرض " العشاقي" فالمسألة في حقيقتها أبعد من "وافي" و"جافي"فقط ... وأكبر من دموع وبسمات فحسب ، المسألة مسألة : هل من تجارب عاطفية صادقة أنتجت الابداعات الحية الخالدة ؟ أم هل من مغامرات غرامية محمومة أثمرت إبداعات ملتهبة ؟...

أم أن شاعر الملحون كالمثال أو الرسام يصور الجمال لاكما هو في واقع الحياة ، وإنما كما هو في واقع شعوره .؟

وهذه المفاتن الحسية : أجمل شفر ... على أحلا ثغر ، وأحمر خد على أنهد نهد ... وأملأ صدر ... على انحل خصر . أهو مجرد التعبير الذي لا يقصد به إلا التعبير ، أو في أحسن الاحوال التصوير ؟ أم أنه أقل من ذلك بكثير ،إذ لا يعدو تركيب الصور من أوصاف العبارات الجاهزة ؟ ثم ماهو العشاقي ؟ أهو الشعر العاطفي ؟ أم هو الغزل ؟ أم هو التشبيب ؟ أم هو النسيب ؟أم هو كل هذه الانماط ؟

وإذا كان هو كل هذه الانماط ؟ فما هو الواصل الذي يوصلها ببعضها أو الفاصل الذي يفصلها عن بعضها وهي كلها داخل هذا الاصطلاح " العشاقي"؟ أسئلة كثيرة خطرت وتخطر في خاطري من أوائل الخمسينيات الى يومنا هذا ... وكنت ولا أزال كلما خطر لي سؤال من هذاالنوع ، أعود الى محفوظاتي ، أو الى ما بحوزتي من "عشاقيات" لاراجعها من جديد ، ولا بحث فيها عن جواب السؤال الجديد ، والغريب المدهل ، أن كل الاسئلة التي خطرت لي حتى الآن ، وجدت لها الاجوبة الشافية والكافية ، بل وتزيد بكثير عن الكفاية كما وكيفا الى حد أنها تثلج الصدر وتفرح القلب .

ويعود على بدىء : أجيب على السؤال الاول بكامل الاطمئنان : أن نعم في "العشاقي" قصائد عاطفية صادقة ، بل أن من شعراء الملحون من عاش تجربة عاطفية واحدة طوال حياته ، محمد بن سليمان مثلا : ولنجعل من شعره النموذج للملحون العاطفي الصادق ، يقول في داليته "ف : الروح اسبابي خال ف : وردا".

ويقول عن هذه الوردة : "فَاتْحَافِي غُصَنْ اسمَا فِي رِيَاضْ عَالِي مَنْ سَعْدِي" هذه الوردة" هي في أعلى غصن ، من أعلا روض

وفي لا ميته : "غير جيبُو "وَرْدَا" مَنْ شِي رِيَاضْ سُورُو عَالِي" هنا أيضا وردة" وأيضا في روض محصن" سورو عالي" يرمز الى هذه المحبوبة بالوردة لا في داليته ، ولا في لا ميته ، ولكنه في قصيدة أخرى من : "مكسور جناح" يرمز لها بالياقوتة :

ابْهَاوَعْلاَ مَنَ الْبَدْرْ يَاقُوتَا مَحْضِياً "فِي جِيبْ السُّلْطَانْ" ونعرف أنها هي هي ، من الحصانة والصون" في جيب السلطان" والسلطان هنا بمعنى المنعة ، أو ما نسميه بالدارجة "الْحَجْبَا وَالرُّتْبَا" هنا في : "جيب السلطان" وهناك "في رياض سورو عالي" ، وهنالك "غصن اسما في رياض عالي ، ويضيف في المثل الاول "سعدي"

فَاتْحَا في غُصَنْ اسْمَا فِي رِيَاضْ عَالِي مَنْ سَعْدِي

ولست أدري على وجه التحديد هل كلمة "سعدي" بين قوسين ، فنفهم منها الكلمة المقابلة : "من نحسه" أي من سوء طالعه أن تكون الفتات التي أحبها في كل هذا الصون ، وأن تكون "عزيزة" بمعان اللفظ الثلاث ... حتى لا يمكن التوصل إليها بالمرة ... أم أنه يعني كلمة : "سعدي" كما هي فنفهم منه أنه لا يحب الفتاة الرخيصة المبتدلة المتاحة باستمرار وإنما من حسن طالعه أن تكون غير متاحة حتى ولو بقي هذا الحب من غير أمل إلى آخر رمق .

ويصف حاله مع هذا الحب العنيف فيقول :

هَاجْ وَجْدِي وَفْرَغْ جَهْدِي مْدَا مْعِي زَادُوا سُهْدِي

طَالَتْ عْلِيَّ يَاتَشْغَابِي ، هَذْا الْفَقْـــــدَا

كَالْحْمَامْ الْفَرْدِي شَلَّا تْغَارْدِي وِنَا وَحـــــدِي

بَالْمْحَبَّا جَنْحَانِ رَابِي قُولُوا عَمْـــــدَا

بَعْدْ صَهْدِي وْتَلْجِي وبَرْدِي تْنَاهْدِي تَحْمِي نَشْدِي

لاَهْ مَا نَبْكِي طَالْ عْذَابِي هـــــذِي مُدًّا

ويقول في مطلع لاميته

آهْ مَنْ قَلْبِي يَشْكِي بَ : الْغْرَامْ مَا هُو سَالِـــي أُو اللِّي مَا يَعْذَرْنِي هَكْذَا ابْحَالِي يَبْـــلاَ

غِيرْ تَارًا بَرْدِي تَرَا اجْمَارْ هَذَا حَالِي   كُلْ سَاعَا يَاتِي لِيَّ طْبِيبْ ابْحَالْ الْحَمْلاَ

ويحدثنا عن محاولاته اليائسة في التقرب الى المحبوبة : والنموذج هذه المرة من قصيدة "الشهدة" :

أَمَّا امْشَايْخِي تَحْتْ اقْدَامَكْ لاَ حْتْ الْعْمَايَمْ   لُو كَانْ قَلْبَكْ نَصْرَانِي لاَ غْنَاهْ يَلْيَانْ

ويصف لنا حاله بين الناس في نفس القصيدة :

مِنْ غِيرْ حَالْ تُوجَدْنِي مَابِينْ الاسْوَاقْ هَايَمْ

تَرَى نْغِيبْ تَرَى نَحْضَرْ حَتَّى تْقُولْ : سَكْرَانْ

فَ :الْحُبْ هَكْـــذَا حَالـــــــي

غِيرْ سَلَّمْ لِي يَا مَنْ لاَ بْـــــلاَهْ وَعَــذْرْ

والحق أنه لم يكن يلق القول على عواهنه عندما كان يتفوه بعبارات مثل :

"دَابَا نْضَرَقْ اخْيَالِي" "غِيرْ جِيتْ انْبَرِّي فَ : الرُّوحْ قَبْلْ تَخْرُجْ مَنْ جَسْدِي"

فَ : الرُّوحْ اسْبَابِي ، خَالْ ف : "وَرْدًا" فلكأني به كان يحس بإحساسه الصادق ، أن هذا الحب القوي ، العنيف المتنمر سيؤدي بحياته لا محالة ، وكذلك كان ، فلقد بكته حضيرة الملحون ، ولما ينتهي العقد الثالث من عمره ، رحمه الله من شاب كان صادقا عندما قال عن نفسه :

قَلْبِي كْبِيرْ ، مَشْرُوحْ ، صْغِيرْ الرَّاسْ فَ : الْوْلاَيَمْ

طَبْعِي رْهِيفْ فَايَنْ تُوجَدْ مَثْلِي وَلْيسْ نُوهَانْ

حَتَّـــــى نْضَرَقْ اخْيَـــــالِي

عَادْ يَنْدَمْ مَنْ كَانْ فَ :عَيْنْنَا مْكَثَـــــرْ

وكنموذج للقصائد العاطفية الحية ، قصائد الانفعالات الشعورية الصادقة أسجل هنا النص الكامل لقصيدة " الياقوتة" وهي لهذا الشاعر الشاب محمد بن سليمان و "الياقوتة" كجل قصائد بن سليمان يختلط فيها التجريد بالتشكيل ، ويمتزج المطلق بالمعين ، ولو أن أهل الملحون الذين عاصروا بن سليمان - بن علي وغيره - وصلهم شعره ، وأحسوا به واستطاعوا أن يفقهوه ، لكان ديوان هذا الشاب ، نقطة تحول هامة في تاريخ الملحون ، ولكان الملحون اليوم ، في أعلا مراتب فن القول الرفيع ، ويرحمه الله إذ يقول في هذه القصيدة وبحق :

اشْحَالْ عَايْرُونِي بَالتِّيهَا فـَ : الاَقْوَالْ

اللِّي بْلاَ خْفَا جَهْلُوهـــــــا

حتَّى الدْهَاتْ مَا عَرْفُوهـــــا

عيروه بتحليقاته التي لا تكاد تنتهي ، وبسياحاته التي تتخطى كل الحدود ... وبهذه "الالغاز" التي لم تكن مألوفة عندهم يومئذ .

فـَ : زْمَانْهَا غْرِيبَة ما جابوها امثال

هو يقول عن هذه القصيدة ... فـ : "زمانها غريبة" أما أنا فاقول ديوان بن سليمان من ألفه الى يائه غريب في زمانه ، بل أن بن سليمان نفسه غريب زمانه .

فـَ : زْمَانْهَا غْرِيبَا مَا جَابُوهَا أمْثَـــــالْ

وْحَتَّى فـَ : الزْمَانْ الْفَايَـــــتْ

وينتقل الى "الياقوتة"

الشَّمْسْ مَنْ ضَيَاهَا غَـــــارَتْ

وَاللِّي يكُونْ عَقْلُه ثَابَـــــتْ

تَارَا يقُولْ حَمْـــــرَا

تَارَا سَفْـــــرَا

ولُونْ فَجْـــــرَا

مَاشِي نُقْرَا مَنَ الأَصَلْ مَا هِيَّ مَطْـــــبُوعْ

وَلاَ هِيَّ فَخْزِينْ عَنْدْ عَثْمَـــــانِي

نُورِيكْ سُومْهَا !؟ مَا هِيَّ مَشْرِيـــــا

مَنْ جَنْتْ رَضْـــــوَانْ

هَيَّ "غَرْفَا مَنْ بَحَرْ التَّفَافَحْ "صَافِي مَجْرَاهَـــا

ابْهَا وَعْلاَ مَنْ الْبَدَرْ يَاقُوتَا مَحْضِياً   فِي جِيبْ السُّلْطَـــــانْ

وَفَانِي بَ : الرَّافَا بْلاَ شْمُوعْ رْسَامِي ضُوَّاهَـــا

ويغرق في ضياء برق الاشراقة التي اشرقت عنه من وجهها ، والتي سرعان ما اختفت لتتركه يبكيها في : "الشهدة" في اللامية" في "الدالية" إلى أن وافته المنية ، إنها "الدراما" الحقيقية لمن يبحث عن "رائعة مغربية لمسرح مغربي "طبعا لا أعني "الياقوتة" وحدها ، وإنما أعني "حياة بن سليمان "جملة وتفصيلا : حبه الماسوي لهذه الياقوتة أو "الشهدة "أو الوردة"

معاناته مع أهل الملحون في عصره ، وخصوصا منهم بن علي ولد آرزين" القطيعة ، أو الجفوة التي طرأت على علاقته بأهله وذويه ... إصابته بداء تضخم القلب ، لقد انهمر الدمع من أعيني وأنا أكتب هذه الكلمات ، فأتلف بعضها ، وعلى أن أعيد كتابة هذه الصفحة ... فالله وحده هو الذي يعلم ما ألاقي من عناء ، كلما تعاملت مع شعر هذا الانسان

اضْوَي مَنْ الْمْصَابَحْ فِي دَاجْ الَى كْحَـــــالْ

وبْهَى مَنْ الثُّرِياَّ تَكْـــــــدِي

وبْهَا مَنْ "الْبْدَرْ الْمبْـــــــدِي"

"عْلَى التْمَامْ هَذَا قَصــــــدِي

"البْدَرْ المْبَدِي" أي الظاهر . من بدا يبدو ولكنه خشي أن يقول الخصوم "لبدر المبدي" أي الذي في بدايته ، ولا يزال كالشعرة ، فسارع الى القول "عْلَى التْمَامْ هَذَا قَصدِي" .

ضوَا مَنْ الْمْضيَّــــاه = الشَّمْسْ

فِي صبْحِيَّــــــا

عْلَى الْبْرِيــــــاَّ

هَذَا هُوَ كْمَالْهَا وَضْيَاهَا شَعْشُـــوعْ

وَالْبَرقْ الضَّاوِي فِي شْرُوقْهَا فَانِـــــي

لَعقُولْ مَنْهَا فِي شَطْنَا مَذْهِيـــــاَّ   شَطَّانَتْ الاذْهَـــــانْ

يقوتا حرا وكل ضاوي ، ضاوي بضياهــــــا

ابْهَا مَنْ الادْرَارْ السيَّارَا فِي كْمَـــــــــالْ

هَانُوا مَنْ الْفُلْكْ الثَّامَــــــنْ

هِيَّ عْطَاتْهُمْ مْحَاســــــــنْ

وَاللِّي يْكُونْ طَرْفُو وَاسَـــــنْ

بَعْدْ الْمْنَامْ يَنْظَـــــــرْ

سرّاً مْعَتْبَـــــرْ

بِهْ يَفْخَــــــرْ

حَتَّى يَرْجَعْ مَنْ كْمَــالْ ضِيَاهَـــــا مَفَــــــزُوعْ

وَانَيَا شَلاً نْصِيفْ بْلْسَانِي

عَنْـــــــدِي طلوعها فِي رُتْبَـــــا عُلْيَــــاً فِي بَرْجْ الْكِيــوَانْ

وَنْجـــــــــــــــومْ الدَّاجْ إِلَى ضَوَاتْ يَظْهَرْ فَ : الْفُلْكْ سَنَاهَـــــا

☆★★

وفــــــــرَا عْلَي الْجْبِينْ ، اللِّيلْ فْ : وَسْطُو هــــلاَلْ

دَعْجْ اللْحَــــــاظْ زِينْ أَلْقَامَــــا

صَارِي سَفِينْتُو عَوَّامَــــــــــا

وَلَّل تَقُولْ غِيرْ رْخَامــــــــــا

لَعْلاَمْ لِيهْ وَقْفَـــــا

زِينْ الْخَلْقَــــــا

مْنِينْ يُوفَـــــــا

يَطْفِـــي جَمْرْ الاشْوَاقْ بَالـــزُّورَا لَلْمُولـــوُعْ

وَالزُّورَا هِيَّ جَنْتِـــــي وَرْضَـوْانِ

وَالْعَطْفْ فِيهْ عَيْشِي وَالْهَجْرْ مْنِيًّـــا وَالْجَفْوَا نِيـــــرَانْ

وَالْوَجْنَـا هِيً رَاحْتِي وْلاَ يَقْلَعْ الَى مْلَقَاهَــــــا

☆★★

احْلاَ مَنْ الشَّهْدْ فـــيْ قَلْبِـــي وَمَنْ الْمْصَـــالْ

احْلاَ مَنْ الْخَمَرْ فَ : طْلُـوعُـــو

وِيعَطْرُو رْشِيـفْ تْبُـــوعُـــو

بَمْرَاشَفْـــوُ يْكُونْ قْطُـوعُـــو

نَجْنِي فْ : كُلْ لَحْظَـــا

وَرْدْ فْ : لَحْظَـــا

وْخَـــالْ يَرْضَـــا

كَنُقْطَا مَنْ امْـــدَادْ فِـــي وَرْدْ بْلاَ مَقْطُـــوعْ

حَاضِيهْ غْلاَمْ عْلَى الْيْمِينْ سُودَانِـــي

نُورِيكْ حُلْتُو يَاسَايَلْ زَنْجِيـــاً جَاتْ مَنْ الْحَجْبَـــــانْ

لاَبَسْ بَرْنَاطَـــا مَنْ نْشَاهْ مَنْ سَرْ الزِّينْ انْشَاهَــــــا

☆★★

يَاسِيــفْ عَنْتَرَا فَ : نْهَارْ يْطُولْ الْقْتَــــالْ

يَابُنْدْ دُولْةْ الْعُلَـــوَي

يَارُمْحْ حَامْلُو عْلَقَـــاوِي

يَاتَاجْ عَامْلُو كَسْـــرَاوِي

نْهِيبْ لِيكْ صُغْـــرِي

حَتَّى كُبْـــرِي

نْزِيدْ عَمْـــرِي

"وَلُو هَنْتِي بْقِيمْتِي لِيكْ عْطِيتْ الطُّـــوعْ"

جعلتُ الشطر الاخير بين قوسين لِأُشير فقط ، إلى أنه من المصابيح التي تلقي بعض الأضواء على ظروف وملابسات تجربة بن سليمان العاطفية،"ولو هنت بقيمتي ليك عطيت الطوع " . وإذا ما أضفنا الى هذا الشطر قوله في قصيدة : "الشهدا"

"أما امشايخي تحت قدامك لا حت العمايم" : "مشايخا " "عيران " "ادخيل"

وإشارة من هنا ، وأخرى من هناك وهكذا وهكذا إلى أن توضحت الملامح ، وظهرت السمات لهذه التجربة العاطفية الحية . ولو شئت لجعلت بن سليمان يعود فيحيا حياته مرة أخرى على هذه الصفحات ، تماما كما كان يحياها في واقعه المفجع ...إنما لا أحب أن يطغى على حبي له وهيامي به حتى أنزلق الى الترجمة له وحده من بين كل الذين أتعامل معهم في هذا الكتاب ، خصوصا وأنهم جميعهم شيوخي وأساتذتي وأولياء نعمتي ، رحمهم الله جميعا ، وأحسن إليهم .

انْهِيبْ لِيكْ صُغْـــرِي

حَتَّى كُبْـــرِي

نْزِيدْ عُمْـــرِي

وَلَوْ هَنْتِ بْقِيمْتِي لِيكْ عْطِيتْ الطُّـــوعْ

انْتَ مَفْتَاحِي يَا مْسَرَّحْ اسْجَانِي

وِيلاَ قْتَلْتْنِي مَا تَقْبَاضْ افْدِيَّـــا نَسْعَاوْا الْغُفْـــرَانْ

دِيكْ النَّظْرَا هِيَّ الْمْرَامْ وَالتَّبْسِيمَا مَا احْلاَهَـــا

★✪☆✶★

صبْحُو يعَايْـــرُونِي بَالتِّيهَا فَ : الاقْـــــــوَالْ

الّلِي فْ : جِيلْنَا جهْلُوهَـــــا

حَتَّى الدْهَاتْ مَا عَرْفُوهـــــاَ

هَذَا تْمَامْهَا وبْدُوهَـــــــا

نَقْمَا لْكُلْ جَاسَـــرْ

شَعْرُو هاجَـــرْ

رَاحْ خَاســـرْ

وَالْعَـــاشَقْ مَنْهَا يْـــــرُوحْ مُوْلَّع مْلَسُـــــــوعْ

"العاشق" هنا معناها : "المتذوق" والضمير يعود على القصيدة أي أن المتذوق إذا ما قرأ هذه القصيدة أو استمع إليها "يروح مولع ملسوع" ويضيف : " أنا سفرت على اللجوج قرصاني " ، أي خضت بحار المعاني "لا تي منها بكل نفيس" ورجعت ب : الغنايم فرحا مثنيا" فرحته بسلام الرجوع ، فرحته بما جاء من دخائر .

أَنَا سَفَّرْتْ علَى اللْجُوجْ قُرْصَـــــانِي

وَرْجَعْتْ بَالْغْنَايَمْ فَرْحَا مَثْنِياً " قَابَضْ لِيهْ دْمَـــانْ

هَذَ لَهْوَى يَااهْلَ الْهْوَى مَخْتَاصَرْ فَ : هْوَاهَـــــا

وليس من نافلة القول أن أشير هنا الى أن مثل هذه العبارة : أنَا سَفَّرْتْ عْلَى اللْجُوجْ قُرْصَانِ " والابيات التي في "الشهدا":

هَذَا شْحَالْ وَنَا قُرْصَانِي عَاجزْ الْغْنَـــايَـمْ وَالْيُومْ سَاعْدُو رِيحْ سْعِيدْ عْلَـــى الْوْصُولْ عُوَّالْ

هُوَ رْمَاهْ لَلْمَـــــالِي رَايْسُـــو عَلْل لَغْنِيمَا صِيفْطُـــــــو يْـــــدُوَّرْ

رَسَّا امْخَاطْفُو فَ : الْمَرْسَا وَتْكَلْمُوا الزْرَايَـــمْ

خَرْجُوا اهْلَ الْمْدِينَا قَالُوا هَذَا الرَّايْسْ فْـــلاَنْ

نَادَا سَرُورْهَا فَالِـــــــــي

فِي اسْوَاقْ الْفُرْجَا تَدْخِيرتُــــو يَشْهَــــــرْ

وإشارات أخرى هنا وهناك ، تفيد أن بن سليمان هو امتداد لسيدي عبد القادر العلمي ، فمثلا "السفينة" "القرصان" "خوض بحار المعاني" عند سيدي عبد القادر العلمي قبل أن يولد بن سليمان بنصف قرن من الزمان .

"انْغُوصْ عَنْ بْدِيــــعْ الْحُسْنْ فْغُمْقْ "اللْجـــوُجْ"

" فَعْسَى الَى وْقَفْ لِيَّ دَيْـــــدَانْ"

"وْجَابْ الغْنَايَــمْ قُرْصَـــانِـــــي"

"اللجوج" : لجج البحر ... الغنايم" "لغنيمة" جميل المعاني" رائع الصور ، وقد استعمل سيدي عبد القادر "السفينة" و "القرصان" و "البحر" للايجاب كما استعملها للسلب ، استعملها للنجاح والخروج بالغنائم كما استعملها للفشل ، والضياع .

........سْفِينَا مَابِينْ مُــــــوجْ

مُوجَا تْلُوحْهَا مُوجَا تَرْفَدْهَـــــا

وْلاَقْدَرْ رَايَسْ يَرْصَدْهَـــا

غَادْيَا فَ : الْبَحَرْ وْحَدْهَـــا

عْلَى جهْدَهَـــا

ونفس الشيء عند بن اسليمان ، فكما اخبرنا غير مامرة برجوعه من خوض البحار بالسلامة والغنائم ... اخبرنا ايضا بالويلات التي صادفته

أَنَا رْمِيتْ رَاسِي فَـ: الْبَحْرْ الْعَاتِــــي غَايَبْ لِيهْ سنْينْ مَا ظْهَــــرْ
وْفَـ: الْمَرْسَى تُجَّارْ كَاتَتْسَنَّا

أَنَا سفِينْتِي كَسْرَتْهَا مُجَاتِـــــي وَالْبَحْرِ يَّا كْلَتْ اصبَـــــرْ
نَجِّنَا يَا صَاحَبْ الدْمَامْ غَرْقْنَا

مَاجِيتْ لَلنْجَا مَا صِيفَطتْ ابْرَاتِـــي ، وَعْلَى نَاسِي غَيْبْ الْخَبَـــرْ

وَحْبَابِي وَمْعَارْفِي تَتْسَنَّا

وكما لم يستعمل سيدي عبد القادر العلمي "القرصان" في الحالات الاخيرة بل اكتفى ب "الرايس" كذلك اكتفى بن سليمان بـ: "البحريا "

وليس هذا الطرح وحده هو الذي يفيد امتداد سيدي عبد القادر في شخص بن سليمان ، بل هي طروحات وطروحات ، يمتد فيها شعر الاول في شعر الثاني ، زيادة على اللفظة المشعة ، والعبارة الموحية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وزيادة على طرق السير في كل الموضوعات التي يلتقي فيها هذا بذاك ، وزيادة على الكيفية التي يسكب بها كل واحد منهما عصارة قلبه ، وخلاصة تجاربه ، ومقارعة الخصوم بقوة ، منطق ونصاعة تعبير في هذه القصيدة أو تلك، وفقه الدارجة المغربية في شعر هذا كما في شعر ذاك ،وتوظيف مقولاتها ، ومعانيها وتمثلاتها ... على كل حال نقط اللقاء التي يلتقي فيها بن سليمان بسيدي عبد القادر كثيرة وكثيرة جدا جدا ، وليس من حشو القول أن نشير هنا الى أن عمر بن سليمان لا يزيد عن ربع عمر سيدي عبد القادر إلا بسنتين فقط

وَاللَّهْ الزِّينْ مَا نْدُوزْ ولُو يَسْخَا بِـــــــــيَّ   فِي طَبْعْ زْمَـــــــانْ

عَشْقِي صَافِي حْجًا وْحَالْتْ الفَسْدَا مَا نَرْضَاهَا

أنَا الْمَوْلُوع بَالْهْوَى كِيفْ مْوَلَّعْ بِـــــــيَّ   مَا عَنْدِي رقْبَـــــــانْ

غِيرْ عْدَايَا بَمْشَاهْبْ اللْضَا تَتْخَبْطْ فَ : لْضَاهَا

تَخْوِيضْ الرِّيقْ وَالْخْمَرْ فِي شَفًا عَسْلِيًّـــا   مَنْ غِيرْ الكِيسَـــــانْ

هَذِيكْ الدَّاتْ مْنِينْ تَنْتْقَلْ مَنْ دَاهَا لَدْوَاهَا

وَالزَّنْجَارْ وْخَلْ يَمْتْزَجْ وَنْعَصْرُ وبِيدِيًّـــا   فَ : عْيُونْ الْعَدْيَـــانْ

وَنْضَرَتْ الْكُرْهْ مْنَ الْحْسُودْ قَامَتْ الارْيَاحْ مْعَاهَا

"قُلْ هُوَ اللَّهْ "حِصَنْ حَصِينْ وْ"قُلْ أُوحِيَّ"   وَآيَاتْ "الرَّحْمَــــانْ"

هَذْ الْخَمْسَا هُمَا حْجَابْ وْسُورَتْ "يَاسِينْ" وْ"طَهَ"

وَسْلاَمْ " الْوَهْبْ وَاهْبُو لَصْحَابْ الوَهْبِيًّا   بَرْجَالْ أُو نَسْـــــوَانْ

فَ : رْيَاضْ الْمَعْنَا قَالْ "بَنْ سْلِيمَانْ" عْقُودْ رْوَاهَا

بـدأنا شعر العواطف الصادقة ببعض ما كتبه بن سليمان ، باعتباره في نظرنا النموذج الرفيع لعينة من الشعراء ، عاشت العمر كله تجربة عاطفية واحدة وظلت تعبر عنها في كل ما تبدع من روائع : - لهويتر - بوزايد - قدور بن على - مولاي قدور البلغيتي وغيرهم .

وننتقل الان الى عينة من شعراء "العشاقي" لا نكاد نجد شعر العاطفة الصادق عندها إلا في أبيات هنا وهناك ، أو في أحسن الاحوال قصيدة واحدة تامة وكنموذج رفيع لهذه العينة في نظرنا "الجيلالي متيرد" ، وقد اخترنا من "عشاقياته" .

فَاطْمَة شرْعْ اللَّهْ مْعَكْ بِينْ الارْيَـــامْ وَاشْ لَحْبِيبْ يْكَافِي بَ : الْجْفَا حْبِيبُـــو؟

قد يتغزل فيها ، ويثني عليها الثناء العطر وقد يعيرها ، ويشهر بها لتشهير النتن لا يهم ... سيان عند التنويه بجميل المحاسن أو التشهير بقبيح المساوئ إذا كان النبع هو صدق الشعور والاحساس ، إذ المهم هو حرارة الانفعال عند ما تصل في هذه الحالة أو في تلك الى التوهج ، بل الى الاشتعال .

يَاللِّي بَهْوَاهَا دمْعْ النْوَاجِلْ سنْجَـــامْ ... فُوقْ خَدي وَضَّحْ لاهَلَ الْهْوَى كْتِيبُـــو
بَعْدْ حُسْنْ الْعَشْرَا وكْمَالْ طِيبْ الْمْــرَامْ ... زَامْ رَعْدَكْ وَهْطَلْ بَفْرَاتْنُو سكْيبُـــو
بَانْ عَيْبَكْ وَغْشَانِي فَ : الْجْوَارْحْ سقَامْ ... نَاسْ الْحْيَا لُوطَالْ الْحَالْ مَا يْعِيبُـــو
الْمْلِيحْ مْسَاعَدْ وَمْسَاعْدَاهْ الايَّـــامْ ... وَالْقْبِيحْ افْعَالُوا وَمْصَايْبُو تْصِيبُـــو

✪☆✯

أَنَا يَافَاطْمَة حْسَانَكْ مَا نَنْسَـــاهْ ... وَنْتِ الاحْسَانْ مَا تْلِيتِي مَنْ نَاسُـــو
بَحْتِي بْسَرْنَا وَلَوَّ حْتِى بَغْطَـــاهْ ... "مْعِيَارْ" الْحُبْ طَابْعَكْ كَشْفْ انْحَاسُـــو

حَتَّى بْنْيَانْ مَا عْلاَ دُونْ أَسَاسُـــو

كَـــانْ كُنْتِي شَـــادِي ضِيُّـــالْ ... كُنْتِي عَنْدِي لَلنَّاضْرِينْ عَزْ أُوزَهْـــوَا
كَـــانْ كُنْتِي صَـــارَمْ فَـــلاَّلْ ... قَبْلْ لاَ يَحْفَا هَدَّيتْ بِهْ كَمْ مَنْ رَبْـــوَا
كَانْ كُنْتِي بَدْرْ فْ : الْمْثَـــالْ ... مَنْ ضَيْ سرُورْ امْحَاسْنِي تْهَلَّلْ وَضْوَا
كَانْ كُنْتِي سَرْتِيًّا مَنْ سرُوتْ زَعَّـــامْ ... لَحْتْ سَرْجَكْ وَلْغِيتْ عْلَى الرْضَا رْكِيبُو
كَانْ كُنْتِي بُسْتَانْ دْكَاتْ فِيهْ الانْسَامْ ... مَنْ شْذَايَا فَتَّحْ زَهْرُو وفَاحْ طِيبُـــو
كَانْ كُنْتِي بِينْ فْحُولْ النْجَايْبْ مْقَامْ ... إِلَى عْلاَتْ الْحِيطَانْ أَسْوَارْهَا يْرِيبُـــو
كَانْ كُنْتِي ثُوبْ الْبَسْنَاكْ بِينْ لَكْرَامْ ... وَجْلاَيَلْ لَحْنَاهَا لَلثْرَا سْحِيبُـــو

كَانْ سهْيتِي سَتْيَقْضِي مَنْ حَالْ سَهْـــوكْ وَالَى تَهْتِي التِّيهْ تَعْرِيكْ أيَّامُــــو

نَظْرِي بِمْلاَمْحْ الابْصَارْ اللِّي سبْقُـــوكْ كَمَا فَرْغُو يفْرَغْ سُوقَكْ وزْحَامُــــو

سِيرِي حتَّى يشْرَبْ عَوْدَكْ بلْجَامُو

الَـــى تَرْفَعِـــي قَـــدْرَكْ يَصغَـــارْ لاَدَأْبْ يدَلْ على كْمَالْ طِيبْ النَّسْبَا

لا تْصَرْفِـــي فَ حْبِيبَـــكْ عَـــارْ رَدِّي شِيطَانْ بْلاَكْ عَنْ عيُونْ الوَدْبَا

الْجفَـــا بَعْدْ الْوَصْـــلَ غْيَـــارْ صَاحبْ غَرْضُو بِينْ الاصْحَابْ مَالُو صَحْبَا

لاَ تْغَلْطِي حِينْ تَنْظْرِي بْيَـــاضْ الْكْمَـــامْ عمْرًا وقْتَاتْ اهْلَ الْغَلَطْ مَا يْطِيبُـــو

لوْشَرْقَتْ وْلاَحَتْ فَ : الْجوْ شَمْسَكْ عْـــلاَمْ لاَ غْنَا اللِّيلْ يْنَادِي خَلْفْهَا حْجِيبُـــو

لُو تْعِيشِي مَا عَاشُوفَ : الزْمَانْ"الاهْـــرَامْ" لاَ غْنَا مَنْ لَكْبَرْ يَاتِيكْ جنْدْ شِيبُـــو

إلَـى حكْمَتِي وتْحكَّمْتِي يفْرَغْ الاحْكَـــامْ سَاعتْ الظُّلْمْ تْفُوتْ ، وتْاسهَا يْغِيبُو

✪☆✯

حَدَّثْتَكْ وَالْحْـــدِيثْ لِلْعَاقَلْ تَنْبِيـــــهْ تَرْكِي صدْ الْجفَا وْجُولِي فُ : اوْصَافِي

عَرْضَكْ صُونِيه ، وعْيْبَكْ النَّاقَـصْ غَطِّيـــهْ مَحْل مَنْ جَا بْصدَقْ وَالْقولْ الْوَافِـــي

حَافِيتَكْ بَالْجفَا وْلاَزَلْتْ انْحَافِي

مَـــاحْدَثْ لَكْ مَنِّـــــي هَجْـــرَانْ يَأَمَنْ لاَ فِيهَا خِيرْ مَنْ شَغَافِي يكْـفَا

بَـــاحْ سَـــرِّي بَعْدْ الْكُتْمَـــــانْ لَمَّنْ نَشْكِي بَجْفَاكْ يَا قْلِيلْتْ لْـــوفَا

قَـــالْتْ الْـــودْبَا وَالْعرْفَـــــانْ مَنْ لاَ يَحْسَنْ بَاحسَانْ مَا يلِيهْ مْعَرْفَا

بَالْوفَـــا وَافِي مَنْ وَافَاكْ بِكْ يَنْعَـــامْ أَشْ مَنْ جَرْحْ بَرَامَا عَـــالْجُو طْبِيبُـــو

طَـــاعتَكْ لاَ زَمْ عَنِّي وَاجْبَـــا فْ : الْغرَامْ لاَ يَقْطَعْ مَنْ بْهَاكْ السَاكْنِي نْصِيبُـــو

بَـــالْمْكَارَمْ كَرْمِي ، وَالرَّاحْمِينْ تَرْحَامْ لُو بْخَلْتْ الْبُخْــلاَ لَجْوَادْ مَا ايْخَيْبُـــــــــو

طَالْتْ الْغُرْبَا زُورِينِي بْسَرْعْ الاقْدَامْ ضَرْعْ نَــاسْ الْجُودَا مَا غَرْزْ مَنْ حْلِيبُـــــــــو

☆☆✪

مَــنْ بَـــاعْ حْبِيبْ خَـــاطْرُو بَالَفْ زَلَّـــــة بَاعُو بِيعْ الْخَطَا بْسُومْ رْخِيصْ بْخِيسْ

أَنَـــا قَلْبِي عْلَـى الْمْحَبَّا مَـــا وَلَّـــى وَنْتِ قَلْبَكْ كَـــالْحْجَرْ جَلْمُودْ يْبِيـــسْ

مبْقَانِي مَنْ جْفَاكْ كَانَعْدَلْ وَنْمِيسْ

أَشْ قَـــلْ حْسَانَـــكْ وَجْـــــدَاكْ حَتَّى خَـــالَفْتِي عَـــاهْدِي بْغِيرْ نْوِيًّا ؟

شَـــــرْ قُبْحْ افْعَــــالَكْ يَلْقَـــاكْ مَـــايَنْجَحْ مَــــنْ لاَ فِيهْ صَدْقْ وْلاَ نِيًّا

فِـــــي نْهَـايَتْ مَسْطُـــورْ غْنَـــاكْ رَدِّي نَفْسَكْ لَحْجَـــاكْ لاَ تْكُونْ سَهْيًّا

لاَزْمِـي مَــــنْ طَاعَكْ وَلْغِي عْلِيكْ الْمْـــلاَمْ وَاشْ قَلْبَكْ وَصَـــاكْ تْسَاعْفِي رْقِيبُوا؟

للصبر شَدِّي يَا تَاجْ الْعْوَارَمْ حْزَامْ عَارْ الاشْيَاخْ الْعَاقَلْ لاَغْنَا يْهِيبُوا

بِينْ لَمْحَاسَنْ لِيكْ رْعِيتْ حَـــقْ وَدْمَـــامْ لاَ غْنَا كُلْ مَنْ الدَّاهْ الْجْفَا يْجِيبُـــوا

إِلَـــى قْرِيتِي مَسْطُورِي جَاوْبِيهْ بَسْــــلاَمْ وَاشْ قَلْبْ الْمَحْبُوبْ صَفَا عْلَى حْبِيبُوا

☆☆✪

امُــــولاَتِي إِلَـــى وَنْتِ الصَّفْحْ يْعُـــمْ دْوِيتْ بْحَرْ نَـــارْ شَوْقِي وَغْرَامِــــي

قُولِيلِي وَاشْ خِيـــرَكْ الْمَنْعُــومْ تْتَــمْ؟ هَلْ تَرْجَعْ كِيفْ كَـانْتْ امْعَكْ يَأمِــي ؟

نُكَّارْ الْخِيرْ قَالْتْ النَّاسْ حْرَامِي

لَــو تْبِيعِينِــــي عْلَــل لَشْهَـــادْ حَاشَا نَفْدِيلَكْ خِيرْيَا شْبِيهَتْ عْبَـــلاَ

كَـــانْ عَشْقَكْ لِــــيَّ جَـــــدَّاد مَالُو نَقْطَعْ يَا بُودْلاَلْ مَنْ حِيثْ حْــلاَ

يَـــا تْرَى لَلْقَـــايت يْعَـــادْ يَدْفَقْ خِيرَكْ وِيفِيضْ كُلْ يُومْ بْحَمْـــلاَ

بَ : الزّْيَارَا وْلَقّْتْنِي حْسَانَكْ التَّـــامْ كُلْ يُومْ يْهَبْ نْسِيمْ الرّْضَا بْطِيبُـــو

فَالكْدِينِي ، زُورِينِي فِـ : يَقْضَا وْالْمْنَامْ الَى غْضَبْتَكْ لَقْلِيبْ يْرُوَقْ مَنْ غْضِيبُـــو

عَبدا لجْلِيلْ يْرَاعِي لِيكْ عَبْدَكْ غْـــلاَمْ لِيكْ طَاعَا وَالقَادَرْ رَبّْنَا حْسِيبُـــو

الكدوب امولاتي فـ : الْمْذَاهْبْ حْـرَامْ قَالْ مَمْلُوكْ غْرَامَكْ : بَرّْدِي لْهِيبُـــو

كانت هذه هي قصيدة "فاطمة" أو "الغضبانا" كما سماها فقيد مدرسة الملحون المعاصرة محمد دلال رحمه الله . وهي للجيلالي متيرد المراكشي وقد سبق القول غير ما مرة : أنه كان رحمه الله على رأس شعراء الملحون الذين عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله .

والقصيدة كما لا شك لاحظ القارئ الكريم ـ تعبر عن تجربة عاطفية صادقة ومن شيوخنا من قال عنها : أن الشاعر يخاطب فيها زوجه الغضوب ، ومنهم من يضيف أن فاطمة هي أم النجار صاحب قصيدة "نور الحق السامي" وأن هذا الاخير نشأ في أحضان الجيلالي متيرد إذ تزوج أمه التي ترملت في عز شبابها ، وتبنى طفلها ، ومنهم من يقول : لا أنها مجرد "شيخا عياطا" ولع بها وعاش مدة طويلة لا تفوته ليلة من ليالي الافراح التي كانت تحييها بفنها الحوزي ، وهي نفسها التي قال عنها في غينية من "أغانيه" يُومْ الاثْنِينْ نَلْحَقْ "عَيْطُونَا " طَايْحَا بْ : الْمْدَامْ تلاغي" .

أما أنا فمع الرأي الاول ، وعندي من الادلة ما يدعمه ، إنما الموضوع برمته مكانه ليس على صفحات هذا الكتاب ، وإنما في "الترجمة للجيلالي امتيرد" من كتاب" أعلام الشعر الملحون" وسيصدر قريبا إن شاء الله .

الشعر الغزلي

أما "الغزل" فيكفي ـ في نظرنا ـ أن يقول الرجل لامرأة : أن ثوبها جميل وأن الوانه متناسقة ترتاح اليها النفس ، فقد تغزل فيها حتى ولو لم يقصد وعلى هذا الاساس أسوق قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي وهو من المعاصرين للسلطان الجليل الحسن الاول قدس الله سره .

طَابْ السْرُورْ وَنْسِيمْ رْضَاكْ يْفُوحْ كُلْ حِينْ وِيعَطّْرْ الرّْيَاضْ أُوِيعَبّْقْ بَالطِّيبْ مَنْ كْمَامَكْ

وَعْرَايَسْ الازْهَارْ يْخَضْعُوا لَبْهَاكْ مَـــايْلِينْ وَالْيَاسْ ، قَامْتَكْ يْتَمْخْتَرْ وِيتِيهْ مَنْ قْوَامَـكْ

وحْنَــا فـ: ضَلْ عَطْفَكْ يَامُولَاتِي مْزَهْيِـــينْ فـَ : الْعَزْ ، وَالْهْنَا ، وَالسَطْوَا ، وَالسَّعْدْكَ : غْلاَمَكْ

لاَتِيهْ لاَ جْفَا لاَ هَجْــرَا الْقْلُوبْ سَـــالْيِينْ بَالْفَرْحْ وَالسّْرُورْ أُولَمْنَا وَالْخِيرْ فِي مْقَامَكْ

انت للّي عْلاَشَانَكْ علّل لبْنَاتْ كَامْلـــــينْ وَالشَّمْسْ فـ:الضّحَى تَسْتَحْيَا وتْغِيبْ فِي خْيَالَكْ

انت جْمِيعْ هلّ لَمْحَاسَنْ لَبْهَاكْ خَاضْعِـــــينْ ما ريت ف : الغوالي مسرارا باهيا ابحـــالك

انت السّاكْنَا فِي قَلْبِي مَا طَالَتْ اسْـــــنِينْ وَنْتِ الْمَالْكَانِي مَنْ بَعْدْ كُنْتْ لِكْ مـــــــالَكْ

والسّرّ وَالْطَافَا وَالْعقْلْ الرَّاجحْ الْفَطِــــــينْ غْزِيلاَ لْبِيقَا وعَـــذَابْ الْقَلْبْ مَنْ جْمَـــالَكْ

✪☆✯

انت جْوِيهْرَا مَكْنُونَا فـَ : الْعَقْدْ اثْمِـــــينْ وَنْتِ وِيقْتَا وَالْيَاقُوتْ قْلِيلْ فـــِـي امْثَـــالَكْ

والجوهرى النّفِيسْ السَّاطَعْ وَالدُّرْوَاللّجِـــينْ قُدَّامْ صُورْتَكْ يْتْلاَشَا ، وَاشْ قِيمْتُو قْبَـــالَكْ ؟

انت الرُّوحْ وَالرَّاحَا ، عَنْدَكْ خَاطْرِي رْهِـــينْ فُكِّي يَسْيِرْ حُسْنَكْ وَفْدِي مَنْ زَاكْ فِـــي دْلاَلَكْ

وتبسمي يْبَانْ الجُوهَرْ فـَ : الْخَاتَمْ الْحْصِينْ وَتْمَايْلِي وْتِيهِي يَحْلاَلِي كُلْ مَـــا حْـــلاَلَكْ

✪☆✯

انت فِي وْصَافْ بْهَاكْ يْحِيرُوا الْوَاصْفِـــينْ وَالْقَوْلْ يَنْتْهِي ، وِينَحْصَرْ الْكْلاَمْ فِي وْصَـــافَكْ

وغصين الْقْدِيدْ وَغْرَابْ التِّيتْ وَالْجـــبِينْ وبْجَاهْ حَاجْبَكْ لَمْعَرَّقْ رَفْعِي لِي حْجَـــابَكْ

وعيون كَعْيُونْ الضَّبْيْ اسْرَادَا مْهَـــدْبِينْ وَإِلَى انْجِيوْا لَلْحَقْ الضَّبْي يْغِيرْ مَنْ عِيـــانَكْ

طلبت الشّرْعْ مَنْ لَشْفَارْ اللّي امْخَبْـــلِينْ وَالْخَدْ وَرْدْ حْبَاشِي يَجْرِي فِيهْ مَا شْبْــــابَكْ

✪☆✯

بك السّوَايْعْ أُو الايَّامْ أُو الاوْقَاتْ زَاهْيِـــينْ وَمْبَاسَمْ السّعَادَا تَضْحَكْ بَسْرُورْ هَاتْفَـــالَكْ

ونتي فِي حْلَلْ وَحْلِي وَالنَّهْدِينْ وَاقْـــفِينْ نَحْكِي لُوِيمْنَاتْ تْقُولْ لْمَنْ جَايْشُوفْ : مـــالَكْ ؟

والعود يَنْحْرَقْ وَدْمُوعْ الشَّمْعَاتْ سَاكْبِـــينْ وَنْتِ فـْ : قَلْبْ قُبَّا مْلُوكِيَّا بْمَازْهـــــــالَكْ

هاك الالْفَاظْ تَسْحَرْ هلْ الاذْوَاقْ الْمْأَدْبِـــينْ نَحْكِي عقُودْ جِيدَكْ ، وَحْلُوا كَنْهَا مْقَـــالَكْ

مَن رَايْقْ النّظَامْ اللِّي شهْدُولُو الْفَايْزِيـــنْ إدْرِيسْ بَنْ عْلِي قَوْلُو مَا بِينْ الرّيَامْ ســالك

اللازمة أو "الحربة"

صوُلِي بْطِيبْ لَمْحَاسَنْ يَا مَشْمُومْ كُلْ زِيـــنْ أَنَا فْ : عَارْ ذَاكْ الْخَدْ الذّهْبِي ومَسكْ خـالك

✪☆✯

تكتفي قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي كنموذج للغزل في الشعر الملحون إنه مجرد تلطف ، أو بلباقة أو أنه النبل في التعامل مع المرأة. أما التغني بالمفاتن الحسية للمرأة ، ووصفها من رأسها الى قدميها ، وتصويرها في غلالات لا تكاد تخفى أي شيء من مفاتنها الجسدية ، فذلك لا يكاد يحصى ، ويكفي أن نجتزيء هذا الوصف من قصيدة "الباكي" للتهامي المدغري ، الذي لا يدانيه ، ولا يمكن أن يجاريه أحد في هذا الباب :

سبْابِي ونْظَرْتْ "الْقْدُودْ" تْتْمَــايَلْ وتْسَاعفْ النّسِيمْ يمِينْ ويْسَــارْ

و"سوَالف" و "ضفَايَرْ الشّعْــرْ" بَالياقُوتْ الرّفِيعْ ونْسُومْ ذْكِيـــًّا

و"الْغُـراً" و "جْبِينْ" تَحْتْ لِيـــلْ "الْوفْرَا" بَرْقْ أُوهـــلاَلْ وثْرِيًا وَالْغَـــرّارْ

وَالْحَجْبِـــينْ "نُونِـينْ فَ : السْطَـرْ" عَطْفُوا عطْفًا عْلَى السيُوفْ الْمَسقِيــًّا

وَالشّفْرْ "الدبَّـــاحْ تْقُــولْ صَارَمْ و"هْـذَابْ" مرْيَشِينْ فُوقْ "الْغَنْجْ" السحَّـارْ

وَالْخَدْ " الْعَكْـــرِي بْـــلاَ عكَرْ وَ "الْخَالْ" غْلاَمْ فِي عْرِيصَا مَسقِيــًّا

و"الْمَعْطَسْ" سوسـَـانْ رُونْقْ رْكَــابُو لَلسلْطَـــانْ عَاقْدُوا مَنْ ذَهْبْ التّشْجَارْ

و"الْمَبْسَمْ" مَخْتُومْ وَ "الثّغْـــرْ" عقْدُو مَصيُونْ و "الشفَايَفْ" قَرْفِيــًّا

وَالرّكْبَـــا "عْرَاضْ فَ : الْفْيــَافِي مَا يَــامَنْ حَيْ مَا يْرُومْ الْغَــاشِي حذّارْ

وَ "الْعَضْضِينْ" صْنـوَارَمْ السقْــرْ و"صْبَاعْ" قْلُومْ و "الْكْفُوفْ" حْرِيرِيًّـــا

و"الصدْرْ" رْخَـــامْ مرْمْـــرِي فَ : مْنَارَهْ مْلُـــوكْ أَرْضنَا الاشْـــرَافْ الدُّكَّارْ

و"نْهَيْــدَاتْ" تفَّاحْ فَ : الشْجَــرْ ولَلْ رمَّانْ فِي عْرِيصـــا مَحْضِيًّـــا

وَ" البَطْنْ " الطَّـــاوِي عْلَى الْمْطَـــاوِي يَطْوِي قَلْبْ الْعْشِيـــقَ طَيْ الَّلا لُوتْحْكَارْ
وَ "الصرَّا" بَالْكَاسْ تَنْعْبَـــــرْ وَالكَاسْ جْرَاتْ فِي طْـــرَافُو حْمِيـــاً
وَ "فخـــاضْ" اسوَارِي مْنَ الذْهَبْ فَ : مْنَــارَهْ لَعْمَالَقْ الدْخَــامَا قَوْمْ التْفْخَارْ
صَـــانُوهَا فِـــي قُبْتْ النْصــرْ وَلاَ تـــوُجَدْ فــِي قْبُوبْ السَعْدِيـــا
وَ "الســاقْ" اسقَانِي كْمَا سقَا "قيس" وَ"امرُؤُ الْقَيْس" وَ "بْنَ الْمَلُوَّحْ" مَنْ دُونْ عقَارْ
"سَاقْ" احمَرْ مَنْ وَاضــحْ اجمَــرْ "الْقْدَامْ" مْحَنْيَاتْ زَادُونِـــي كِيَّـــا

هكذا هي قصائد التهامي لمدغري "العشاقيا" التي أعرف منها ما لا يقل عن الثلاث مائة قصيدة،تكاد تكون كلها على هذه الوتيرة ، أما الأويقات الحمر ، والآهات اللاهثة الملتهبة .

"اخلَعْتْ الْعْذَارْ فْ : مَحْرَابْ الْهْوَى وْصَلَّيتْ وَمْطَارِبْ الْخَمرْ تَرْكَعْ لَصْلاَتِـــي

إدريس بن علي :

دَاسيِّنِي تَحْتْ الْخْلاَلْ بين ادرُوعَكْ لَمَــلاَحْ وَالْلَّبَّـــــا وَالــــــدوَّاحْ

التهامي لمدغري :

لِيَا درَاعـــهَا بَــــاتْ وَسَـــادَا وَرِيقْهَا بَاتْ اشْـــرَابِي نَرْشْفُو بْطَعْمْ الـــذِيذْ

عبد القادر العلمي

فلا تكاد تنجو منها إلاقلة قليلة من أمثال بن سليمان لعمري ، بوزايد وأمثالهم .

ولو لم تكن في مثل هذه القصائد ، أشياء تراثية جميلة ، من مقولات ، وتمثلات ومعاني مغربية صميمة ، ونوادر، وطرائف ، وملح ، ودعابات ، من إبداع الصانع التقليدي .

وحكايات ومغربيات كانت رائجة في أوساط الصناعات التقليدية واندثرت ،ولم يعد لها من أثر يذكرنا بها الا في مثل هذه القصائد أقول : لو لم تكن في مثل هذه القصائد كنوز ودخائر تراثية لا زلنا نتتبعها ونحاول أن نوثقها لناديت بإلقائها جميعها في البحر حتى ولو كنت على يقين تام من أن التعبير في جلها ما هو الا قصد التصوير ، ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الانسان الذي لا يقرأ ولا يكتب ، أو لتصوراته .

نعم قد نجد بقية من حياء في القصيدة التي لا يتجاوز كاتبها في الوصف صدرالمرأة كقصيدة زينب ل : بن علي ولد ارزين

رمح "قدّكْ" ديوَانِي صـــابْ   وَ "السوَالَفْ" تَكْسِي ذَاتْ الْكْمَالْ كَمْ مَنْ نُوبـــا

وَ "الْجْبِينْ" انْوَارو تَلْهَبْ

"حَاجْبَكْ" قَوْس رْمَا نَشــابْ   وَ"النْوَاجَلْ" شهْلاَ بَالسَّحْرْ رِيتْهَا مَكْتُوبـــــا

شِي منَ السَّحْرْ وزُوجْ احْرَبْ

وَ"الْخْدُودْ" وْرُودْ فْ: تَخْصَابْ   بِينْهُمْ "غَنْجُورْ" فَ تَسْلِيس زَانْهُمْ خْصُوبــــا

وْفَ: "الثّغَرْ" درْ الّلا نَكْسَبْ

سر فَ: "الْعَتْنُونْ" الركّابْ   زِينْتْ "اللّبَا" وَ "الركّبَا" الْوَافْيَا الْمَسلْوبـــا

وَ"الْعْضُضْ" بْرُوقْ فْ: لَحْجَابْ

و"الكْفُوفْ" اصْبَعْ مَنْ عَنَّابْ   وَ "الصبْاعْ" قْلُومَا بَخْوَاتْمْ الذْهَبْ مَرْكُوبـــا

وْفَ "الصدْرْ" رَمَّانْ امْحَجّبْ

ويقف عند هذا الحد ليقول:

شِيء مَنْ وَصْفْ وْصِيفَكْ جَابْ   يَالِّي مَا تَشْبَهْ لَبْهَاكْ بَاهْيَا مَأْتُوبـــا

لاَفْ: لَمْدُونْ وْلاَ فَ: عْرَبْ

ومنهم من وقف عند محاسن الوجه، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الثغر، ومنهم من اكتفى بإشراقة بسمة، أو رنين ضحكة بل قد نعثر على أبيات هنا وهناك، وحتى على قصائد كاملة، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل الى جمالها المعنوي، رقة مشاعرها ... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها . و ....و ....و إلى أخر محاسنها المعنوية .

وخير من أعطى العطاء الاوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو"سيدي هاشم السعداني" رحمه الله

زِينْ وْتَحْتْ الزّينْ سرّ مَا يُوصَافْ فَ: الاشْعـــارْ   مَا يَتّنْظَرْ بَبْصـــارْ

زِينْ ايْحَيَّرْ الافْكَـــارِي   زِينْ الروحْ الطّاهْجَا يْخَلّي لَمْحَاسَنْ عَاطْـــرا

وقَلْبْ حْلِيبْ صفَاوتُـــو بْعِيداً مَنْ كُلْ غْيـــارْ وَالـــرُّوحْ مَنَ التَّطْهـــارْ

"هِيَ سبَّتْ تَطْهَــارِي" وَالعزَّافَ : النَّفْسْ خَرْقْ عَادَا فَ : النَّظْرَا ظَــاهرْاَ

لْبِيقَا ومْأَدْبَا "لْطِيــفَا درَّتْ الابْكــارْ" بِكْ يَطْهَجُوا الافْكـــارْ

يَا رُوحْ جْمِيعْ اشْعَـارِي يَا سرّْ مَنْ أسرَارْ مَنْ عَمْلَ فِيكْ اسرَارُو ظَــاهرْاَ

وَالرَّأفَا ، وَالذَّوْقْ ، وَاللّطَافَا ، وَاسرَارْ كَثَّــارْ فِيكْ احرُتّْ الاحــرَارْ

وطيب عَبَقْ عَلّل الْقَمَارِي يَامَا وَرْدْ الْخَلْدْ فِي مرْشَا مَنْ جُوهَرْ بَاهــرْاَ

فيك كْتَابِي فِيكْ لُوحتِي ، فِيكْ قْرِيتْ اسْــرَارْ مَا درْكُــوهَا الاحبَــارْ

مَا كَتْبُوهَا فَ : شَطْارِي يَا سبْحَانْ اللّي انْشَاكْ شَهْدَا بَمْصَالُو عَامْــرَا

فالمرأة إذن عند السعداني "مَاوَرْدْ الْخَلْدْ فِي مرْشَا مَنْ جُوهَرْ" وتلك - لعمري - حقيقتها ... فسبحان من أنشأها "شَهْدَا بَمْصَالُو عَامْرَا".

شعر الغربة

بقي أن أضيف أن "ملحون الغربا" وياما في ملحون الغربة ، من عواطف جياشة صادقة - هو أيضا يدخل في غرض العشاقي.

شعراء من فاس "دبَّاغَا" أو "لبَّاطَا" هاجروا الى مراكش ، والعكس صحيح ... شعراء مراكش "خرازا" أو "درازا" هاجروا الى سلا وأيضا العكس صحيح ...

شعراء من فاس من مكناس ، من سلا ... "بَنَّايَا" "كَبَّاصَا" "نَجَّارَا" هاجروا الى الصويرة والعصر غير العصر ، والموصلات غير الموصلات ، فينبعث الحنين الى الاهل والاحباب ويكثر الشوق ، وتطول المسافات ، ولا يجد غريب الديار كمتنفس يروح به عن نفسه إلا هذا اللون من الشعر :

سلَم يَا مَنْ لاَم الْغرَامْ طْعَننِّي بَنْصــالُو كَفْ مْلاَمَكْ لاَ تْلُومْ لُومَانَكْ غِيرْ كــذُوبْ

خلِينِي كِيفْ قْضَى وقْدَرْ الْمُولَى جلّ جْلاَلُو وَالْوَعْدْ نْوَدِّيهْ وَالْقَضَا لِيسْ عْلِيهْ اهْرُوبْ

فِي كل انْهَارْ نْكُولْ مَنْ غْدَا وَالْوَعْدْ بْمجَالُو وبْلاَدِي جُوبَا مْدرْقَا بشْنَاقرْ وَسْهُــوبْ

على رْقُودْ عَيْنِـــي يظْهَرْ "زْلاَغْ" "وَاجْهْ" "تْغَاتْ" وْ "كَنْدَرْ" دَارْ بَالْجْبَــالْ الْمَنْصُوبَــا

هما يْفَكْدُونِي فِي "بَرْ مْــرَامْ" "جَاوْرُو" "كِيلِيزْ" أُو صمْعَــا مْقَــابْلاَهُمْ مَنْصُوبَـــا

يزيـــد كُلْ ســاعَا شوقي منْ فقد لاَ متِـــي وتْعُودْ الدَّمْعَا علَى خدُودي مَسْكُوبَـــا

بَـــاقي غرِيبْ فِي فَاسْ البـــَالِي فرِيـــدْ منْ شفْقُو حـــَالِي ؟

كَانْبــــاتْ نقْسَمْ داجِـــي ودَمْعَتْ الشّـــوقْ عْطِيـــلا

ايمتَى كَـــانْ هنَا الْفـــرَاقْ

فرْقتْ نـــاسِي ورْجـــَالِي أو اللِّي شَطْــنُو بـــَالِي

وَالْمسَـــايفْ شلاً وطْريقْهَا منَ الْخُوفْ طْوِيـــلَا

طُولْ زْمَانِي نَسْعَى اللَّهْ لَجْلِيلْ الْعَالِي يَجْمَعْ شمَلْـــي بغْزَالـــي

لَلْمدِينَا الْحَمْرَا نَمْشِي نْشُوفْ زِينْ التَّخْلِيـــلاَ

غَايَبْ غَايَبْ هذَا شحَالْ وَايَّامْ الغيبَا طَـــالُو وَاللِّي رَادْ اللَّهْ فِي زْمَانْ الْغرْبَا مكْتُـــوبَا

عَمْدًا عمْدًا لَلِّي غرِيبْ كِيفِي وقْوَا تَجْـــوَالُو فـ : بْلاَدْ النَّاسْ مَا يْصيبْ الرّحَا متْعُـــوبْ

طَالَبْ نَعْمْ الْمتْعَالْ مَا يْخَيَّبْ قْصدْ منْ سْعَالُو يَجْمَعْنِي فـ : مْدِينْتْ الْحضرْ فَامَانُو محْجُوبْ

وَالْغِـــيبَا جُوبَا وْحَرْهــَا وَالوعْدْ الْمكْتـــُوبْ

مَصَبْرَنِي لَلتِيهْ وَالْجفْــــا وَغْرَامَــكْ زَادْ الْقْلِيــبْ رَجْفـــَا

نَارْ الْفرَاقْ صعْبَا وَالْغِيبَا وَاعرَا علَى لَحْبَابْ وَالرّزْقْ وَالطْعَامْ يْنَادِي اللِّي سَابْقَا تَكْتـــَابْ

وَاللـــِّي هـــوْانْ مَا يَصْعــــَابْ

طـــالَبْ رَبِّي عَالْمْ الْخفِيـــَا يَجْمَعْنـــا فـ : سَاعَا زْهِيـــا

ونَقـــولُو علَى سْلاَمْتْ الْغيـــابْ

هذه أغنية ملحونة "السرابا" وقد سبق أن تناولناها ببعض التفصيل في الفصل الاول من هذا الكتاب .

قلت هذه أغنية ملحونة كتبها شاعر مراكشي وهو في مدينة فاس ... ولابأس في مقابلتها بأغنية ملحونة أخرى ، كتبها شاعر فاسي ، وهو في مدينة مراكش .

أَعْشِيرِي شِ ينَسِيِّنِي فْرَاق لُونـــاسْ   أَعْشِيرِي خَلِّيتْ انَا بْلاَدْ الْحْضَـــرْ

وبْقِيتْ غْرِيبْ فِي بْلاَدْ النـــــاسْ

أَعْشِيرِي لاَ غَاشِي لاَ خْبِيرْ رَقَّـاسْ   أَعْشِيرِي يَا تِينِي بَ : الْبْرَا يْخَبَّــرْ

وِيهَنِّينِــي عْلَى مْدِينَةْ فـــاسْ

أَعْشِيرِي هِيَّ أَرْضْ الْمْيَاهْ وَغْرَاسْ   أَعْشِيرِي هِيَّ نَقْمَا لْكُلْ ضَاسَرْ

طاغِيهَا خَادْفَ : الْعْضَا مَدْعَـــاسْ

أَعْلِي ضَـــامَنْهَا سلْطَانْ أَرْضْنَا عَسَّاسْ

نَاضْ بَحْــرُو مَالِيهْ قَيَّـــاسْ   رُوحْ دَاتِي مُولاَيْ دْرِيـــسْ

لِيهْ طَـــاعَتْ مَنْ دُونْ عْكَـــاسْ   مَنْ الْهَنْدْ وْشَكْ الْمَقــدْسْ

وَالْغَــرِيبْ امْلاَحَقْ الانْفَـــاسْ   تَاهْ عَقْلُو مَا صَابْ وْنِيــسْ

أَعْشِيرِي وَقْتْ مَا شَفْتْ دُوكْ الاقْوَاسْ   أَعْشِيرِي نَتْفَكَّرْ دُورْتْ النْوَاعَــرْ

وَبْدُورْ الزِّيــنْ مَنْ اخْيَارْ النـــاسْ

أَعْشِيرِي يَظْهَرْ فَاسْ اجْدِيدْ قَيَّــاسْ   أَعْشِيرِي مِيرْ العَلْفَاتْ وَالْعْنَاصَرْ

تَمَّا قَصَرْ وِبْنَانْ فَ : الْعَسْعَـــاسْ

أَعْشِيرِي شَاهَدْتْ "تْغَات" بِينْ الاغْرَاسْ   أَعْشِيرِي يَظْهَرْ بِينْ الْجْبَالْ "كَنْدَرْ"

"زَلاَغْ" عْلَــى مْدِينْتُو عَســـاسْ

أَعْلِي شُوفْ جْنَانْ الدُّوحْ فَ : الْبْطَايَحْ مــاسْ

وَلْعْشِيقْ بَ : الْغْــرَامْ تْقَـــاسْ

عَلاَلْ يَاعْلِي كَمْ لِي نَرْجَـا   مَنْ غَرْبْتِي بَاغِي نَنْجَا   هَذَا اشْحَالْ كَانَتْرَجَـــا

وَلاَ قْطَعْتْشي لِيــــــــأسْ   جرْحْ الْغضـــا بْغيـــــــرْ مـــــأسْ

خُويَا وْصَاحبْي طَالَبْ رَبِّي ، نَلْقَى عْشَايْري وَاصْحَابِي ، نَنْسَى امْحَايْنِي وَشْغَابِـي

مَنْ اللِّــــــــي نْرَى مْدِينَتْ فـــــــاسْ

يقولون : "الشقي للشقي نسيب" . أما الاغنية الثالثة في هذه المجموعة تقول "الغريب للغريب حبيب"

مْبَارَكْ عِيدَكْ وَاهْيَا الْبَرَّانِي مَنْ لاَلُو سْنِيدْ   وَالْغَايَبْ يَتْرَاحَمْ مْعَا اللِّي مَتْلُو فَ : الْغُرْبَا فْرِيدْ

وَاللِّي عَنْدُو مَحْبُوبْ صَارْ لِيهْ وْكِيــــدْ   يَتْفَـــــــــا فْرَوْا صْبَاحْ العِيــــــدْ

وَانَا مْعَكْ نْتْفَـــــــاقْرْ

قَرَّبْ لِيَّ نْعِيدْ لِيكْ اخْبَـــارِي

وَتْعِيدْ لِي خْبَـــارَكْ

نَحْكِي لَكْ أشْ صَارْ فِي أيَّامْ اعْدِيــدَا

أنَا مَتْغَرَّبْ ... وَالغْرِيبْ يَرْجَاوَهْ نَاسُو

بَعْدْ حِينْ فِي أيــــــــامْ سْعِيــدَا

وَانَا نَاسِي جُويَا اضْحَـــاوْا

حَايْزَهُمْ وَادْ " غْمَــــــات"

الْمْكَنِّي " صَبَـــــرَا"

وَوَادْ " نْفَيِّس" مْــوَاجَهْ لَلْجْدَارْ

وَجْبَالْ " الدِّيرْ " و "تِـــــيوْزَارْ"

بَهْجَا وْنَعْمْ بَهْجَــــــا

صَالَتْ بَسْرُورْهَا عْلَى الْقَلْبْ لْذِيـــذَا

خُودَاتْ كَالجْـــــــــلاَيَبْ

غَزْلاَنْ يْنُوَهُو فْ وَطْيَــــانْ الْبِيــــــــــدَا

أنَا فِي فَاسْ فْرِيـــــدْ

وَالْحْبِيبَا رَاهَا فِي بَهْجَتْ الْمْتُـــونْ "الْحَمْرَا" أرْضْ اجْرِيـــدْ

وَالْمَرْكْــــدْ نَــــادَا

وَالْقْـــدَامْ يْجُولُو بِيَّ عْلَى اللِّي سَابَقْ لِــي مَكْــتُوبْ

فِي سْطُورْ التَّنْفِيـــدَا

وَسْوَايَعْ الْفْـــــرَاقْ يْفُـــوتُو

وَنْرَجْعُوا الْفُرْجَاتْ لْذِيــذَا

أنَا الْغَـــايَبْ بِينِي وَبِينْهُمْ

عَشْرْ أيَّامْ طْرِيـــقْ

وَالْمْسَايَفْ شَلاَّ وَطْرِيقْهَا

مَنَ الْخَوفْ شَـــدِيدَا

لَكِنْ مَا شَــــاءْ اللَّهْ وَاشْ بِيدِي نَعْمَلْ لَحْكَـــــامْ لِيــهْ

ارْجَايَا فِيـــهْ يْلَمْ لِـــي الشَّمْلْ ، وَانْهَنَا وْلاَ نْعُـــودْ نْكِيدْ

نَفْرَحْ بَالرْضَــــا وَنْزِيـــدْ

أوَاهْ يَـ : الْبَــــرَانِي ...

قَرَّبْ لِي النُّوحُو غِيرْ أنَـــا وِيَــاكْ

شَـــاقْ شُوقِـــي

وَتْفَكَّرتْ لاَ مْتِي وْنَـــــاسِي

وَصْبَحْ جَمْرِي زْنِيدْ .... يُومْ الْعِيـــدْ

وشعر "الغربا" لا يوجد في الاغاني الملحونة فحسب ، أعني "السرابات" بل في القصائد أيضا : "يَاللِّي وِينْ أنَا مَا جَابْ لِي خْبَرْ" تغريبة الفقيه لعمري بتادلة ، ومسقط رأسه مكناس :

"يَا تَغْرَابِي عْلَى الْغَرْبْ اتَغْرَابِي" غربة بن علي المسفيوي في " الترك" وأصله من أسفي "غْرِيبْتِي غْرِيبَا فَـ : التَّغْرِيبَا" بوزيان ... على كل حال أعرف ست قصائد من شعر الغربة ، وما أخترت "الاغنية الملحونة" "السرابا" إلا لانها قصيرة خفيفة تيسر التعامل مع أكثر من شاعر من جهة ، ولان لها الحق في أن يكون لها مكانها هي الاخرى على صفحات هذا الكتاب .

وإلى جانب "شعر الغربا" نجد "شعر الرحلات" رحلة بلقاسم الى سلا :

قَالُو الاخبَـــارْ السفَرْ يْقَطْعْ اسلاَسَلْ الْفَقْـــرْ وَالجَـــوْلاَ تَنْبِيهْ لْلْفَكْرْ

وتْزِيـــــــــدُوا يَضْمَـــارْ وَالرَّزْقْ يْنـــــــادِي وَالْمْهَــــاجْــــرَا

صَحَّتْ الاخْبارْ انْهـــارْ كْتَابْ سرِيتْ لَلسفْـــرْ قُلْتْ الجُوْلاَ حَدْهَا شَهْرْ

هَايَـــــمْ بِـــينْ قْفَـــارْ تَايَهْ فُوقْ الْبِيـــــــدَا الْعَـــــامْرَا

مَاعبْتْ قْـــــرَارْ غِيرْ انْفَاجِي الاهْوَالْ وَالْكَـــدْرْ حَتَّى جِلْتْ سوَاحَلْ الْبْحَرْ

وَمْهَـــــــامَهْ الاقْطَـــــارْ رِيتْ الْمَرْسَـــــــاتْ وْقَـــلْتْ يَـا تَـــرَا

بَانُو الْجْـــــدَارْ وَظْهَرْ "حَسَّانْ" هْمَامْ مَشْتْهَـــــرْ عَنْ شَلْيَافِي قُبْتْ النْصرْ

رَاقَـــــــبْ عْلَى الاسْــــوَارْ بِينْ سفَايَنْ وبْحُــــــــورْ زَافْــــــرَا

رحلة "التجار" الى فاس ، رحلة بوزايد الى تلمسان ، ورحلات ورحلات تحتفظ لنا بالكثير من أسماء القبائل وعاداتها ، وتقاليدها كما تحتفظ لنا بالكثير من أسماء الانهار ، والعيون ، والآبار الى غير ذلك ، مما يزخر به شعر الرحلات ... وهذه الاسفار ، وهذه الرحلات قد أنتجت لنا شريحة أخرى من شرائح "العشاقي" هي :

"شعر المراسلة"

قَدْ يْكُـــونْ سَاعِـــــي الْبَرِيدْ مِنَ الْحْمَــــامْ

لَلَّهْ يَا حْمَامْ الدِّي عُنْـــــــوَانِي مْعَ الســـــلاَمْ

لَلصَّحْرَى يَا "وَرْشَانْ" تَغْدَالِـــــي وَهْدِي سْلاَمْنَا كَانْ وْصَلْتِي لَلْاشـــــرَافْ

فَكَّدْهُمْ فَ : الْغِيـــابْ

سِيرْ بكْتَابِي يَا "وَرْشَـــــانْ" سَلَّمْ عْلَـــــى الْبَدْرْ السَّيَّـــــارْ

وقد يكون مجرد نسيم ، أو ضوء القمر ، بل قد يكون من البشر :

أَمَرْسُـــــولِي لَلَّـــــهْ صبْرِي هَذَا اشْحَالْ وَانَـــــا فَانِي مَهْجُـــــورْ

مَيْسُورْ الْبِـــــينْ وْطَالْ صبَـــرِي نُوَّاحْ فِـــــي ابْلاَدْ بْعِيداً مَهْجُـــــورْ

وَالْهَاجَرْنِي مَا جـــــابْ خبَـــرِي مَا خَفْتْ غِيرْ نَمْضَـــــا مَنْ قَبْلْ يْـــــزُورْ

✪☆✯

صِيفَطْتْ لَلْغَـــــزَالْ "بْرَاتِـــــي "مَرْسُولِـــــي" مْشَـــــا طَـرَدَاتُـــــو

قْرَا لْـــــهَا حْرُوفْ ابْيَـــــاتِي قَبْضَـــــاتْ "الْكْتَـــــابْ"ارْمَـــــاتُو

✪☆✯

هذا وقد رمزوا بالمرأة الى أمنا الارض :

صبحت باررزا ف : كساوي حســـــان دام الله جمـــالها وحسنـــــو

ورمزوا بها الى الكعبة "مليكة" للغرابلي "فضيلة" ل : بن علي ...

"ليلى" للحاج ادريس ، ورمزوا بها الى الحكمة "دامي شرادا" لسيدي عبد القادر .

ورمزوا بها الى "اشجيا" أو "الإلهام " أو الموهبة" "حمامت الاسرار " للازموري و ... كما يقول المثل العربي : " مالايدرك كله لا يترك كله " هذا باختصار شديد هو ما اصطلح أهل الملحون على تسميته ب : العشاقي"

☼ "الساقي" أو "الخمرية" ☼

كل الابداعات التي تسمى "الساقي" ـ قصائد الساقي، سرابات الساقي ، عروبيات الساقي هي خمريات .

والخمريات في الشعر الملحون ، لا تقف عند حد ما يوحي به اسمها ، بل تجوب فضاءات وفضاءات لا نكاد نجدها في أي غرض آخر من أغراض الملحون .

لوحات الاصائل ، نسائم البكور ، ألوان الشفق ، ورح الفجر . والتراث ... أي نعم التراث ، هذا الفيض الزاخر من المعاني ، من التمثلات ، من الرؤى ، من التصورات .. وقد أفاضه الصانع التقليدي والرجل الحرفي ، على شاعر الملحون .

والفنون فن التعبير ، فن التصوير ، فن التشخيص ، فن التجريد ، وتجسيم ما لا يحسم ، وتجسيد ما لا يجسد ... يرحم الله الجيلالي متيرد إذ يقول :

"الزْهُــو" فَ سْطُــورْ نْظَمْنَـــــاهْ وَالْهْـوَى "سَاقِي" سَمَّيْنَـــــاهْ

وَالْوَزْنْ سَمَــــــــاعَا

وفي بعض النسخ زيادة هي : "وْلاَزْيَادَا إلاَّ خْيَرْ"

فرنين كؤوس الخمرة أذن ... وألوان أنواعها ، وأسماء عيناتها ، وجمال ساقيها ، والزرابي .. والارائك .. والطنافس ... وما الى ذلك ماهي إلا من قبيل "الاكسوسوار" في صناعة "السيناريو" أما المحتوى في أبعاده ومراميه فهو أعلا وأرفع وأسما بكثير من هذه الشكليات .

وسنكتفي في هذا الغرض بقصيدتين فقط فجر "التهامي لمدغري" وفجر عبد القادر العلمي

فأما فجر التهامي لمدغري فسنورد منه مجرد أبيات من هذا المقطع أو ذاك وأما فجر عبد القادر العلمي ، فسوف نسجل نصه الكامل ، مع تحليل له شامل ساهم به الاستاذ عبد الصادق سالم في ندوة "الشعر الصوفي" بملتقى سجلماسة الثالث للملحون أيام 8 . 9 . 10 يونيه 1990 .

يقول التهامي لمدغري في نسائم الفجر :

مَاشَمِّيتْ نْسَايَمْ الْفْجَــــرْ حِينْ اتْهَبْ تْبَشْرْ الزْهَـرْ فَ : خْمَــايَلْ الادْوَاحْ

وَتْرَشْ كْمَامُو الْفَايْــــــحَا وَتْغْــرَمْ ادْنَــانْرْ الذْهَبْ دُونْ شْحَاحَــا

فالنسيم يهب على الاغصان فيحركها ، فيبدأ "الرش" من أوراق الاغصان و"الرش " قد يكون المقصود به "التصفيق" وقد يكون إشارة الى قطرات الطل المتجمعة على الاوراق ... وكيفما كان الحال ف : اللفظ من قاموس الدارجة المهجور ... وكذلك "لغراما" أي وريقات الازهار التي تتساقط بفعل النسيم وهي هبات الفارح المسرور لمن أدخل عليه الفرح والسرور .

مَاشَفْتِي هـــزَارْ "تَايْوَرَّقْ" بَاوْرَاقْ الــرُّوضْ وِيخْطَبْ فَ : مْنَــابَرْ الادْوَاحْ
وَعْيــُونْ النَّرْجِسْ طــــافْحَة بَنْدَاهَا خَاشْعَا وْدِيمَا نُوَّاحــا

ومن قاموس الدارجة المهجور أيضا "التوريق" ف : العلامة المحدث يحدث الناس مما جمع الله في صدره من علم ومعرفة ، فهو دوما يرتجل حديثه ، أما الفقيه ، المورق " فهو الذي يحدث الناس من كتاب يقرأ لهم بعض صفحاته .

والهزار عند التهامي لمدغري هو ذاك "الفقيه المورق" : "تَايْوَرَّقْ بُورَاقْ الرَّوْضْ وِيخْطَبْ فَ : مْنَابَرْ الادْوَاحْ .

مَاشَفْتِيــشْ الْبَــاغْ كَا يْحَفَّظْ "لَمْحَضْرَا" مَنْ الطّيرْ ورَدُو فِي كُلْ صبَــاحْ
وَالْوَرْدْ وَذَاتُــو مفْتَحــا يَصْغَــى لَقــرَايْتُوا بْنَغْمَا صَيَّــاحَا

"لمحضرا" لمحاضريا" أيضا من الدارجة المهجورة ... والمعنى ، تلاميذ الكتاب القرءاني .

والطير المعروف باسم "الباغ" يلقن "لمحضرا" أولاد الطيور - الوردالذي يرددونه قبل الشروق في كل صباح وأشرقت الشمس ، أو على حد تعبير عبد القادر العلمي : "وَتْحَقَّقْ ضَلْ الْوَرَاقْ"

مَا شَفْتِــي ضَلْ الوَرَاقْ يَتْعَانَقْ بَالْعَشْقْ الْحقِيقْ فُوقْ زْرَابِي الابْطَــاحْ
تْقُــولْ عْرُوسَا جَاتْ رَايْحَــا فَ : كْمَايَمْهَا بْعَزْ حَنْطَا وَسْيَاحَــا

وهذه الاشارة الجميلة الى الرياح وهي تكتب على صفحات المياه الساكنة "سطور الوهب"

لُوشَفْتِ "السَّهْرِيــجْ" سَطْرَتْ فِيهْ الرِّيــحْ سْطُورْ مَنْ الْوَهْبْ قْرَاهَا نَصَّــاحْ

من أجل معجم الدارجة المهجور ، ومن أجل مافي هذه القصائد من وصف الاجواء الاصائل والبكور ، والضحى ... والليل إذا سجى ... والليل إذا يسري ... والصبح إذا تنفس ، من أجل هذا وما شابهه ... ومن أجل ما في هذه القصائد من إشارات صوفية سوف يكشف عنها الاستاذ عبد الصادق سالم بعد لاي ، من أجل هذا وغيره مما لا نريد أن نطيل بذكره ، نحب هذه القصائد ونعتز بها ، حتى ونحن نتحرج في إذاعتها ، أو الترويج لها .

النص الكل لقصيدة "الفجر .. أو "الساقي" وهي من غرر قصائد سيدي عبد القادر العلمي .

اللازمة:

رَاحْ اللِّيلْ وْعَلَمْ الْفَجرْ تَاكْ الصبْحْ الرَّاقــي يَا ســاقــي
دُورْ عْلَى الْحَضْرَا بَفْنَجْلَكْ تَزْيَانْ الْمُوســيــقَى جَرَّعْ لَلــساهِي يْفِيــقْ

القسم الاول:

شُوفْ هْمَامْ الضَوّْ بَانْتْ عْلُومُو فـَ : الافَـــاقِ

وَنْظَرْ لَشْمُسُو الْبَاهْيَا عَلَ لَجْدَارْ شَرِيقَـــا هَزْمَتْ سُلْطَـــانْ الْغْسِيـــقْ

وَطْيَـارْ الْبُسْتَانْ كَاتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبَاقـــــي

فُوقْ غْصَانْ الرَوْضْ كَاتْحَنِّي بَاصْوَاتْ رْقِيقَـا صَــــاحْ الْبَلْبَلْ وَالْبَشِـــيقْ

شُوفْ أَمْ الْحَسَنْ شَاكْيَا لَلْحَيْ الْخَلاَّقِـــــي

بْغْرَامْ هْوَاهَا لاَنْهَا مُولْـــوعَا وَعْشِيقَـــا بَالْحَـــبْ جَسْمَـــهَـــا رْقِيـــقْ

وَالْحَرْبَلْ يَنْشَدْ مَايْتُـــو فـَ : طْلُوعْ السَّرْيَـــاقِ

وَالْحَدَّادْ ايْجَـــاوْبُو بْرَنَّا فـَ : نْغَامْ لْبِيـــقَا تَسْبِــي الْـــــوَالَعْ وَالْعْشِيـــقْ

✪☆✯

القسم الثاني :

مَـــاسْ الْغُصَنْ النَّـــايَقْ وَزْخَرْفَتْ لَحْدَايَـــقْ وَتْحَقَّقْ ضَلْ الْـــورَاقْ

وَالْبُسْتَانْ الْبَـــاسَقْ وَمْيَاهُو تْدَافَـــقْ فَغْرَاسْ نْوَاحُو سَـــاقْ

فَـاحْ الزَّهْـــرْ الْعَـــابَقْ وَاصْبَحْ غُصْنُو رَايَـــقْ وَرْوَاتْ الْغُصَانْ الرْقَـــاقْ

طَـــابْ سْـــرُورْ العَـــاشَقْ ذَاتْ الْحُسْنْ الْفَـــايَقْ يَخْجَلْ مَنْ شُوفْ الرْمَـــاقْ

طَارْ غْرَابْ الدَّاجْ وَالْخَمْرْ فـَ : الاَوَانِي بَاقِـــــي

اهْدِي كَاسَكْ لَلْمْلِيـــــحْ وَخْضَعْ لُو بْتَبْنْدِيقَـــــا وَفْهَمْ مَعْنَاتُو وْعِيــــقْ

رْوِي يَا سَاقِـــي خَمْرْ قَمْصَا لَكْ وَسْطْ رْوَاقـــي

وِيلاَ فَاضْ الْكَاسْ كُلْ قَطْـــرَا فـَ الأَرْضْ عْقِيقَـــا وَاصْفَا مَنْ الدَّرْ اشْرِيـــقْ

غدَرْ لِي تكمَلْ فرْحتِي يتْحقَّقْ رونْاقــــي

ترَكْ الخَمرْ وهَاتْ لِي الصهْبَا فـ : الكـــاسْ حقِيقـــا ومْلاَلِــــي ذَاكْ البْرِيـــقْ

كاَتبْ مولَانَا السعْيدْ ساعَدْ وَالشاَّقِي شاَقِـــي

لاَ تسْتكرَبْ منْ ذنـــــوبْ ولاَ تتْكـــلْ عنْ تيـــقاَ مولاَنَا غاَنِـــي شفِـــيقْ

القسم الثالث:

رَاحْ اللَّيـــــلْ ولَّابقـــا إلاَّ وقْتْ المْعَانْقـــا كبْ .. أرَا .. ورْخِي الروْاقْ

بِينْ الاشْجَارْ البْاسقـــا أوالاطيْارْ النَّاطقـــا عمْرتْ بلْغاهَا اســـوْاقْ

كبْ الخَمرَ الخَارقـــا في كِيسانْ ابْنَادقــا منْ زَاجْ ابْلاَدْ العْــــرَاقْ

تظْهرْ خمْرَا بَارقـــا في أوَانِي شارْقـــا في لونْ سحِيقْ الرهْـــاقْ

ســرُورْ الدنْيَا وزَهوْهاَ فـ : الزيْنْ أو العْرَاقـــــي

وَالصــــولاَ وَالعزْ فِي ركُوبْ الفُرْسَانْ حقِيقـــا ومْعَ الفضاً وَالوْرِيـــقْ

سعْدْ زمـــــانِي تاَكْ كوْكبِـــي وتتْنوْرْ إشرَاقـــي

هذاَ وقْتْ سعِيدْ كبْ كـــاسْ الخَمرَا لَعتِيـــقاَ لاَ ترْتاَشِي للرْحِيـــقْ

غنـــي باَشعَـارْ القدَامْ وذْكرْ طبْعْ العْشاَقـــــــي

متْعْنِي فـ : جمْـــالْ صوُرتكْ وَالْحاَظكْ لَغسِيقـــا ياَ خدْ الورَدْ اشْـــرِيقْ

بَصنَايعْ وَسَنْجـــولْ وَالتوَاشحْ منْ شغُلْ دوَاقـــي

وَاذْكرْ قصْدَانْ اكبَـــاحْ وبرَاولْ فـ " ترُونِيقَـــا منْ شغُلْ الحبْرْ اللبِيـــقْ

القسم الرابع :

خلْعْ الداَّجْ غساَقــــو ورْخَا الصبْحْ أروْاقـــو ولْبَسْ حلَّتْ الاشْـــرَاقْ

دَاقْ الْحُسْنْ أُوثَاقُـــو ورْخَا سرّْ امْسَاقْـــو وَالزِّينْ خْلَقْــو الْيَــاقْ

دَارْالْحُبْ تْمَاقْــــو لَمْطَرّزْ بَمْسَاقُـــو وَخْرَجْ لاصْحَابْ الاشْــوَاقْ

وَامرْ عَنْ عُشَّاقُــو قْدَّامُوا يَنْسَــاقُـو وَحْيَا لَعْهُـودْ الْوْثَــاقْ

امْضَلْ ، وقْادَاتْ ، وَالْمَزَارَقْ ، وَالتَّاجْ الرَّاقِـــي

وَكْدَاشُــو ، ومْحَافُــو وزْايَاتُـو فْ : تَزْوِيقَــا وَطْبُــولْ الْحَرْبْ الزْعِيــقْ

اَمْـــاً فَاكَمْ مَنْ دْهَاتْ ، وَمَا زَهَقْ مَنْ تَاقِـــي

وَمَا بَعَدْ مَنْ افْضَــالْ عَنْ لَمْــرْوَا وَالتّــيقَا وَمَـا عَـادَا مَـنْ صَدِيــقْ

مَنْ حَرْبُو لَعْصِيــفْ تَاهْ "قَيْس" وْ "جَابَرْ لَعْرَاقِـــي"

وَالْعَبْسِـــي لُهْمَــامْ "عَنْتَرَا" تَرْكُو الْحُبْ فْ ضِيقَا وَسْقَــاهْ السَّمْ الْخْرِيـــقْ

كِي كَانْ مَنْ ازْمَـانْ حَاطْ قْدَامُــو عَلْل لَعْنَاقِـــي

الْدَابَـــا مَا زَالْ سِيرْتُــو عَنْدْ النَّاسْ حْقِيقَــا لاَ حَدْ لْحَرْبُـــو يْطِيــقْ

✪☆✯

القسم الخامس:

يَا مَنْ دْرَا نَتْـلاَقَـــا بُونَجْلاَتْ غْشَــاقَا وَكْيُــوسْ مْدَامِـي يِـذُوقْ

صَـالْ يَطْبَعْ عْشَاقَـا وَكْيَاسَـا وفْيَاقَـا يَجْرَحْ مَنْ شُـوفْ الرْمُــوقْ

وَحْـنَا زُوجْ رْفَــاقَا وَالصُّهْبَـا دْفَّاقَـا فْ : دْوَاخَلْ عُمْقْ الْغْمُــوقْ

فِيكْ الشُّوفْ عْشَـاقَا بُوصَالَكْ نَتْلاَقَـا رَافَـا يَا بَدْرْ الشْـــرُوقْ

وْصَالَكْ فُرْجَا الْمَرْسِمْـــي وَنْزَاهَا لَخْلاَقِــــي

وْصَالَكْ تَفْرِيجْ لَلْحْجَا ، وَصْدُودَكْ تَضْيِيقَـا لاَ حْسَاسْ الْجَسَمْ الرَّقِـــيقْ

إِلَى تَعْطَفْ لِي نْصِيبْ عقْلِي وِيزُولْ حمْاقِـــــي

وِيلاَ تَجْفِينِي تْعُودْ رُوحِي فـ : الدَّاتْ قْلِيقـــــا وَالنَّفْسْ فـ : صدْرِي تْضِيـــقْ

لاَيَنْ طَبْعْ الزِّينْ عَارْفُو فـ : نْهَايَتْ تَحْقَاقــــي

رَاكَبْ عَنْ سمْحُوجْ لْلْغدْرْ سَالَكْ كُلْ طْرِيقـــا مَا عنْدُو حتَّـــى صدِيـــقْ

وْوْصَالَكْ كَمْيَا لْحبِيبْ فكْرِي ، وَضيَا لَغْسَاقـــي

وْصَـــالَكْ رَافَا وْصدْ هجــرَانَكْ نَارْ خـرِيقَا بَجْمَارْ الْضـــاهَا حرِيــقْ

***

القسم السادس :

صدْرْ الزِّينْ رْوَامْقُـــو وَرْخَا السرّْ اسْوَابْقـــُوا وَحلْفْ عَـــارِي لاَتْقَــا

تَظْهَرْ غِيـــرْ مـــزَارقُو وَسْيُوفُو وَدْمَاجقُـــو يَطْعَـــنْ ذَاتْ اللِّي لْقـــا

وَخْيُولُو وَصوَاعقُـــو وبْطَالُـــو وَزْوَاعقـــُو مَنْ قَابَلْ جِيشُو الْقـــا

مَا قَدِّيـــتْ نـــزَافقُو ولاَ طَقْـــتْ نـــرَافقـُو وكْيُوسْ مْدَامِـــي سقَـا

رَاكَبْ عَنْ شلْـــوِي سرِيعْ شِيهَانُو منْ لَعْتَاقِـــي

اهْمَزْ سمْحُوجُـــو وْسَارْ خـــلاَّنِي فـِي تَشْوِيقـا نَرْثـِـي بَالدَّمْعْ الدْفِيـقْ

سلْتَكْ بـ : الْخـــلاَّقْ قُلْتْ لُو : يَاسلْطَانْ رْفَاقِـــي

وْقَفْ لِي حتَّـــى نْكَلْمَكْ يَا بَـــاهِي لَخْلِيـــقَـــا هَجْرَكْ بِـــيَّ مَا يلِيــقْ

رَاقَبْ فِيَّ وَجــهْ سِيـــرْتِي وَعْشرْتِـي وَمْلاَقِـــي

شـــاهدْ فِيَّ وَجْهْ طَـــاعتِي وَعْهُـودِي لُوتِيـــقَا وَحْسبْنِي خُوكْ اشْقِيـــقْ

هـذَا حكْمْ اللَّه ، الْجْلِيـــلْ ، الْبَرْ ، الرَّزَّاقِـــي

يَا سْعَـــدَاتْ اللِّـي سْعَـادتُّو فَ : الازَلْ سْبِيقـــــا وَرْضَاهْ الْحَقْ لْحْقِيـــــقْ

✪☆✯

القسم السابع والاخير :

مَنْ لاَ يَرْكَبْ نَاـــــــقَا هِيـــرِيًّا سبَّاقَـــــــا مَا يَرْبِي نَهْجْ الطـرُوقْ

مَـــنْ لاَ يَمْلَكْ طَاقَـــا مَا يَبْـــرَا مَنْ فـــــاَقَا وَلاَ يَتْدَانَا لَسُـــــوقْ

حَفْظْ النَّظْـــمْ فْيَاقـــاَ وَفْرَاسَـــا وَحـــــذَاقَا يُدْرَكْ بْحُسْنْ الْخـلُقْ

وَالْمِيــــزَانْ الْيـــاَقَا وَلْطـــــاَفَا وَلْبـــاَقَا شَلاَّ يَدْرِيواْ الْوَشُـوقْ

أَوِيحْ الــــــدَّاعِي الَى يَذُوقْ فْنــاَجلْ تَرْيَاقِــــــي

زَهْلـــوُلِي بَمْخَـــالْبُو يْمَـــزَّقْ دَاتــــو تَمــــزْيقَا وَدْمَاهْ يَتْرَكُو هْرِيـــقْ

وَامَا مَنْ طَاغِي رَاحْ يَشْتْكِـــي مَنْ ضَرَبْتْ سْغْنَاقِــــي

وَامَـــا مَنْ بَاغِـــي تْرَكْتْ دَاتُو بَالشـــوُّمْ حْرِيقـــــا وَسَقْيتُو خَرْقْ الْخْرِيقْ

وَامــــا مَنْ هُوَ جْحِيـــــدْ فَ سْجـــانْ غْلاَلِي بَاقــــي

وَامــــا مَنْ هَرْتـــــالْ غَرْتـــوُ النَّفْخــا وَالتَّزْوِيقـــا سَرْطُو الزَّخَّارْ الْغْمِيـقْ

وَسْلاَمَــــي لَلْمَاهْرِيـــنْ الارْخَــاخْ أهْلَ التَّحْقَاقِــــي

مَا هَبْ نْسِيــــيمْ الازْهـــارْ وَدْكـا بَنْســـوُمْ عْبِيــقَا مَهْدِي لارْبَابْ الطْرُوقْ

✪☆✯

كان هذا هو النص الكامل لقصيدة "الفجر" أو "الساقي" كما يسمونها في حضيرة الملحون ... وهذه مداخلة الاستاذ عبد الصادق سالم كما سبقت الاشارة اليها .

وإذ نثبت هنا بكل فخر واعتزاز ، وبكل غبطة وانشراح وارتياح اجتهاد هذا الشاب الطيب ، الهادىء ، النبيل ، فلان المحاولة في نظرنا ، وحسب اطّلاعنا وتتبعنا ، الباكورة الناضجة الاولى في التعامل الصحيح الجاد ، مع القصيدة الملحونة

قراءة في قصيدة الساقي

بقلم الاستاذ عبد الصادق سالم

العنوان : الساقي ، من السقي - الري والارتواء

والسقي والري لا يكون الا بالماء : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"السقي إذن هو " زرع عنصر الحياة في الجسد : " إخراج الحي من الميت" حديث قدسي : " الناس نيام ، اذا ماتوا استيقظوا"

"إن العالم كتاب مسطور الهي - الفتوحات / ج / 2 /ص 163

1 - في عنوان القصيدة : الساقي

يحمل الكثير من قصائد الملحون الخمرية عنوان "الساقي" مثلما نجد عند الجيلالي أمتيرد، أو عند التهامي المدغري، أو غيرهما ، والساقي في أدبيات الخمرة هو الغلام أو (الجارية) الذي يتولى توزيع الخمر على الندامى . يخاطبه الشاعر في لازمة القصيدة:

رَاحْ الّلِيْل وْعَلّمْ الْفْجَرْ تَاكْ الصبُّحْ الرَّاقـــــــِي   يَـــا سَاقِـــــــــــي

دُرْ عْلَى الْحَضْــــرَا بْفَنْجْلَكْ تَزْيَانْ الْمُوسِيقَـــــى   وَازْرَعْ لَلسَّاهِي ايْفِيـــــقْ

فإن عبارة "ياساقي" يحافظ المنشدون على ذكرها ، فتشكل شطرا متميزا داخل البيت ،وتمنح القصيدة وجهة خاصة مفادها ان الخطاب من المرسِل (الشاعر) موجه الى المرسَل اليه (الساقي) . فما دلالة هذا المفهوم المركزي في القصيدة ؟

كلمة "الساقي" اسم فاعل من فعل سقى ، أي أروى الغلة والعطش .

فالسقي هو الري والارتواء . والري لا يكون إلا بالماء . والماء هو مبدأ الحياة: وجعلنا من الماء كل شيء حي " فالسقي إذن هو : الارتواء وإخراج الحي من الميت .

وفكرة خروج الحياة من الموت الواردة في قوله تعالى : "يخرج الحي من الميت" طالما استغلها الصوفية للدلالة على سلوك الطريق وخوض التجربة،إذ أن التصوف هو إخراج للحياة الحقة ، المتمثلة في الروح ، الجوهر الرباني في الانسان ، من الجسد أي المادة رمز الموت والجماد ، والصنمية . ولا يأتي هذا للصوفي إلا إذا "قذف الله في قلبه نورا " على حد تعبير أبي حامد الغزالي ، وهذا هو المسمى إشراقا أو إلهاما أو حدسا ...

وعليه فإن مفهوم السقي والساقي هنا يفيد الاشراق والنورانية .

2 - البنية السردية في القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على خطة سردية ، يبرز فيها تدرج الحالات واللحظات الشعرية بشكل نسقي ، يتضمن الثوابت الاساسية التي تقوم عليها البنية الدلالية للقصيدة .

تتكون القصيدة من سبعة أقسام ، كل قسم تتقدمه سويرحة (أوناعورة) ، باستثناء القسم الاول . وفي كل سويرحة 4 أبيات ثلاثية الاشطار ، كما أن باقي أبيات القسم أربعة ، تنضاف اليها في نهاية القسم لازمة القصيدة ، وذلك عند الانشاد .

وبهذا تكون لدينا سبع وحدات شعرية هي التي تشكل الخطة السردية للقصيدة .

ففي الوحدة الاولى : يخاطب الساقي ويتوقف واياه عند العنصر الاول في المنظومة الرمزية للقصيدة : وهي الطبيعة ...

شُوفْ اهْمَامْ الضَوُّ بَانْتْ عْلُومُو فَلْأَ فَاقـــِـي وَانْظُرْ لَشْمُوسُو الْبَاهْيَا عَلَى لَجْدَارْ شْرِيقَا

هَزْمَتْ سُلْطَانْ لْغْسِيقْ

وَاطْيَار الْبُسْتْـــَانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبَـــاقِي فُوقْ أَغْصَانْ الرَّوْضْ كَتْغَنَّ بَأَصْوَاتْ رْقِيقَا

صَاحْ الْبَلْبَلْ وَالْبْسِيقْ

ففي الوحدة الثانية والثالثة : يظل عنصر الطبيعة حاضرا ، ويتوجه بالخطاب الى الساقي لطلب الخمرة . فالعنصر الرمزي الثاني الذي ظهر هنا هو : الخمرة فيصفها ويصف مجلس الطرب المصاحب لها .

مَـــاسْ الْغُصـــنْ النَّـــايَقْ وَتْزَخْـــرفْتْ احـــــدَايَقْ

وَاتْحَقَّـــقْ ظَـــلْ الْوْرَاقْ

وَالْبُسْتَـــــان الْبَـــاسَقْ بَمْيَـــــاهُو تَـــــدَّافَـــقْ

وَادْوَاحْ اغْرَاسُو سْيَـــــاقْ

الى أن يقول :

- وَارْوِي يــــــا سَاقِي ....

- غَدَّرْ لِـــــــي تَكْمَـلْ ....

إلى أي يقول في القسم الثالث :

- اسْـــــرُورْ الدُّنْيَـــــا ...

- سَعـــــــدِي زَانْ ....

في الوحدة الرابعة والخامسة : ينتقل الى العنصر الرمزي الثالث : الحب . فمن الحسن الى الحب ، يصف سلطانه وجبروته وقوة تاثيره ، ومن الحب الى المحبوب ، يصف قوته ، ويفتح باب المناجاة والتدرع الى المعشوق .

- دَكْ الْحُسَـــــنْ اوتـــاَقُو .....

- دَارْ الْحُـــبْ اتْمـــاَقُو ....

- وَامَرْ عـــــنَنْ عُشّـــاقُو .....

- بَمْضـــاَلْ أو كَـــدَاتْ ....

الى أن يقول :

- سَلْتَـــكْ بَالْخَــــلاّقْ ....

- هـــذَا حُكْمْ اللّـــه الْغَنــــيِ

في الوحدة السادسة والسابعة : يدخل الشاعر لحظة الحيرة بين الخوف والرجاء في الوصال والاتصال ، ليبرر في النهاية السبيل الى ذلك : ضرورة سلوك الطريق،متحديا العوائق المادية الشهوانية ......

- امَـــدْرَا نَتْلاَقـــى .....

- فيـــكْ الشّوفْ اعْشَـاقَا ....

- اوْصَالَكْ فَرْجـــــــا .....

الى أن يقول :

- مَنْ لاَ يَرْكَبْ نـــاَقَا ....

- مَنْ لاَ يَمْلَكْ طَاقَـــا .....

الى أن يقول :

- وَامَا مَنْ دَاعِي اجْحَـــــــيدْ

- وَاسْلاَمـــــي ......

يتضمن البيت الاخير في القصيدة الذي يتضمن السلام ـ على عادة الملحون ـ عبارتين جديرتين بالانتباه : "أَهْلَ التَّحْقَاقْ" "أَرْبَابْ الطْرُوقْ" ... أنهما عبارتان تكشفان عن شحنات صوفية واضحة .

من خلال هذه العجالة نتبين أن العناصر المكونة للمنظومة الرمزية في شعر الخمرة الصوفية ، تحتويها القصيدة وهي ثلاثة

الطبيعية ـ الخمرة ـ الحب (أو المرأة) فما دلالات هذه الرموز ؟ وما هي البنية الدلالية التي تؤطر القصيدة ؟

3 ـ البنية الدلالية في القصيدة :

سنقف هنا عند المفاهيم الاساسية الثلاثة التي استخلصناها من وحدات القصيدة للبحث في دلالاتها :

أ ـ مفهوم الحب :

هذه مقولة أساسية ضمن أدبيات التصوف ، بل هناك من الصوفية من يعتبر المحبة حالا من الاحوال أو مقاما من المقامات ، فلا يوجد صوفي من المتقدمين والمتأخرين إلا وتحدث في الحب والمحبة ، وهذا امر طبيعي لان التجربة الصوفية مبنية من مبدئها على أساس الحب ، فلولا حب الله والتعلق به الى درجة الحلول والفناء أو الاتحاد ، لما انقطع الصوفية عن الدنيا وملذاتها لينقطعوا الى الله كلية .

وهنا حديث نبوي يدعم هذا المسعى ويحفز عليه "وما يتقرب اليّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه . وأنه ليتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذ ي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها . إن دعاني أجبته وان سألني أعطيته".

هكذا تبلغ العلاقة بين المحب والمحبوب اقصى درجاتها وهي حالة التوحد حين يجعل الرضا والقبول من طرف المحبوب ويتحقق الاتصال . فالرضا وهب من الله يمنحه لحبيبه . وهذه حال السعادة القصوى يقول شاعرنا :

يا سَعْــدَاتْ اللِّــي سَعْدَتُو فِي الأَزَلْ سَبِيقَا   وَارْضَــاهْ الْحَقْ الْحَقِــــــيقْ

وهكذا نتبين أن مقولة الحب والمرأة وشبابهما من الكلمات ليست إلا رموزا يوظفها الصوفي لاداء معاني دقيقة وحالات خاصة .

ب ـ مفهوم الطبيعة :

ما دلالة أن يتوجه الشاعر في مطلع القصيدة الى الطبيعة : شُوفْ اهْمَامْ الضَوُّ بَانْتْ عْلُومُو فَالأَفَاقِي ... "يتعامل الصوفي مع الطبيعة تعاملا متميزا ، وينظر اليها نظرة غير نظرة الانسان العادي اليها . فليست الطبيعة هي ذلك القطاع الذي يتحرك فيه الجسد . وتتحقق المآرب والاغراض المادية بل هي ـ حسب اتجاه صوفي عريض ـ تجلي لله "الذي أحب أن يعرف بعد أن كان سرا مجهولا ، فخلق الخلق ليعرف " كما قال محيي الدين بن عربي . فذات الله تعالى تتجلى في مخلوقاته على درجات من ادناها (الجمادات) إلى اعلاها (الانسان) باعتباره العالم الصغير الذي انطوى على العالم الكبير .

وبذلك تصبح ذات الصوفي بعد أن تتحقق لها الكمالات ، ترى الله في كل شيء : كما قال ابن الفارض .

تراه (أي الله) إن غاب عني كل جـارحا   في كل معني لطيف رائـــق بهـــج

في نغمة العود والناي الرخيــــم إذا   تآلقا بين الحان من الهــــــــزج

وفي مسارح غزلان الخمـــائل فيهـــا　　　برد الاصائل والاصباح في البلـــج

ج ـ مفهوم الخمرة :

إذا كان الحب هو العاطفة الجياشة والباعث القوي ، الذي يدفع التجربة الصوفية ويوجهها ويؤطرها ، وإذا كانت الطبيعة هي الفضاء الذي تتحرك ضمنه هذه التجربة . كقول ابن عربي :

فما نظرت عيني الى غير وجهـــه　　　ولا سمعت اذني خلاف كلامـــي

فإن مقولة الخمرة هي الغذاء الذي تتغذى به التجربة الصوفية . إن الحالات التي تتراوح بينها ذات الصوفي حين ينخرط في سلك السالكين ، هما حالتان : حالة يغيب فيها عن الواقع المحسوس (عالم الشهادة) ويخرج من تيار الزمن العادي ، ليدخل عالم الغيب ، العالم الجواني ـ بكلمة واحدة ـ عالم الحقيقة ، وهذه كلما وقف الشاعر عند موضوع الطبيعة إلا وأورد اشارات متنوعة لعالم الطير في القسم الاول :

اطْيَـــارْ الْبُسْتَـانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَي الْبَـــاقِي .

صَـــاحْ الْبَلْبَلْ

صَبْحَاتْ أمْ الْحَسَنْ شَـــاكْيَا لَلْحَيْ الْخَلاَّقِـي

وَالْحَرْبَلْ يَنْشَدْ مَا يتُو فَطْلُـــوعْ السَّرْيَاقِـي

وَالْحَـــــدَّادْ يْجَاوبُو

ويقول في سويرحة القسم الثالث :

أُو لَطْيَارْ النَّاطْقَـــا　　　عَمْرَتْ بَلْغَـاهَا سَـــــــوَاقْ

فما دلالة الطير وعالم الطيور في النسق الصوفي الرمزي ؟

يرى لويس ماسينون أن الطائر رمز للبعث والخلود ، وذلك استلهاما من قوله تعالى : "وإذ قال ابراهيم : رب ارني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك . ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيا " (سورة البقرة 260) .

ويقول تعالى : "إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله " . (ال عمران أية 49) .

وإذا كان الامر هكذا ، فهل من باب الصدفة ان يقول الشاعر العلمي :

وَاطْيَـــارْ الْبُسْتَانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبَـــــــــاقِي ؟

لماذا لم يختر من أسماء الله الحسنى إلا اسمي "الحي" و "الباقي" ؟

فالعلاقة واضحة هنا ، إذن بين رمزية الطائر الى الخلود والبعث وبين مفهومي الحي / الباقي ، حالة غيبوبة أو سكر ، والسكر كناية عن الوجد الصوفي "وما تقابله من معاناة في طلب المحبوب ، وهذه هي الحالة التي تجعل عقدة لسان العارف تنفك فتبوح الذات باسرارها وتنطق العبارة بالاشارة ، لان العبارة مهما أفصحت وبانت لا تقوى على استعاب المعطى الحاصل ، ألا ، هو انكشاف الحقيقة ، فتخرج اشارات مختصرة ، وعبارات مبهمة وهي ما يعرف في اصطلاحهم بالشطح الصوفي .

أما الحالة الثانية فهي حالة الصحو أي الارتباط بالواقع العيني والمادي ، وهو عالم مرفوض من طرف الصوفي وهكذا فالخمرة التي تحدث حالة السكر، ليست شيئا اخر غير الحقيقة التي تشرق في قلب العارف ، فتدخله في غيبوبة ، يتذوق فيها نشوة السكر وحلاوة الوصال فهذا ابن الدراج السبتي يقول :

ألا كل عقل لا تخامره الخمـــــــر فمعناه من معنى اشارتهم فقـــــر

اضاءت كمشكاة غدت في زجاجـة تلالىء اشراقا كما يشرق الشهـــر

خلعت عذاري في لدائذ شربــــها فلا خير في اللذات من دونها ســتر

سمحت لنفسي كي افوز بنيلـــها ومن خطب الحسناء لم يغلها المهــر

أما الاواني التي يتناول فيها شاعرنا الخمرة ، وقد ذكرها في أسماء متعددة : الفنجل (الفنجان) / الكاس / الابريق / ... فإنها لا تخلو هي الاخرى من إبعاد رمزية . فالكاس للاستمتاع بنعيم الجنان ، يقول تعالى في سورة الواقعة : "يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكاس من معين " .

ويقول في سورة الانسان : "وسقاهم ربهم شرابا طهورا" .

(وهكذا نجد الصوفية ينتشون بالنعيم الذي يشربونه خمرة ورحيقا وصهباء .)

يقول العلمي في القصيدة نفسها :

غَدَّرْ لِي تَكْمَلْ فَرْحْتِي يَتْحَقَّـــقْ رُونَاقـــِي تَرْكْ الْخَمْرْ وْهَاتْلِي الصَّهْبَا فـَ الكَاسْ حْدِيقَا

وَامْلاَ لِي ذَاكْ الْبْرِيـــــقْ

الصهباء هي الخمر ذات اللون الابيض تخالطه خمرة . فهي خمرة جيدة ونفيسة ومؤثرة فهو يفرق هنا بين مستويات في جودة وفعالية الخمرة ، كما يفرق الصوفية بين درجات في الحقيقة . فهناك الحقيقة التي هي من شيم الخاصة وهناك الحقيقة الحقة وهي من شيم خاصة الخاصة أي الاولياء والانبياء ....

4 ـ بنية النور / الظلام :

بعد أن تبينا العناصر الرمزية الاساسية التي تتشكل حولها القصيدة وهي : الطبيعة ـ الخمرة ـ المرأة ، نتوقف لاستخلاص البنية التي تنظم هذه العناصر الرمزية في بناء نسقي محكم يعكس رؤية خاصة للحقيقة .

ووقوفا عند المعجم اللغوي الذي وظفته القصيدة ، نجد مفهومين توزعا فضاء النص كله ، يتمظهران في أشكال مختلفة حسب كل عنصر من العناصر الرمزية المشار اليه ، هذان المفهومان اللذان يشكلان البنية العميقة للقصيدة هما :

مفهوم النور ومفهوم الظلمة والظلام .

أ ـ مفهوم النور : والعلامات التي تعبر عن مفهوم النور في قصيدة نذكر منها : ورد أولا في المطلع :

شُـــوفْ هْمَـــــامْ الضوُّ بَانْتْ عْلُومُو فَالأفَاقِــــي

فهناك كلمة الضوء والتي لم يستعملها الشاعر لوحدها بل جاءت مضافة لكلمة همام ، أي سلطان ، للدلالة على السلطة والنفوذ والجبروت .

المعجم : هْمَامْ الضوْ ـ بَانْتْ عْلُومُو ـ شمُوسُو الْبَاهْيَا ـ اشْرِيقَا ـ علّمْ الفْجَرْ ـ تَاكْ الصبُّحْ الرَاقِي ـ الشاَّرقَا ـ تَاكْ كَوْكْبِي ـ اتْنَوَّرْ يَشْرَاقِي ـ ارْمَى الصبُّحْ اروَاقُو ـ لْبَسْ حُلاَّتْ لْشْرَاقْ ...

ومع هذه الكلمات الدالة على النور بصورة مباشرة ، هناك جهاز مفاهيمي مركب من افعال وأسماء تفيد هذه الدلالة بصورة غير مباشرة مثل :

مَاسْ الْغُصْنْ ـ تَزْخَرْفَتْ احدْاَيَقْ ـ فَاحْ الزَّهْرْ ـ وَارْوَاتْ غْصَانُو ـ طَابْ اسْرُورْ الْعَاشَقْ ...

الْبُسْتَانْ البَاسَقْ ـ الْغُصْنْ النَّايَقْ ـ اغْصَانُو ارْقَاقْ ...

فالنور والجمال والجلال ... صفات لحقيقة واحدة هي التي اشرقت في فضاء القصيدة . والنور في النسق الرمزي الصوفي هو الله جل علا ، مصداقا لقوله تعالى : " الله نور السموات والارض" (سورة النور) . وكقوله في سورة القصص : "فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله : امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أنا الله رب العالمين" .

ب ـ مفهوم الظلمة : والعلامات التي تفيد هذا المفهوم في القصيدة :

رَاحْ اللِّيلْ ـ طَارْ غْرَابْ الدَّاجْ ـ خلّعْ الدَّاجْ اغْسَاقُو ـ اغْسَاقِي .

يلاحظ أن هناك تفوق للمعجم النور اني عن المعجم الذي يفيد الظلمة وذلك لان فضاء القصيدة ، فضاء الاشراف والنور

والتجلي ... بين الليل والداج و (الد جى) قد انهزم وولى ، فلم يرد حضوره في القصيدة إلا بصورة سلبية .

ومعنى هذا بلغة الصوفي ان الظلمة رمز لحجب النور الحقيقة . والذين تظل بينهم وبين الحق سبحانه حجب . فهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة .

وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي أداننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب "سورة فصلت ، اما الذين ارتفعت الحجب بينهم وبين الحق فاولئك هم السعداء .

ننتهي من كل هذا الى أن القصيدة التي بين أيدينا تعكس تجربة صوفية ورحلة رمزية ، توجت بالوصال ، لان صاحبها "يَدْرِي نَهْجْ الطُّرُقْ" ويملك طاقة لانه "صبر لبق" ومن "أَهْلْ التَّحْقَاقْ" و "أَرْبَابْ الطْرِيقْ" .



☼ "الترجما" ☼

"الترجما" بتسكين الراء والجيم هي كما قال عنها الحاج إدريس في قصيدة "الكاس" : "قَصًّا ... وَعْجُوبَا ... وتَرْجْمَا" .

فهي أولا قصة ، "قَصًّا جْرَاتْ لَلْخَادَمْ وَالْحُرَّة" "يَاقَاضِي "قَصًّا جْرَاتْلِي مَعْنَاهَا" سَمْعُو قَصْتْ "حُمَّانْ" .

وهي ثانيا "أعجوبة من أعاجيب الزمان" إذ أن الحياة الرتيبة الهادئة التي لا غرائب فيها ولا أعاجيب ، ربما لا تثير انتباه الانسان العادي ، فضلا عن أن تحرك شعور الانسان الممتاز .

وهي ثالثا "تترجم" لشخص أو لاشخاص ، تماما كما تفعل "الترجمة" في الادب الفصيح ... إلا أنها في الملحون لا تترجم للشخص أو للاشخاص ، من الميلاد الى الوفاة وإنما تهتم فقط ، باللحظات الغير المألوفة في حياة من تترجم لهم . لنقرأ أولا هذه "الترجمة" لشيخ هرم ، تزوج بفتاة في عمر الزهور ، وبعد سنة أو أقل من سنة ، ضاقت به ذرعا وقررت أن تنفصل عنه مهما كان الثمن :

قَالْ الشَّأيَبْ لَلشَّابـــــــــًّا   مَالَكْ لَفْرَاقِي زَارْبَـــــــا

قَلْبِي أَنَا مَغْرُومْ بِكْ ، وَتْعَرْفِيــــنِي يَاحُرْتْ الْغْوَالِي وَاَلَفْتَكْ   مَا نْطِيـــقْ صَبْرَا ، وَلاَ نَقْدَرْ عْلَى فْرَاقَكْ .

لَلَّهْ الْحَدْ .. أَشْ ذَنْبِي يَا مُولاَتــِي ؟ وبَاشْ مَنْ جُرْمْ كْرَهْتِيــنِي وْحَرَسْتِي ف : فْرَاقِي بَعْدْ الْمْوَالْفَا وَالْعَشْرَا ؟

ولا قطعت في قلبك ونسيتي وصايت امك وباك منين رحت ليك .

وَصَّاوَكْ ، مَا تْمَرْتِيــنِي ، وتْسَعْفِيــنِي ولاَ تْهُونِي بِيَّ طُولْ الْحْيَاتْ . وَقْبَلْتِي وبْغِيــتِي عْلاَ رْضَايَتْ نَفْسَكْ ، وَنْهَارْ جِبْتَكْتْعَاهَدْنَا بِيــنَاتْنَا ، وْفَ : الْمَصْحَفْ احْلَفْنَا لْبَعْضْنَا لْغِيــرَكْ مَا نْكُونْ رَاجَلْ وَنْتِ لَلْغِيرْ مَا تْكُونِي زَوْجَا ، وَلاَ تْفَرْقْنَا غِيــرْ الْمُوتْ الْوَاجْبَا عْلِنَا .وتْرَاضِينَـا عْلَى الْمْحَبَّا ، عَشْنَا وَعْطَاتْنَا الْوَجْبَا ، وَطْبَايَعْنَا اتْوَالْمُو، وَنْتِ كُنْتِ مْطَاوْعَانِي وَانَا مَأْمُورْ كُنْتْ عَنْدْ كْلَمْتَكْ ، وَبْوَالْدِيــــــكْ رَافَعْ ، وَضْيَافَتْهُمْ كِيــفْ شَفْتِي عَمَّرْنِي مَا بْخَلْتْ فِيــهَا ، وَصْدَاقَكْ بَالْوْفَا ادْفَعْتُوا وَاكْثَرْ مَنُّو عْطِيــتْهُمْ زْيَادَا مَنِّي حْسَانْ .

وَعْطَاوَكْ لِيَّ ب : الصْفَا عْلَى السُّنَّا وَالْكِتَابْ وَامْرُوكْ عْلَى الطَّاعَا مَا تْخَالْفِي فَ : كْلاَمِي . وَالْيُومْ

بَعْدْ مَاتُو ومَضَاتْ ايَّامْهُمْ ، جرْتِي عنِّي بَعْدْ الْعُطوف ، وسَعْفَتي قُولْ الْحَاسدِينْ فيَّا وكَرْهَتِينِي بدُونْ سبَّا ولاَ خَفْتِي منَ الزْمَانْ يفَادِي وعَقُوبْت الدهْرْ والْوَقْتْ اينْقَلْبْ لاَ غْنَا وتْجِيبكْ الايَّامْ كِيفْ جَابَتْني لِيكْ وطَاحْ بِينْ رَجْلِيهَا ودْمُوعُو سكَّابْ . وتْنَتْرَاتْ البَنْتْ منَ الشَّايَبْ مَا سمْعَتْ لُوكْلاَمْ ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ .

نَطْقَاتْ البَنْتْ علَى الصـوَابْ قَالَتْ للشَّايَبْ فْ : الجْـوَابْ

بَعْدْ منِّي ، يكْفَاكْ مَا تْعزَّزْ فيَّا ، ملِّيـت منْ عشْرَتْكْ ، وَاللّه معَاكْ مَا نْزِيـدْ نْكَابرْ ولاَ نْكُونْ مرْتَكْ ، ولاَلِي تْكُونْ رَجَلْ ، دوَّزْنَا مَا كْتَابْ .

وَالْيُومْ انْتِيَا سِيـرْ شُوفْ غِيـرِي ، ونَا نَمْشِي نْشُوفْ غيرَكْ ، وَالـشَّايَبْ مَا تْنَاسبُوا غِيـرْ مرْاَ قدْوا تْسَاعفُو وِيسَاعفْهَا ويتْوَالْمُوا فْ : العَشْرَا منْ حَالتْ الْكِبْر ، فَارقْنِي للّه سير شُوفْ مرْاَ قدّك شَايبَا ابْحَالَكْ ، وتْقَبْلْ عْليكْ برْمَنْهَا ، وتْطِيبْ لِيكْ مَا كْتَابْ منَ القُوتْ علَى شهْوَتْ نَفْسَكْ .

ويلَا جِيتِي تْلْقَا ، مُوضَعَكْ مفْرَّشْ ، وَالطْعَامْ وَاجدْ ، وَالضوُّ مشْعُولْ ، وَالوَضُو يَسخُنْ لِكْ .

ظنِّيتْ الرتَاجْ زْهَقْ لِكْ ، عنْدَاكْ الوْضُو يبْرَدْ لَكْ .

ويلَا وجبْتْ لُوقتْ نُوضْ تْوَضَّا ، وقَابلْ القَبْلاَ وتْهَلاَّ فْ : دِينْ ربِّي .

وَعمَلْ تَسْبِيـحْ للـذْكَرْ ، وتْوَلَّعْ بَالـصوُّمْ ... وَالفجْرْ ، صلِّيـهْ فْ : وَقْتُو لاَ يْفُوتَكْ وَعْملْ فِي بَالكْ الشهَادَا ، وَشَهْوَتْ النَّفْس تُبْ عنْهَا .

وَحْتَّالْ اللِّيلْتْ القَبْرْ ، وَاعْتَصَمْ بَاللّه لاَيَنْ كبرتي وهرمتي ولا بقالك قد ما فات فْ : العمر

وَانَيَا مَا زَلْتْ شَابًّا وَصغِيـرًا ، ربِّي يْجِيبْ لِيَّ رْجَلْ قَدِّي نْوَالْمُو ويـوَالَمْنِي ونْحْسَنْ زْوَاجِي ونْفَادِي كُلْ مَا مْضَا ، ونْدَوَّزْ صغْرِي وصُولَتْ شبَابِي كِيفْ بْغِيتْ ، ونْتْمَتَّعْ بنْزَايَهْ كِي نْرِيدْ ، فِي أيَّامُو نَبْرَزْ فَابْرَازْ ، أُو نَعْمَلْ مَا دَارَتْ الْبَنَاتْ ابْحَالِي ، ونْذُوقْ غلَّتْ الـرجَلْ . ونْتَ كُلْ مَا خسرْتِي قَبْضُو وَعْطِنِي فصَالِي بَالعقْلِيَّا بْلاَ شرْعْ نتفرْقُو ، ولِلاَّ تْنُوزْ عنْدْ القَاضِي ؟

يَفْهَمْ كْلاَمْنَا ويجُولْ فْ : معْنَاهْ ويفْرقْنَا بَاحكَامْ الشرْعْ ... هكْذَا قَالَتْ لُو مَرْزُوبَا .

وَالشَّايَبْ كَشفْ الحيَا ونْشدْ علَى العِيبْ احْزَامْ ... كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

تَمْ الشَّايَـــبْ حَالُـــو نْضَامْ وْغــوَلْ عَنْ تَـــاجْ الرِيْـــــَامْ

وَجْهَلْ عَنْهَا مَنْ حِيتْ جَرْحَا تُوفِي قَلْبْ جْوَارْحُو وْقَالْ فْ قَوْلُو :

خَمَّمْتْ فِيـكْ يَا أَدِيًا وَنْظَرْتْ فِيـكْ نْصِيـبَكْ مَبْغُوضَا وْفَاجْرَا ، وَقْلِيـلَتْ لَحْيَا وْبَانْ عِيبَكْ وْلاَ صَبْتِي حْكَامْ ، وَتْشْهِيتِي لَفْجُورْ وَالْمْلاَهِي وَالْمُنْكَرْ اَلسَّايْبَا قُلْ اللَّهْ حْيَاكْ يَالرَّهْطِيًا ، يَا مَكْرُوهْتْ الـنْسَا ، يَاعُرَّتْ لَبْنَاتْ ، يَالْمَفْضُوحَا ، يَا قَصَّارْتْ الرْقَابْ ، اغْوَاكْ الشِيَّطَانْ يَالْكَرْفَا ، وَتْنْفَكَّتِي عْلَى النْعَايَمْ ، مَا خَلَّيـــتِي حْيَا لْنَاسَكْ وَلاَ هُمَا وْلاَ عْنَايَا وَفْضَحْتِي عَرْضْهُمْ ، أو سَفَلْتِي وَلاَ بْقَاتْ فِيـــكْ تْمَارَا ، وَمْنِينْ شَفْتِي حَالَك يَا مَخْرُوبْتْ الْعَقْلْ ، وَتْفَكَّرْتْ احْسَانْ وَالْدِيـكْ ، ابْغِيـتَكْ تْبْقَايْ كِيـفْ كُنْتِي ، مَنْ نَاسْ الْعَرْضْ وَالْمْرُوًا ، وَحَفْزْتَكْ خَفْتْ مَنْ عْيُوبَكْ وَسْتَرْتَكْ مَارْضِيـــــتْ شُوهَا ، وَتْسَفَّهْتِي وْلاَ قْبَلْتِي رَغْبًا .

وَقَّرْتْ مَا نْفَعْتْ وْقَارَا ، بَشَرَّتْ مَانْفَعْتْ ابْشَارَا ، وَكْرِيت بَالْحْوَايَجْ ، وَعْطِيتْ الْمَالْ وَالنْعَايَمْ فِي كُلْ اصْنَافْ مَاخْطَاوَكْ ، وَنْتِ دِيمَا امْخَنْتَا فِي دَارَكْ ، وَالـــسَّخَارَا عْلاَ مْرَامَكْ ، وَلاَ خَلَّيـــتْ لِيـــكْ بَاشْ تْعِيبِيـنِي يَا الْعَايْبَا ، وَبْغِيتِي عْنْوَا بْلاَ سْبَابْ خْصَامِي يَاكْ الـظَّالْمَا شَفْتِينِي زْعْمَا كْبِيـرْ ، وَحْتْجِيتِي بَالشِيَّبْ يَا الْبَرْهُوشَا ، الشَّايَبْ اللَّهْ وَقْرُو ، وَسْتَحْيَا مْنُّو الَى حْسَنْ دِينُو بَالتَّقْوَى وْشَابْ مَسْلَمْ وَحْفَزْ رَجْلُو مَنْ الْحْرَامْ ، وْخَالَفْ نَفْسُو وْلاَزَمْ اوْقَاتُو وَاهْدَاهْ الْكْرِيمْ .

وَنَا مَنْ فَضْلْ الَّـهْ وَالـنْبِي ، عَمَّرْ لُوقَتْ مَا خْطِيتْهَا ، وَالْجَامَعْ دِيمَا مْوَابْدُوا ، وَالْفَجْرْ مْعَا الـنَّاسْ كَانْصَلِّيهْ فْ : وَقْتُو مَا يْدُوزْنِي ، وَنْخَرَّجْ لَعْشَارْ وَالزَّكَا وَنْصَدَّقْ وَنْحَاسَنْ الْمْسَاكَنْ .

وَالشَّايَبْ فَ :الاسْلاَمْ دِيمَـا مَكْرُومْ بْغَايْتْ اسْمَاحَـــــا

وَالشَّايَبْ سِيرْتُو قْوِيمَـــــا يَخْبَرْ وِيفِيدْ بَ : النْصَاحَـــا

وَالشَّايَبْ بَرْكْتُو عْظِيمَــــا عَنْدْ اَهْلَ الدِيَّنْ وَالنْصَاحَـــا

الشَّايَبْ مَا يْعَرَفْ حَقُّـــــو غِيرْ اللِّي صَوَّرُو وْخْلَقـــــو

وَالشَّايَبْ حَقْ يَنْعْذَرْ ، وَبْنَاتْ الْعَرْضْ كَايْقَبْلُوا بَ : الرَّجَلْ يَا الظَّالْمَا كِيفْ مَا جَابُو اللَّهْ

وَجْهَلْ عَنْهَا وَبْغَايْسَفْهَا لُو مَا فَكُّوهَا النَّاسْ مَنُّو وَقْرَا لَعْقُوبَا ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

قَالَتْ مَصْبَاحْ الْبَاهْيَــــــاتْ   لَلشَّايَبْ حِينْ تْغَلْغَـــلاَتْ

هَذْ الْمَعْيَارْ امْعَا الـلِّي بْحَالَكْ دِيـرُو، وَنَامْرَا عْلِيـكْ بْ : لُوقَرْ ، وَحَلْفَتْ لُوبْمَا يَلْزَمْهَا ، لاَبُدْهَا فْ : دَارْ الْقَاضِي ...

وَمْشَاتْ لاَلَلاَّ كَاتْتْمَايَحْ كَالْعَلْمْ بِينْ عْسَاكَرْ فِي حُومْتْ السْقَرْ ، وَالشّيْبَانِي فِي خْلاَفْهَا تَابْعْهَا .

مْنُوَّضْ الْعْجَاجْ بْرَجْلِيهْ ، وَمْتَبْعْ الضْبَابْ بْعِينِيهْ ، وْحَالْتُو تْشَفِّي ، وَسْبَقْتْ الْبَاهْيَا الْدَارْ الْقَاضِي ، وَبْقَاتْ وَاقْفَا نَصْ نْهَارْ تْعَايْنُو يْلَحَّقْ بِهاَ ، وَمْنِينْ جَاوْزَادُوا عَنْدْ الْقَاضِي بْزُوجْ .

كَعْدُوا قُدَّامُو بَعْدْ بَايْعُوالِيهْ ، رْفَعْ سِيدْ الْفْقِيهْ عِينِيهْ ، يْصِيبْ مْقَابْلاَهْ بْنْتْ صْغِيراً ، تَسْحَرْ بْزِينْهَا وَحْدَاهَا رْجَلْ كْبِيــرْ شَايَبْ ، يَحْسَابُو غِيــرْ جَدْهَا ، وَتْلَفَّتْ لَلْبَنْتْ قَالْ : مَالَكْ ؟ قَالَتْ لُو ، خِيــرْ يَالْقَاضِي ، حَالِي يَغْنِيـكْ عَنْ سَالِّي ، هَذْا الـرَّجَلْ قَلْ جَهْدُو، وَكْبَرْ وَالـشَّيْـبْ هَرْمُو، شُوفْ اوْصَالُو رَاجْفِينْ .

جَاوْخَطْبْنِي مَنْ عَنْدْ وَالْدِيَّ ، وَغْوَاهُمْ يَا فْقِيهْ بَالطَّمْعْ وْلِيهْ عْطَاوْنِي ، وَصْبَرْتْ صْبَرْتْ ، صْبَرْتْ ، يَالْقَاضِي ، أَنَا بَاللَّهْ وَالشَّرْعْ فَاصَلْنَا بَحْكَامْ اشْرِيعَا ، هُوَ يَمْشِي يَشُوفْ غِيرِي ، وَنَا نَبْقَى امْـأَمْنَا فِي دَارَكْ ، حَتَّى تْشُوفْ لِي مَنْ يَا خُدْنِي عْلَى يْدِيكْ ، وَالْقَاضِي فِي عَوْضْ وَالْدِيَّ ، نَحْسَنْ دِينِي عْلَى الرْضَا وَنْوَلَلِّي مَنْ جُمْلَتْ النْسَا وَنْوَلْدْ اوْلاَدِي الَى عْطَانِي رَبِّي ، وَالْحَالْ مَاخْفَاكْ تْعَرْفُو ، وَنْتَ تْبَارَكْ اللَّهْ فْقِيهْ نْبِيهْ ...وَاشْ فَارَسْ مْغْوَارْ بْصَارْمُو مْهَنَّدْ يَشْبَهْ تْرَاسْ عَنْ شْمَالُو كَلْخَا مْعَيُوبَا ؟ وْيَاكْ اللِّي مَا فِيهْ فَايْدَا مَا يَدْخُلْ لَرْحَامْ ..... كَانْ تْسَالُوا يَا حَاضْرِينْ .

انْطَقْ سِيدْ الْقَاضِي وْقَــالْ   هَذْا الشَّايَبْ بِهْ الْهْبَـــــــالْ

وَنْتِ يَا هَاذْ الْبَنْتْ غِيرْ هَنِّي نَفْسَكْ ، وَاللِّي يْلِيقْ بِكْ نْدِيرُو ، انْتِ مَا نْتَاعْتْ مْحْنَا عَمَّرْ الزِّينْ مَا يَتْمَرَّتْ ، وَعْلاَ الـصْوَابْ صَبْتْ كْلاَمَكْ لاَ عَيْبْ فِيــهْ وَالـشَّرْعْ الْحْبِيبَا الـلَّهْ جَعْلُو رَحْمَا ، وَالْحَقْ مَا يَنْجْحَدْ وَبْحَالَكْ فَ : الْبْنَاتْ مَا يَتْغَيَّرْ .

سُبْحَانْ مَنْ نْشَاكْ وَوَدَّكْ بَ : الـزِّيـنْ وَالْبْهَا وَالـطِّيْـبَا ، وَالـسَّرْ وَالْحْيَا وَالْهِيـبَا وْلاَ نْسَاكْ رَبِّي مَنْ

مَنْ شَيء ، وقَالْ بَالأمَرْ لَلشَّايَبْ هذْ الْمَرا شكَاتْ بْعَيْبَكْ جهْرَاتْ بِه ، وَالْعَيْبْ اللِّي بَاشْ عَابْتَكْ ، فِيكْ ظْهَرْ لِيَّ بْشُوفْ عيْنِي ، مَا نَحْتَجْ لُو شهَادْ .

قَصرَّ الْكلاَمْ وْنُوضْ لَلْعدُولْ اعطِي لَلْخَلْقَا بْرَاتْهَا وَسْتَرْ رَاسكْ مَا انْتَا اديَالْ صغيراً يكْفَا خْلاَصْ رَاكْ كْبَرْتِي ، وَاللِّي كْتَابْ دوَّزْتِيهْ مْعَاهَا وْمَا يْغَلْبَكْ مَنْ غِيرْ اللِّي يقُولْ لِيكْ فْرَقْنِي ، أَوْ اعْطِينِي مْتَاعِي أَوْلَلاَّ خْرُجْ مَنْ مْكَانِي ونْتِ هَاذُوا جْرَا وْلَكْ بثْلاَثَا .

وَعْطَاكْ خَاطْرَكْ ، دوَّزْتِيهُمْ بَعْدْ مَا سمْعَتْيهُمْ ابوْذْنِيكْ غِيرْ مَنْ سيَّالاَ لَعْرَابْ قَالْتْ فْ : مَعْنَاهَا قَطْرَانْ ، الْعزْ وْلاَ عسَلْ الـدلاَّ هوَ طبْعْ الاحْرَارْ ، ولاَيْنِّي بَعْدَ ادوِي نْسمْعْ كْلاَمَكْ ، ودْوِي وقَالْ ذَاكْ الشَّايَبْ أيَا فْقِيهْ .

لُو كَانْ نْمُوتْ حرَامْ مَا نْطلَّقْ مرْتِي لَنِّي فْرِيـدْ ، مَا عنْدِي ولْدْ ولاَ بْقَاتْلِي بَنْتْ تْشُوفْ الْحَالْتِي وكْبْرى ولاَ عنْدِي مرَا خْفِيفَتْ الْعضَامْ ، تْقَرَّبْ الْبْعِيدْ وتْجَالَسْنِي الَى صبْحَتْ فْ : دَارِي ، وتْكُونْ لِي ونْيسا ، ونْوَالِيهَا وقُلْتْ بِهَا نَكْلَعْ خَمْجَا عْلَى قْلِيبِي ، وتْوَاكْضنِي الَى وْفَالِي عمْرِي عَنْ كَلْمتْ اشْهَاداَ حتَّى يَعْفُو اللهْ عنِّي وَسكْتْ مَسكِينْ ، غرْغْرُو بَالدمْعْ عيَانُو وصارْ يشْهَقْ وَيكُحْ وطَاحْ علَلْ الأرْضْ ايقُولْ انْيَا فْ : عَارْ رَبِّي وفْ عَارَكْ ردْلِي عمَارْتْ دَارِي مَالِيكْ خِيرْ ، أيَا قَاضِي مَالِيكْ خِيرْ نُوبِي فِي حَقْ الْكْرِيمْ ، بَاحْسَانَكْ صَالَحْنِي مْعَا غْزَالِي ، سَاعَا وَحْدَا الَى اخْطَاتْ علِيَّ رَانِي بَدْ نْمُوتْ ، وفْرَاقْ الزِّينْ صعْبَا .... كَانْ تْسَالُوا يَا حَاضْرِينْ

مِيزْهُمْ فْصِيحْ الْعـلُومْ وَلْقَا نَفْعُو فَ : فْرَاقْهُمْ

شَافْ الْغَادَا تَسَاهَلْ النّصَرْ بَسْوَالَفْ يَهْجِيوْ بَالْعْطَرْ

وَالْغُرَّاكْ : دَارَتْ الْقْمَرْ

وَحْوَاجَبْ نُونِينْ فَ : السّطَرْ وَالْعَيْنِينْ كْوَابَسْ الْغْدَرْ

وَخْدُودْ كْمَا الْوَرْدْ وَالزّهَرْ

وَشْفَايَفْ تَقْصِيرْ لَلْعْمَرْ وَعْلَى الجوهر فايق الثغر

والرقبا عراض في قفر

وَالْعَضْدِينْ اصْوَارْمْ اسْقَرْ وَصْبَاعْ قْلُومَا بْلاَ فْخَرْ

وَالْبَلاَّرْزْخَامْتْ الصْدَرْ

وَالنَّهْدِينْ اتْفَافْحْ اشْجَرْ وَرْدَفْ بُو دُوَّاحْ مَعْتْمَرْ

وَالْبَطْنْ الطَّاوِي مْعَا الْخْصَرْ

وَالسَّرَّاكَ : طَاسْتْ الْخْمَرْ وَالْفَخْدِينْ اشْوَابْلْ الْبْحَرْ

وَالسِّيقَانْ تْهَيّْجْ الفْكَرْ

وَقْدَامْ اخْدَلَّجْ بْلاَ عْكَرْ وَالْقَدْفْ : جَهْدُوا بْلاَحْكَرْ

وَالْعَذْرَا تَرْبِيتْ الْحْضَرْ

وَالْقَاضِي مَا فَادْلُو صْبَرْ تَيَّهْتُو مَسْبُولْتْ اشْعَرْ

بَصْغُرْهَا وَالتِّيهْ وَالْعْفَرْ

وَبْذَاكْ الشّمُوخْ كِي ظْهَرْ فَ : وْجِيهْ كِي طَلّْعْتْ الْبْدَرْ

أَوْثْرِيًا وَسْطْ شِي قْصَرْ

وَالشِّيبْ مَنْ يْمَايَرْ الْكْبَرْ

وَالشَّايَبْ مَسْكِينْ ، غِيرْ كَا يَبْكِي وِينِينْ ، مَالُو ؟ مَالُو ؟

مَغْبُونْ عَاجزْ الْقُدْرَا وكْبَرْ مَا بْقَاتْ فِيهْ مزْيًا ، وَمْلاَمْحُو اشْهَابُو ، وَالسعْلاَ قْبَطَاهْ ، عَادْ يكَحْكَحْ وِيزِيمْ وَالْبْخَاشْ تْعَاقَبْ ، وَلاَ بْقَا فْ : عَمْ الشَّايَبْ ، مَنْ غِيرْ مَا بْقَا يَاحضرْاَ فِي شِيخْ الضبُوعَا قَلَّتْ لَمْلاَقْ وَالنْكَارْ ، وقَالْ الْقَاضِي - وْشَارْ لاَعْوَانُو - : عَدْلْ لَعْدُولْ دَوْزُوهْ ... أودَغْيَا ...سِيرُوا مْعَاهْ ، يَعْطِي لَلْمَسْكِينَا ابْرَاتْهَا فَ : السَّاعَا ، وِيلاَ تْفَاصلُوا ردُّوهَا بَبْرَاتْهَا الْعَنْدِي ، وْمَا خَسْرُوا غِيرْ نَوْضُوهْ الْعْدُولْ بْغَا وْلاَ كْرَهْ حَتَّى طَلّقْهَا وِصِيفْطُوهْ مْبَالَضْ ، وَمْشَى بْلاَ عْقَلْ لُوكَارُو وِيقُولْ مَنْ

صَمِيمْ اسْيَارُو ، اغْرُبْتُو فَرَقْ خَنَّارُو ، وبَقَى بْلاَ عمَارَتْ دَارُو وْمَنَ الْفْرَاقْ شَعْلَتْ نَارُو .

وَالشَّابَّا رْجَعَتْ امْعَا الْحَرَسِي مطْلَقَا لاَ عَنْدْ الْقَاضِي وْبَنْدْقَتْ لِيهْ ، وْقَالَتْ لُو يَجْزِيكْ خِيرْ عَنِّي وَانْيَا لِيكْ يَالْقَاضِي خَادَمْ مَكْسُوبَا ، وَمْشَاتْ الدَّارُ وَامْعَا الْجْوَارْ أونَقْطَعْ الْكْلاَمْ ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

وبَعْـــدهَا شَخْشْ الشَّخْـــوُشْ حبُّوهـــاجْ وْمَاسَامْحـــوُشْ

وْنَدَمْ عَنْ مَرْتُو غَايَتْ النْدَامَا ، وَالْقَاضِي دُونْ غَرْضْ طَلْقْهَالُو .

وَالْحُبْ جَارْ عنُّو وفْرَغْتْ عزَايْمُو وبَارَتْ الْحْيَالْ وقَالْ مَا يفَاجِي ضَيْمِي غِيــرْ الْهْمَامْ ، وبْقَا وَاقَفْ سَاعَا وكَا يَرْجَلْ رَاسُو وِيـرَيَّضْ الزْعَامَا وِيـجُولْ فْ : مَا يقُولْ قُدَّامْ الْمِيرْ الَى دْعَا الْقَاضِي ، وَرْجَعْ عَنْدْ الْفْقِيـهْ وَدْعَاهْ وْسَارْ مْعَ الـطْرِيـقْ كَايْتْخَرْوَعْ ، مرّاً يَنُوضْ مرّاً يَكْعُدْ ، مرّاً يْزِيـدْ مرّاً يَسْخَفْ ، وَحدِيثْنَا لْسِيدْ الْقَاضِي ؟

وَلـلاَّ لْقَلْبْ دَارُو ، ورْفَدْ مَصْحَفْ تَحْتْ بَاطُو ، نَادَا لَـلشَّابَّا تَبْعَتُو ، وَمْشَاوْا بْزُوجْ لَحقُوا لَلشَّايَبْ ، صَابُوهْ كَا عَدْ وكَا يَنْهَجْ ، فْ : الْحِينْ جَاوْا زُوجْ مَنَ اصْحَابْ الْمِيرْ زِيدُوهُمْ بتْلاَتَا وَالْهْمَامْ جلَسْ فِي مَحْفَلْ مَا يلُو نْهَايَا وَالْوُزَارَا عْلَى يمِيـــنُو وشْمَالُو وَالْمْزَارْكِيَّا ، حَتَّى الْقيَّادْ وَالْفْرَادَا ، وَالاُمْنَادْ كُلْ حَنْطَا وَالشَّكَّايَا مْصَافْيِنْ ، مَنْ مُورَاهُمْ لَمْسَخْرِينْ ، عَنْدْ الطَّاعَا مَتْشَمْرِينْ ، وكَلْمَتْ الْمَلَكْ نَافْدَا ، وَالْمَشْوَرْ بْعَجَايَبْ الْمْلاَكَا عَامَرْ .

وبْشَرَتْ سِيـدْنَا مبْشُورَا ، وكْذَاكْ صُورَتُو مْهَيُوبَا ، وَالـشَّابَا مْعَ الـشَّايَبْ وَالْقَاضِي سرَاتْ فِيـهُمْ رَهْبَا مَنْ هِيبْتُو ، ونْطَقْ الْهْمَامْ اللَّهْ يَنْصرُو قَالْ لْهُمْ : ادْوِيوْا مَالْكُمْ اشْكِيوْا عْلِيَّ وَخَضْعْ لِيهْ الشَّايَبْ وَدْوَا وْقَالْ لُو : يَا سلْطَانْ ، أنَا جِيتْ شَاكِي لَلَّهْ ولِيكْ خُذْ لِي حقِّي وَانْظُرْ مَنْ الْحَالْ هدْا الْخَلْقَا مرْتِي وْجَارَتْ عْلِيَّ وبْغَاتْ الْفْرَاقْ مَنِّي وَأنَا وَالْفـتْهَا وْقَلْبِي مَا طَايَقْ لَلْفْرَاقْ ، وَعْيِيــتْ امُولاَيْ مَانْسَاعَفْ ، وَنْسَمْعْ الْعِيــبْ وَنْتْعَامَا ، وَمْنَايَنْ شَفْتْهَا بْغَاتْ الْمُنْكَرْحَجبْتْهَا فْ :دَارِي ، وبْعَدْهَا غْدرَتْ بِيَّ وَمْشَاتْ دْعَاتْنِي لْهَذْا الْقَاضِي وَشْكَاتْ لُوبْشِيــبِي وَرْجَعْ لِيَّ خْصِيــمْ ، وَشْتَمْ فِيَّ قُدَّامْهَا ، وبْهَدْلْنِي ، ونْهَرْنِي وبْزْمَنِّي طَلَّقْهَا لِي وْحَازْهَا لُو كَارُو ، ولاَ قْرَا عقُوبِتْ مَخْزَنْ ، ونْتَ قْضِي بْعَرْفَكْ ، شَافْ الـسلْطَانْ

فَ : الْفقيـهْ أُو فَهمُوا بَرْجَاحتْ الْعقْلْ ظَلَمْ الـشَأيبْ فِي غرَاضْ لَمْرَا ، وَامرْ سيَّافْ قَالْ درَّجْ رَاسُو ، وَنْشُوفْ سيدْ الْفقِيهْ اجْبَدْ مَصْحَفْ لَلدْخِيلْ وْحَطُو لَلْمِيرْ فُوقْ صدْرُو وبْسطْ خدُّو وكْتَفْ يدِيهْ وْقَالْ أَنَا فْ : جِيرْتَكْ يَا أَمِيرْ الْمُؤمْنِينْ وَعفَا عنُّو سيدِي وَخَيْتُو وَحلْفْ لُو لُولاَ كْتَابْ رَبِّي حتَّى يبْرِيهْ .

وأَمْرُو يلاَزَمْ دَارُو، ولاَ بْقَاتْ لِيـهْ حكَامَا ، وَامرْ عْلَى الْعدُولْ اتْوَجْدُوا فْ : الْحِينْ رَجْعُوا لَلـشأَيبْ مَرْتُو وسَارْ بِهَا مَبْشُورُوْخَاطْرُو مْهَنِّي وتْمَامْ الْقُولْ : خَالْقِي يَسمَحْ لِيْ "قَصاً" بْدَعْتْهَا لَلــنَّاسْ فْرَاجَا وْلاَ يْظَنُّو صَارَتْ وْلاَ جرَاتْ ، غِيــرْ رَجَاحتْ عقْلِي مْعَا الـرَّيَاسَا ، مَاجَبْتْ خبَارْ منْ الــشَأيبْ ، وْلاَ شَاهَدْتْ شَابًّا مَغْرُورًا وَلاَ تْوَاصلُوا لَلْقَاضِي ، وَالْمِيـرْ منْ سلاَطَنْ الْهْوَى ، أَمَّا الْهْمَامْ سرّ فْ : لَوْقَرْ وَمْعَا أَهْلَ الافْكَارْ كْلاَمِي ... وَالدَّامْرِينْ هَلْ الْعقُولْ الْمَخْرُوبَا ، مَافقْهُوا مَعْنَا وْلاَ الدَّاوْا يْفَادَ التْمَامْ ... كَانْ تْسَالُو يَا حَاضرِينْ .

خُذْ احفَّاظْ علَــــى التْـــــقَانْ حـــلاَّ مرْكـــوُ مَــــا فَ : الْوْزَانْ

بَجْوَاهرْ زَهْوًا لَلْادهَانْ ، وَاليَّاقُوتْ الشعَّالْ وَالتّبَرْ ، وَسلاَمِي بَالْوَرْدْ وَالزْهَرْ وَالْخِيْلِي وَالْيَاسمِينْ ، وَالنَّسرِي وَالـسوُّسَانْ وَالْعطَرْ ، وَعطَرْشَا وَالْغَالْيَا وْعنْبَرْ ، وَالنَّدْ مْعَا الْعَبِيـرْ ، وَالْجَاحدْنِي مَا جَافْ : شَايْ يعْذَارْ فْ : جَهْدو مَايْلُو درَايَا فَ : فْنُونْ الْقُولْ ، وَالــــكْلاَمْ مْعَاهَلْ لَعقُولْ فَاهْمِينْ الْمَعْنَا ، وَمَعـنْتْهَا عجِيبًا بَلْسَانْ الْحَالْ رَايقَا كَا تَشرَحْ لَعقُولْ ، وَالْغنـى يَسمَحْ لِي فِيـمَا عصِيـتْ ، مَا وَقَعْ خْصَامْ وْلاَ حضرَتْ لُو غِيرْ الْسَانْ الْحَالْ كِيفْ رَادْ تْكَلّمْ ، وَخْيَارْ مَا نْقُولْ : الشَأيبْ حَاشَا نْمَازْحُو ، مُولاَنَـا عذْرُو وْسَامْحُو ، وَسمْعتْ اللّـي شَابْ فَ : الاسلاَمْ مْعنَى غدَّ فْ : الاخْرَا مَا يَدْخُلْ لَلـنَّارْ مَا يْرَاهَا وَدْعوتْ الشَأيْبِينْ : مقْبُولَا منْ ربِّي وْقَالْتْ اهْلَ التَّحْقِيقْ "الشيْبْ نُورْ"

وَاللِّي مَاشَابْ يْشِيبْ لاَ غْنَا يَا حفَّاظْ الِى طوَالْ لَعمَرْ كْمَا قَالُو شيَاخْ منْ قبْلِي حتَّى أَنَا نْقُولْ

مَا أَنَا جَاحدْ مَا أَنَا سفِيـهْ ، مَا أَنَا دَاعِي مَا أَنَا وْقِيحْ ، قَابَضْ وْقَرِي وَمْلاَزَمْ الـصبَّرْ وَالدّعْوَا مَا أَنَا فْ : سوُقْهَا وَاهْلَ الدَّعْوَا مَالْهُمْ صوُلَا ، وْلاَوَصلُو الْجَاهْ وَسلاَمْ الله علَى الاشرَافْ نْعمْ اسيَادِي وَعلَى الاشيَاخْ هلّ الامْجَادِي ، وَعْلاَ\

اهْلَ الْعْـــــــلُومْ أُوطَلْبـــــا وَعْلَـــى اهْـــلَ الذّكْرْ مَتْـــــزَادِي

وَعْلَـــــى الاقْطَـابْ هَلْ لَمْحَبَّــا وَعْلَــــى السَّامْعِـــينْ انْشَــادِي

دُونْ الْجْحـــــودْ وَهْلَ الْغَتْـــبَـا وَعْلَـــــى أُمَـتْ الْمَهْتَـــادِي

سِيـــــدْ الرْسُولْ خِيرْ النَّسْـــبَا

مُحَمَّدْ الْمُفَضَّلْ عَيْنْ الرَّحْمَا شَفِيعْنَا صَلَّى اللَّهْ عْلِيهْ قَدْ مَا دَايَمْ مُلْكْ الرَّافَعْ السَمْا وَعْلَى الُوغَايَتْ الـرْضَا ، وَهْلُو وَازْوَاجُو وْلاَمْتُو وَانْصَارُو ، وَالْحَمْدْ وَالْـشُكْرْ لَلـدَّايَمْ وَسْمِي نْبَيْنُو "الْمَدَانِي" عبْدْ الاشْرَافْ هَلْ الاسْرَارْ الْمَوْهُوبَا ، قُولُو كَاعْ : اللَّهْ يَرْحَمُو، وَالرَّاحَمْ يَرْحَامْ . كَانْ تْسَالُو يَاحَاضْرِينْ

الحربة ، او " اللازمة "

شَاهَـــدتْ الْيُـــومْ عْجُوبـــا شَايَبْ ضَلْ مْعَا الشَّابّا فَ : مْعَايَرْ وَخْصَامْ

كَـــانْ تْســـالُو يَاحَـــاضْرِيـــنْ

هذا إبداع من إبداعات " فن الترجما " في الملحون ، ولا أقول قصيدة من قصائد "فن الترجما " فنحن في هذا الابداع لم نكن مع "الشعر الملحون" وإنما كنا مع "الادب الملحون" مع "النثر الفني " المعروف باسم "السوسي"وقد مر معنا ذكره في أول الفصول .

نعم ليست كل "الترجما " في السوسي بل فيها ما هو مكسور جناح "أقَاضِي قَصْأ جْرَاتْلِي مْعَتَاهَا "الْخَادَمْ وَالْحُرَّةْ" "الْجَلْنَارَا" "الطَّيْرْ" وفيها ما هومن الشعر العمودي " الدَّيْجُورْ" "حُمَّانْ" وَ "حْرَارِيزْ"

إلا أن معظم "الترجمات " وأروعها ، هي تلك التي في " النثر الفني" أي السوسي وقد قدمت منها "الشايب والشابا " كنموذج .

فماذا يرى القارىء الكريم في هذا النموذج الادبي الدارجي الذي عمر مائة سنة بالتمام والكمال ؟ أو نحتاج الى شيء من التجاوز لنطلق عليه اسم : "أقصصوصة" ؟ فهو كما لا شك قد لا حظت لم يبدأ بتمهيد ولا بتوطئة أو تقدمة . وإنما بالحوار " قال الشايب للشابة" ومن خلال الحوار ، والتعليق على الحوار نبدأ في التعرف على الحدث شيئا فشيئا الى أن تكتمل الصورة ...

حتى رسم الشخصيات لا يأتي إلا حيث ينبغي وبالقدر الذي ينبغي، "مْلاَمحُو شْهَابُو ، وَالسَّعْلاَ قَابْطَاهْ" "مْنَوْضْ الْعْجَاجْ بَرَجْلِيهْ " مْتَبَّعْ الضّبَابْ بْعِينِيهْ " بل نحن لم ننتبه لمفاتن الحسناء ، إلا عندما رأيناها من خلال نظرات القاضي وهي تكاد تلتهمها ... أما اللفظة العامية الساطعة والعبارة الشعبية الرائعة وكيفية السير في الموضوع ، وتلك السلاسة وذلك الانسياب ... وما بين السطور من إشارات خفية يستلزمها الطرح ولا ينبغي الافصاح عنها ... على أية حال النماذج بين يديك ، والرأي رأيك ، وما أنا إلا "دَلاَّلْ الْخَيْرْ " والله الموفق . صحيح أننا في الملحون ، لا نعرف عن هذا الغرض إلا أنه طافح بالمستملحات

اللطيفة والطرائف الشيقة ، والهزليات الممتعة ، والانتقاد الساخر لكل من ، وكل ما يستحق الانتقاد . والحق أنه - أي هذا الغرض - أكبر بكثير من مجرد مستملحات ، وطرائف ، وهزليات ... ف : ترجمات الحراز مثلا ... وقد تجاوزت في عددها المائة حراز ... لو وجدت من يحلل بعضها التحليل السيكلوجي الصحيح الجاد ، لتبين أنها في جملتها تحارب الكبت والقهر بكل أنواعهما ، وفي تفصيلاتها تحارب سائر ضروب الاحتكار والاستغلال ، وجميع أشكال الشعودة والتدجيل ، وأنماط الذل والمهانة وأوضاع الدعة والاستسلام .

وإذا كان الملحون خصوصية مغربية لا يمكن أن توجد إلا في البلاد المغربية ، فإن الحراز خصوصية من خصوصيات الملحون المغربي ، ولا يمكن أن توجد في غيره من سائر أنواع فن القول .

و "ترجمات" الخادم الحرة " وهي أربعة إبداعات ، ظهر الاول في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ، وظهر الثاني في التسعينيات من نفس القرن ، والثالث في الثلاثينيات من هذا القرن ، والرابع في الخمسينيات منه ، وأصحاب هذه الابداعات هم على التوالي :

"الحاج أحمد الغرابلي ... فاس" ، "المدني التركماني ... مراكش "

"الحاج الحسن بنشقرون .... مراكش " "العيساوي الفلوس ... فاس" .

فقراءة متأنية في هذه القصائد تظهر بوضوح ، أنها أكبر من مجرد شجار عابر بين أمرأة سوداء وأخرى بيضاء ، بل أنه الصراع الازلي المزمن ، بين سكان شمال أرض الله ، وأبناء جنوبها ، بدأ بالاسترقاق والاستعباد ، مرورا على الاحتلال والاستغلال ، وصولا الى انتفاضات الافارقة التي لا تزال متوالية في بعض الجهات الى يوم الناس هذا ....

وترجمات "الفقيه المسلم والمبشر المسيحي" و"العابد والراهب" و "النخلة والصفصافة" و "والناسك والشيطان" كل ذلك فكر ... وفن ومعرفة وثقافة .

وليس من لغو القول أن أشير الى أن هذا الغرض الذي يسمونه "الترجمة" يعيد قراءة كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، سواء منها ما تناولناه حتى الآن ، وما لم نتناوله بعد ...

فالمناجات الالاهية والامداح النبوية نجدها في ترجمات " جمهور الانبيا" "جمهور الاوليا" "جمهور اهل النوبا" جمهور رجال الله"

والوصايا "لوصيات " ... تتناولها "الترجمة" ... لا بالاسلوب الواعظ ، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، بل بأسلوبها الفني الرائع الذي يجعل الشعور يمقت المساوئ ويهجها ، ويغتبط بالمحاسن ويتعشقها ...

ف : "الترجمة" لا تقول عن الخمر مثلا : "كُلْ مُسْكِرْ حرَامْ" وكفى ... أو "بِيعْهَا وَشْرَاهَا وَشْرَابْهَا حرَامْ".... وإنما تصور لك المخمور الفاقد الوعي ، الذي "عْمَا لْمِيمتُو الْعِينْ" ، أو الذي صفع أباه ... أو الذي تبول في الفراش ليلة زفافه ، وهكذا كل أنواع الفسوق والفجور والزيغ ، من كذب ، وخيانة ، وغدر وما شابه ، وغرض "العشاقي" في "ترجمات الحراز" وفي غيرها ... ووصف الطبيعة في الربيع ، وفي غيره من فصول السنة نجده في "تْرْجْمَاتْ الْقْصَادَة ، والشرْاطَة، وَالْوشَامْ للاَنَاث و "ترجمات ، الصيد

والقنص والنزه الجماعية "للذكور ... وهكذا وهكذا الى أن نأتي على كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، فنجدها جميعها حاضرة في هذا الغرض الذي أطلقو عليه اسم "الترجمة" أتراهم قد أخطاؤا الصواب بتسميتهم للابداعات هذا الغرض ... الترجمة ؟ لنرى .

إذا نحن اعتمدنا مفهوم اللفظ كلفظ " ترجمة" وتجمع على "ترجمات" فقد سبق لاحد رواد الفكر ، وجهابذة اللغة ... أن أطلق على ديوان شعر له اسم : "ترجمان الاشواق" انه محي الدين بن العربي .

وإذا جاز أن نعتبر الشعر ترجمان الاشواق ، جاز أن نعتبره ترجمان الخلجات التي تختلج في الاعماق ، وترجمان المشاعر والاحاسيس بل وجاز أيضا أن نعتبره ترجمان الاحوال في كل الحالات ، وتلك هي حقيقة " الترجما" الملحونة.

أما إذا اعتمدنا مفهوم اللفظ كاصطلاح أدبي "ترجمة" وتجمع على "تراجم" ، فإن هذا الاصطلاح ما كان ينبغي أن يقتصر فقط على الترجمة للاشخاص ، النابغة فلان ، والعبقري فلان ، والبطل فلان ... فأهل الملحون مثلا ترجموا للمدن :

مْدِينَتْ سْلَوَانْ كَالْمْنَارَا ۝ مَنْ سَبْعْ مْدُنْ مَا تْبُورْ

مَاقَبْلُوا نَاسْهَا جْسَارَا ۝ كَتْبُوا فَ : شْوَاهْدْ السْطُورْ

لُوجَاتْ قْبَايْل الجْسَارَا ۝ تَفْنَا بْدْوَايْبْ الشْرُورْ

صَالَتْ بَاسْوَارْ ۝ قَلْعَا مَبْنِيًا حَازْتْ الْوْعَرْ ۝ بَالْهِيبَا وَالْعَزْ وَالْوْقَرْ

وَمْنَارْةْ وْدْيَارْ ۝ بِينْ سْقَايَلْ لَبْرَاجْ عَامْرَا

فِي كُلْ شْبَارْ ۝ مَهْرَازْ الْكُورْ يْهَدْ مَنْ دْسَرْ ۝ وَنْفَاضْ العْسَاَ عْلَى النْمَرْ

وَالْعَسْكَرْ جَرَّارْ ۝ وَصْحَابْ الْوَزْنْ بْمِيزْ غَازْزَا

وترجموا للجبال :

حَدَّتْنِي عَنْ عَيْنْ فِي ضَلُولْ الصَفْصَافْ مْبَرْدَا وْعَذْبَا تَحْيِي الارْوَاحْ

وَعْلَى شِي طَفْلاَتْ رَايْحَا ۝ وَالشِّيخْ رْوَايْحُوا فْ : الْهْوَا فَيَّاحَا

يَاطَوْدْ مْنَ اطْوَادْ أَرْضْنَا عَالِي مْثَلْ انْفُوسْنَا اللِّي مَا تَخْضَعْ لُوقَاحْ

حَدَّتْنِي عَنْ كُلْ مَا ضْحَا ۝ كَايْنُو لِيسْ كَانْ يَخْطَرْ فِي وَاحَا

حَدَّتْنِي لَلَّهْ عَنْ الصَيَّادَا ۝ وَعْلَى خَيْلْهُمْ وَعْلَى ذَاكْ التَّحْيَاحْ

وَسْـــــرَابْ الضــــَّايــَـا اللاَّيْحــــَا   وَالصـُّـلاَّحْ الْقْطَــابْ وَقْتْ السِّيَّاحَــــا

وترجموا للحصان:

هــَـاجْ وَجـَـدْيِي وَجْــوَادِي هَاجْ لِي مْسَرَّجْ   نْجَالْ جَرْدْ مْجَرَّدْ مْتْفَنْجَا دْعَاجــــُو

☆★★

ســــَالْ عـُــــودِي عَنْ وَعــــدِي يْبـــَاتْ يَرْثِي وِيضَلْ مْعَا اللْجَامْ مَسْكِينْ يْكَدَّدْ

وترجموا للنحلة "

صــــُولِي يــَـا "شَامَا" الضـْــرِيفَا وَزْهَاي وْغَنِّـــي وْدَنْدْنـــي قَطْفِي مَنْ الازْهَـارْ

يـــَا تْرِيــَـاقْ عْلاَجْ كــــُــــلْ ضَــرْ   يـَــابَنْتْ الْمْلْكْ فِيكْ هَمَّاً وَتْجَــــــاراَ

وترجموا للشمعة :

لَلــــَّهْ يـــَـا الشَّمْعَـــا سَلْتَــكْ رَدِّيــلِي اسْالِي اعْلاَشْ كَاتْبَاتِي تَبْكِي مَادَالْكِي شْعِيلاَ

بل وترجمو للفتيل الذي بداخل الشمعة :

أَنــَـا الِلْـــي اتْحْــرَقْتْ وَمـــَا انْتِيَّـــاغِي الصهْـــــــــدْ اكـــــوَاكْ

ترجمـــــواللذئـــــب:

فَــــرْخْ الذِّيــــَابْ مَا يَتـــــرَبَّا قــــَـالُوا الــــنَّاسْ وَانَا رَبِّيتــُــــــــو

ترجمواللنملـــــة:

"لَحْوِيـــــدَكْ" دِيمَا امْحَزْمـــَا مَشْمـــــوراَ وَمْخَمْلاَ جْلاَيَلْهَا كُلْ نْهـــــَارْ

هِيَّ وَالنَّحـــــلاَ مَنْ الْفْــــــجَرْ   وَجْنُــودْ الْمْلْــكْ مَا اتْخَالَفْ لِيشَــاراَ

وترجموا للاطلال:

جِيتَــــكْ يَـــــارَسْمْ الْبَــاهْيَاتْ صَبْتَــكْ خــــــَالِي مَهْجـــُورْ

سكـــــأنَكْ جَابُــــــونِي نْزُورْهُمْ لَلَّهْ وَايَنْ ســـــَارُو وَاعْطِيـــنِي الاخْبَـــــــارْ

وترجموا للمسجد :

لُــــو شَفْتِــــي كــَم مَّنْ حبّـــابْ دَخْلُـــو مَنْ هَذْا الْبَــابْ ، مَنْ علْمَا وَاقْطَــابْ

مَنْ ذَاكْ الْيُـــومْ الدَّابَـــا وَالصُّــلاَّحْ اللِّي اعْتَاكْفُــوا فِيـــهْ سنْينْ مْوَاضْبَـــا

وترجموا الانهار ...

"مْلْوِيًّـــا ، مَـــنْ حيثْ عَـــايْرَتْ ورْغْمَا بِينْ هْضَابْ وَ "سبْوُ" يَسْمَعْ لَخْطَـــابْ

وَ "اللِّيـــرَ" وَ "السبَّابـــــَا" وَالرَّغْـــيَانْ يْـــورْدُوا وْلَبْنَـــارتْ عْلَـى الْمــدَاعبَا

لابد من أن نعود الى "الترجما" مرة أخرى ، عند تناولنا للملحون المعاصر، أما الآن ، علينا فقط أن نتمم لها حصتها من النماذج كباقي الاغراض .

"بِيكْ مَالْيُونْ" كما لا يخفى على مثقف ، ينحت تماثيل الاجسام من الحجر ، ومن غير الحجر ، وقد نحت مرة تمثال امرأة فأبدع فيه كما لم يبدع في أي تمثال آخر قبله ، ولما فرغ من العمل ، وأصبحت المرأة ماثلة أمامه تكاد تخاطبه ، أحبها ، وطلب من الآلهة أن تهبها الحياة ففعلت ، وارتمت المرأة في أحضانه وجن جنونه ، وقرر أن يتزوجها ... فصبت عليه اللعنات ... وسمع الاصوات تردد من كل جانب "بيكماليون الملعون.... أو يتزوج الخلاق من مخلوقاته ؟ " هذه في سطور ، هي أسطورة "بيكماليون" وكما ترددت في اليونان قبل الاف السنين ...

وسوف يأتي "برنادشو" فيستوحي من الفكرة مسرحيته المشهورة : "سيدتي العزيزة " وستأتي السينما ، فتنتج المسرحية في أكثر من فيلم ...

ويأتي "بن الصغير الصويري" - وقد مر معنا ذكره .... وسبقت الاشارة الى أنه شاهد عهد السلطان العلوي الحازم مولانا الحسن الاول فيستوحي من الفكرة هذا الابداع الخفيف المرح ،

كَانُــــو بَاثْنِــــينْ مْسَافْــــــرِيـــــنْ فَ : طْرِيــقْ الْخِيـــرْ مْرَافْقِـــــينْ

وَاحَدْ فِيــهُمْ نَحَّاتْ صَانْعْ رْفِيــعْ بْهَرْ جمْعْ الْعْقُولْ ، مَاعَنْدْ بْنَادَمْ مَا يْقُولْ ، مَنْ غِيــرْ صْوِيــرِي مَا يْطَوَّعْ جَدَرْ دَالْعَرْعَارْ الهَنْشِيشْ ، مَنْ غِيرْ فْشَرْ مَنْ دُونْ فِيشْ كَايْصَنْعْ بَ : الْعَرْعَارْ شِي عْجَايَبْ مَا يَشْرِيهَا الْوِيزْ وَلاَ جُوهَرْ وَلاَ بْرِيزْ وَالثَّانِي كَانْ مْجَادْلِي ، وَفْ كُلْ افْرَاحْ مْوَاوْلِي .

وَتْجَرْ دَغْيَا دَغْيَا غْنَاهْ أَتَايْ وْصَارْ مْنَ الــلْبَابْ يْبِيــعْ وْيَشْرِي فَ : الاثْيَابْ ، عَنْدُو لَحْرِيـــرْ مْعَا

السَّابْرَا ، عَنْدُو الْمَلْفْ مْعَا الكَامْرَ ، عَنْدُو لَغْوَالِي الْعَاطْرَا وعَكْرْ وَالْحَرْقُوسْ وَالسْوَاكْ وَ الْكْحُولْ ،
وْمَا عْلَى الْجْمَالْ مْنَ حْمُولْ ، زَارُو مْقَامْ سِيدِي مَكْدُولْ أُوسكْدُوا

خَرْجُوا فَ : السَرْوِيًا مْنَ الصْوِيرَا جَدُّوا فَ : السِيْرْ فَ : الْفْيَافِي وَاقْفَارْ ، كَايْغَنِيوا اشْعَارْ
قَاصْدِينْ بْعَزْمْ وْنِيَّ الْبَهْجَا الْحَمْرَا

★★★

فَ : عْوِيـــنَتْ سِيـــدِي يَاسِّـــينْ صَابْـــو صَاحَبْنَـــا بَنْ الزَّيـــــنْ
هَرُّوهْ وْكَـــالْ كْلاَمْ مَا نْقَدْ نْكُـــولُو ، وَاللِّـــي قْوَا عْلِيهْ فْضُـــولُو ، زْعْمَـــا
بْغَا يْسَمْعُوا ، إِيجِي حَتَّى الْعَدْنَـــا وِيرَافَقْنَا فَ جَمْعْنَا وَنْجِيبُوا لِيهْ خَيْنَـــا

وَحْدَاهْ نْهَرُّوهْ لِيهْ ، أُو يَسْمَعْ أَشْ يْكُولْ لِيهْ ، عَنْدَاكْ يْكُولْ عْلَى سَفْيهْ لَحْدِيتْ قْيَاسْ وْغَايْتُو دْرَاوَهْ
قَابَطْ دِيكْ الطْرِيقْ

وَرْجَعْ حَتَّى هُوَ رْفِيقْ ...

يَا مَاحْلاَهَـــا دِيـــكْ الْمْرَافْقَا ، مَنْ حكَايَاتُو الْخَارْقَا ، وَالْمُغَرْبَاتْ رَايْقَا وَالـضَّحْكْ أُو الاَقْجَامْ فِي
طْرِيقْ السِّيَّارْ ، هَكْذَا دَازْ انْهَارْ ، رَوَّحُو فِيهْ الْفَرْحْ عْرِيسْ لْلْمَسَرَّا .

رَاحَـــتْ شَمْسْ انْهَـــارْ الاثْنِـــينْ دَقُّـــو قِيْطُـــونْ مْعَـــاوْنِـــينْ
تْوَضَّـــاوْا وْصَلاَوْ عَـــادْ جِبْدُوا الْعْشَـــا وَبَعْدْهَـــا تْرَايَا وَايْقَسْمُـــوا لِيلْهُـــمْ
عْلَى الْعَشَا مَا بِينْهُمْ ، بَالْمَشْخَرَا ضَرْبُو الْعُودْ ، عَاوْدْ ثَانِي ضَرْبُوا الْعُودْ
وْبَانْ شْكُونْ اللُّوَّلْ أُوشْكُونْ الثَّانِي ، وْجَا الْعُودْ فَ : التِّيجَانِي

وَخْرَجْ مْنَ الْكَيْطُونْ يْدُوزْ نُوبْتُو ، يَحْرَسْ بَالْجَدْ رْفَاقْتُو ، بَاشْ يْدُوزْ وَقْتُوا ؟ وْبَاشْ يْتْوَنَّسْ ؟ صَابْ
صْنِيعْتُو ، صَابْ جَدْرْ دَالْعَرْعَارْ غِيـرْ مَرْمِي وَطْوَلْ مْنَ طُولْتُو ، اجْبَدْ أَدْوَاتُو وْزَادْلُو ، يَنْقَشْ وِيـدَقْدَقْ
وِيمْرِي بَالْمْلاَكِيَّا ، وْكَانْ مَسْكُونْ مْعَا الصَّنْعَا مْخَلْخَلاَلُو الافْكَارْ ، وْلاَ ابْحَالُو صبَّارْ ... صَانْعْ نْقِي
.. وْنْقِي ... وَمْعِيشْتُو مْعِيشَا مَرَّا .

عَسْ سوْيعَــاتـــُو كـــامْلـــينْ   ونْحَتْ قــامَا تَسْبِـــي الْعِـــــينْ

مْـــــرَا خُمْــرِيــَا كامْـــــلاَ   وَقْفْهَـــا وَقْفــــا صَــايـــــلاَ

ومْشَافيّقْ منْ نُوبتُو يعَسْ ، وتَكَّا فَفْريْشُو نْعَسْ وَالـتَّاجرْ مَنْ حيـتْ شَافْهَا ... اجْمَدْ فيـهْ الـدَّمْ ، أُوفْهَى ، وتْرَاجعْ دغْيَا وعْرَفْهَا ، دَاتْ منْ الْعَرْعَارْ صنْعْهَا دَاكْ الْجنْ ، وبْدَ يْخَمَّمْ أو يتْمكّنْ ويبْعْدْهَا مْشَا كَايَجْرِي لَصنْدَاقُو ، جبْدْ قفْطَانْ خضَرْ دَا الْمُوبَرْ وقْميص منْ الْحْرِيرْ والسّبْنيا وزْوَاقْهَا مْشَجَّرْ ، وَسقْلْهَا كْثِيرْ وَالْعبْرُوقْ أوعصّابْتُو دَالاوبْرْ والشّرْبِيلْ الْكْبِيرْ لَبسْهَا .. نَبّتْهَا .. وزَيّنْ لْهَا .. خَلاّهاَ فينْ صَابهَا لَلتّبْهَارْ ، وفْيَقْ البَاعْمَرْ ، بنْ الزّيّنْ يعْسْ النُّوبَا ، ويْلْقى لَمْرَا

☆☆★

فْهَـــــا فيــــهَا يَافَاهْمِـــــينْ   دَارَتْ بِـــهْ الدّنْيــا فْ : حِـــــينْ

زكَّا رَاسُو دغْيَا وزَادْ لِيهَا وَخْزَرْ فِيهَا مْلِيحْ ، طَيَّرْ سبْنِيتْهَا الرّيحْ وعْلَى رَاسُو غَادِي تْطِيحْ ، غُمَّاتُو ، فزْعَاتُو ، وهْوَسَاتُو ، وفْلَتْ لِيهْ الرّتَاجْ زَادْ تْفَاكَمْ لِيهْ الْمْزَاجْ

أُو مَنْ هَاذِي مُحَالْ وَاشْ بَاقِي يفْلَتْ

اتْلاَحْقَــــاتْ فِيـــهْ انْفَــاسُو   وطَــــاحْ فْ : الْوُطـــا كـــــايلْهَتْ

لُوكَـــــانْ شَاهْـــدُوهْ ونَــــاسُو   مَسْكِــــينْ كِيــفْ كَايتْمَـــــرَّتْ

اشْحَــــالْ عَــادْ عْرَا رَاســـو

ومْنِـــينْ شَافْ فْ : جْنَابُو صابْ امَامْنْ شـلاَغْ الْعَرْعَـارْ   الْكْبَارْ أُو الصْغَـارْ

ابْحَــالْ مَنْ جَــاهْ أُومرْمَقْ لُـــو وعْرَفْ الْجْرَا

عَادْ وَلّ عنُّو لَغْيَا وعَـــادْ مَسْكِـــينْ انْهَــــــارْ   وعَاوْدْ ارْفعْ الابْصَارْ

بَاشْ يَنْظُرْ هَاذْ الْخَشْبَا وجَـــاتـــو حكْــرَا

كِيـــفْ حتَّى يتْفْزَعْ بَالْخْــوَا وهْــوْ عَيَّــــارْ   مَا بْحَالُو عَيَّــارْ

وبَاشْ مَنْ كِيدْ يرْدَدْ الصاَّعْ بَألَفْ عبْرَا

بْدَا يْخَمَّمْ كِيفَاشْ وبْاَشْ خَصْ يَاخذْ بَالثّأرْ   مَــــنْ خْسِيــــس التّجـــــارْ

علّى اللِّي مَا خبْرُو وتْخاَنْفَاتْ فِيهْ الْحسْرَا

وبْعَدْ ساَعاَ ضرَبْ كفُوفُو الارْضْ ضرْبَتْ تَطْهَـــارْ   تِيمُّمْ بَاخْتِصــــارْ

ودَارْ لَلْقبْلاَ يرْجاَ خاَلْقُو عظِيمْ الْقــدُرْاَ

وغِيرْ كبَّرْ وسْجدْ سجْدَاَ سمْعَتْ عَطْســاَ بَجْهــاَر   احيَاتْ بَنْتْ الْعرْعـــاَرْ

وغِيرْ سلّمْ طَاحتْ بِينْ يديّهْ عذْرَا سمَـــرْاَ

كـــاَلْ لِيهاَ نبْغِيكْ تفِيقِـــي عْدِيمْ الْيَضْمـاَرْ   أُو الدِّيــبْ النَّجّــــارْ

وغِيرْ فَاقُو شَعْشَعْ لَحمَاقْ فَـ : الاثْنِينْ بمرْاَ

شْكُـــونْ مَنْ حقُّو يَاخُدْهَا مْنَ اثْلاَثَا يُذْكَـــارْ   وَاهْيَـــا هلْ الافْكَــارْ

يَـــــالُوَدْ باَيَاهلَ لَعْلُـــــومْ نعْمْ الْقرُاً

قــاَلْ مُحَمَّدْ بَنْ الصغِيـــرْ وَالسْلاَمْ فْ : الاشْعَارْ   عَمْ ســاَيَرْ الابـــرْاَرْ

وَالْجوْاَبْ يْصِيبُوا مَنْ رَادْ فَـ : "الْبْيَاتْ الْعَشْراَ"

اللازمة:

هَــــــاذْ هِيّ ، مَا هِيّ غِيرْ مَنْ جدْرْ دَالْعرْعَـــارْ   نحْتْ مَاهرْ عيَـــــارْ

دَمْ وَلْحَمْ رَجْعَتْ وَحْيَـــاتْ وَلَلاّت مْــــــــرَا

شغل هذا السؤال الكثير من الناس مدة ليست بالقصيرة ، بل وجدتهم في حضيرة الملحون عندما التحقت بها في الاربعنيات ، لا يزالون يرددون : "شكُونْ مَنْ حقُّو يَاخُذْهَا" تماما كسؤال من سبقت الى الحياة البيضة أم الدجاجة ؟ ولقد قال عبد الواحد العصفوري لشيخنا الجليل سيدي ادريس متضاحكا فكر معنا ياسيدي ، من أحق بهذه المرأة من الثلاثة ؟ فقال له سيدي ادريس : ولماذا تريدني أن أفكر في شيء ما كان ، ولن يكون ؟ فقال العصفوري والبيضة فالدجاجة ؟ فقرأ سيدي ادريس قوله تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي ...."

وبصرف النظر عن الفكرة التي قامت عليها هذه القطعة الادبية الدارجية ما دمنا لم نعثر حتى الآن عن الابيات العشرة التي تحمل الجواب ، بل ولا نعرف حتى هل هي سرابة من عشرة أبيات ؟ أو اعروبي في عشرة أبيات ؟ أو أنها عشر ة أبيات من قصيدة ما من قصائده؟...

بصرف النظر عن الفكرة ، يبقى الابداع كمرآة ساطعة تظهر فيها بجلاء مدينة الصويرة على عهد السلطان المقدس ، مولانا الحسن الاول تغمده الله برحمته .

في النحت "مَنْ غِيرْ صَوِيرِي مَايْطَوْعْ اجْدَرْ دَالْعَرْعَارْ الْهَشِيشْ ، كَا يَصْنَعْ بَالْعَرْعَارْ شِي عْجَايَبْ تَبْهَرْ جَمْعْ الْعْقُولْ

الصناعة التقليدية ، الحضارة ، الرواج ، الفرص المتاحة ، الطموح الذي لا تضيع معه الفرص

... كَانْ مْجَادْلِي بوَفْ كُلْ افْرَاحْ مْوَاوْلِي ، وتْجَرْ دَغْيَا دَغْيَا غْنَاهْ أتَايْ وْصَارْ مْنَ الـلْبَابْ ، يْبِيـعْ وِيْشْرِي فْـ : الثْيَابْ .

وذاك الوصف الجميل النبيل لدعابات أويقات المرح وسويعات الانس ، وذاك التشخيص الدقيق للحظات الفزع المفاجىء والروع المباغت .

أتلاحْقَـــــــاتْ فِيـــهْ انْفـــــــاسُو وْطَـاحْ فْـ : الْوْطــــــا كَايْلَهَثْ

ورحابة الترحيب ، وكرم الضيافة ، ودفىء التآلف .

"يْجِي حَتَّى الْعَنْدْنَا ، أُويَدْخُلْ فِي وَسْطْ جَمْعْنَا ، وَحْدَاهْ نْهَرُوهْ لِيهْ

على كل حال ربما لا يستغني من يؤرخ للصويرة ، أو يترجم لها عن شعر محمد بن الصغير الصويري ... لانه يأتي من قلب أحياء الصويرة وأسواقها وبيوتاتها ...

وسوف يأتي معنا ذكر بن الصغير مرة ثالثة ، عندما نعرض للهجاء ونتناول من ضمن ما سوف نتناول فيه ، تراشق "فن الرزْوْن الصْوِيرِي" أما الآن فإلى لمسة أخرى من لمسات الثقافة العالمية في الملحون إنه الموضوع الذي قامت عليه "رسالة الغفران .. لابي العلاء المعري ، و "الكوميديا الالاهية" ل :دانتي ، موضوع ما بعد البعث ، والحشر والحساب .

وقد سبقت الاشارة الى أن "الترجمة" لا تكون فقط في "النثر الفني السوسي" وإنما تكون أيضا في الشعر العمودي "لبيت" وفي "مكسور جناح"

وهذه المرة مع "لَمْرَمَّا الثّلاثِيًّا" من الشعر العمودي الموزون المقفى

كَانْ رَاجَلْ مْعَا مرْتُو فْـ : الدُّنْيَا عَشْـــــرَانِي تَـابْعِينْ الشيْطَـــــــانْ

لاَ صَـــــلاَ لاَزَاكَا لاَ صَوُمْ عَايْشِينْ عْلَى الْمُنْكَـــرْ

ويصف هذا "المنكر" في أبيات ، فيصور بيت الزوجية لهذين الزوجين وقد تحول الى حانة خمر وقمار تقع فيها من القاذورات البشعة ما يجعل الشرفاء من الناس يتمنون إحراقهما في الدنيا قبل الاخرة .

ونحن نترك كل ذلك الوصف ، لننتقل مع الشاعر الى حيث يقول

نْهَارْ مَاتُو هَادُوكْ بْزُوجْ يَا الفَاهَمْ تَمْكَــــانِ   خَلاَّوصَبِــي عرْيَــــانْ

كَانْ خَادُو رَجَلْ مَسْكِينْ حَايْزُو عَنْدُو فـَ : الدَّارْ

وينشأ الطفل اليتيم في بيت صلاح وورع ... ويحفظ القرءان الكريم والاحاديث الشريفة ، ويتعلم من العلوم ما يصلح الحال والمال ... ويفتح الله عليه ... فيصير من السبعة بالصفات السبع .

اقْــرَا الْقُرْءَانْ تْفَقَّهْ فِي عْلُومْ دِينْ الدَّيَّــانِ   بْــدَا يْقَرِّ الصَّبْيَــانِ

وْكَـا يْحَدَّثْ وِيوَاعَظْ فـَ : الْعْبَادْ وِيرتَّلْ الاسْوَارْ

وهنا يقف وقفة خاشعة أمام فضائل القرءان ، وأسرار القرءان ، يختمها بقوله :

نُورْ رَبِّي فـَ : قْلُـوبْ الْمُومْنِينْ سَــرُّو ربَّانِي   بِهْ تَصْـلَحْ الازْمَــانْ

عزْنَا فـَ : الدُّنْيَا وَفـْ : الاخْرَى اينَجِّي فـَ : الْمَحْشَرْ

ونفخ في الصور ، وانتهى كل شيء وقال الله ولا شيء معه : "لمن الملك اليوم؟ "ليجيب عن سؤاله بنفسه جلت قدرته وتعالت عظمته : "لله الواحد القهار "

ونجد نا مع الشاعرالفيلالي فيما بعد البعث

جَا انْهَارْ الْمُوقَفْ لَعْظِيمْ وَالرْجَالْ أونَسْوَانِي   شَــاخْصِينْ بْ : الاعْيَــانِ

فـَ سَــايْرْ الانْبِيَا وتَبَّــاعْهُمْ شْلاَ رَاتْ عيْنَــانْ

وينتهي يوم الحساب ، وتمتلىء الجنة بأهلها والنار بأهلها ... ويحدثنا الشاعرعن الشاب حافظ القرءان الذي نشأ في عبادة الله ، وهو يمرح في الجنة بين الحور :

فـْ :حِــــينْ نَادَاتــــُو حُورِيًا وْقَــالْتْ لُو أَيَا "بَانِي" يَا السَّاكَنْ لَجْنَــانِي

رَاْه يَمَــــاكْ امْعَا بَابَاكْ حَارْقَاهُمْ نَارْ الْحَـــرْ

ويضحك الشاب من قولها ، ويشير الى الاسرة التي تبنته ، وهو يحسبها أسرته الحقيقية . وتتغاضى الحورية عن ضحكه وتؤكد :

ابـــــاكْ فِي أَشَدّْ الْحَالاَ ، أمّكْ فِي شرّْ امْحَانِـــي   فِي غمُوقْ النِّيــــــرَانِ

وْسُوَلْ اللِّي ربّاوكْ بَالاثْنِينْ يعْطِيوكْ لَخْبَرْ

ويستفسر عن جلية الامر .... ويأتي الجواب مصدقا لما قالته الحورية :

كَاللُّو لَوَاهْ أَوْلْدِي البّاكْ وَسْطْ النِّيــــرَانْ   امْعَـــا امّكْ فَ : التّمْحــــــانِ

مَا احْنَا الاَّ ربّْنَاكْ يَالْمَحْبُوبْ مَنْ صغْــــرْ

وْمَا كْرَمْنَا رِبّي إلاّ علَلْ الْخِيرْ أُو الاحْسَانْ   اللِّـــي اعْمَلْنَـــا بَنْتَـــــانِ

انْهَارْ مَاتُو وَحْسَنَّابِكْ فِي مْعِيشَتْ دِيكْ الـــدَّارْ

وتقترح المحسنة على الشاب حامل القرءان ، أن يتشفع لوالديه عند الله ويتوسل إليه بالقرءان الكريم ...

زَاوْك فْجــــوْدْ اللّه عْلَى البّاكْ ومّكْ بَاثْنَانْ   بْجَـــاهْ حَـــقْ القرْعــــــــانْ

مَا يْخَيّبْ ســـايَلْ ربّي كْـــرِيمْ يَسْمَحْ أو يَغْفَرْ

ويتوسل الشاب الى ربه الكريم أن يعتقهما من النار ويدخلهما الجنة برحمته ويقول الله : لك أن تخرج أحدهما ... وعليك أن تختار ... ويمضي الشاب الى حيث النار ... ويقترب منها ... فتبتعد عنه . ثم يقترب منها فتبتعد عنه ، وخازن النار في حيرة مما يجري ... لا الشاب تراجع عن النار ، ولا النار التهمته ... ويعلق الشاعر على المشهد :

"حِيثْ مَاشِي مَنْ أَهْلْ النَّارْ كَاتَبْعَدْ بلْعَانِي" ويتساءل هو أيضا في حيرة لَكِنْ يَا إِخْوَانِي بَاشْ عرْفَاتُو ؟ أَمْرْ غْرِيبْ بَايْنْ يْحيّرْ الفكْرْ

ويفترض افتراضات :

وَاشْ شما تُوصَابَتْ رِيحْتُو رْوَايَحْ الْجَنْــــانِي ؟ أَوْ هــــوَ نــــورَانِــــي ؟

غِيرْ بَالشُّوفَا عرْفَاتُو ، وْكَاتْشُوفْ بْغِيرْ بْصَــــــرْ

ويأتي الامر الالاهي بالسماح للشاب بأن يدخل النار ليخرج منها من يختار من أبويه ...

ويبدأ في البحث عنهما ... وتثير انتباهه بعض الوجوه من أصحابه ومعارفه كان يحسبها في الدنيا "وْجُوهْ الْجَنَّا" ولكن سرعان ما نسيها في غمرة البحث عن أبويه ... وأخيرا يجد الام ... ويعرض عليها أن تخرج ... لكنها تمتنع :

سِيرْ خَرَّجْ بُوكْ أَوْلْدِي اشْحَالْ قَاسَا لَمْحَــــانِي   عَلْ اللُّقَما وَاحزَانِــــــي

وَاللّيَـــالِي وهْرِيدْ الْمَا فْ كُلْ لِيـــلْ وكُلْ نْهَـارْ

اشْحَالْ مَنْ مرَّا كَانْ مْرِيضْ وِيمْشِي جَسَمُو فَانِي   كَا يْعَانِـــي وِينَـــانِـــي

بَـــاشْ يَاتِي لِنَا بَالْقُوتْ مَا تْخَلّيهَشْ فْ : النَّـــارْ

وينزل عند إرادة والدته ، ويذهب للبحث عن والده ... ويجده ويخبره بما دار بينه وبين أمه ، ويعرض عليه أن يخرج معه ... فيأتي هو أيضا :

امِّيمْتَكْ يَاوَلْــــدِي لِيهَا جْرِى عْلِيكْ الرَّضْـــــوَانِ   حَــارْقَاهَا النِّيرَانـــــِي

جْـرِي عْتَقْهَا عَنْدِي هِيَّ اوْلاَ بْجَنَّـاتْ الرَّضْـــوَانْ

يَاكْـــــدَوَّزْتِي تَسْعْ شْهُورْ فُوسطْ بْطَنْهَا فَانِـــــي   وَالدَّهَرْ عَــاوَدْ ثَـــــانِي

وْمَا رْضَعْتِي مَنْ بَزُّولَة حْلِيـبْهَا صَافِي الاعْيَـــارْ

ويحتار الشاب بين والدته ووالده ، ويلجأ مرة أخرى إاى ربه الكريم ويرحم الله ضعفه ، ويتكرم عليه بعتقهما معا .. وفي طريقه بهما الى الجنة ... يتكره أهل الجنة ، من روائح النار التي تفوح منهما ... ويأتي الامر الالاهي بغسلهما في "واد الكوثر" سبع مرات ... ومرة أخرى يقع نظره بالصدفة على أناس كانوا في نظر غيرهم كفرة فجرة لا مآل لهم إلا النار ...

وبعد ... إذا سلمنا بأن الفكرة التي قامت عليها قصيدة بن الصغير تسربت الى مدينة الصويرة ... من تجار الشواطئ ، الذين كانوا يجوبون البحار المغربية جيئة وذهابا - وللفنيقيين آثار لم تزل قائمة بالجزيرة الى الآن - أو تسربت من القوافل التي كانت تمر بالصويرة سواء تلك التي تمضي من الشمال الى الجنوب ، أو تلك التي تأتي من الجنوب الى الشمال ، أو جاءت مع أفواج اليهود الذين تساكنوا مع المسلمين ، بل فاقوهم عددا في بعض الفترات ... إذا سلمنا بشيء من ذلك ، فإننا لا نسلم أبدا بأن الفيلالي بن الفيلالي قد جاءته الفكرة من هذه الجهة أو تلك ، أو بهذا السبب أو ذاك .

فهو بالتاكيد ما قرأ : "الكوميديا الالاهية لدانتي - ولا سمع عنها ... لا ولا أطلع على " رسالة الغفران" للمعري ، ولا بلغه خبرها ... فالمسار غير المسار ، والطرح غير الطرح ، والقصد غير القصد ... ولا أثر فيها لاية أيديولوجية ، وما قلت عنها أنها لمسة من الثقافة العالمية ... إلا لان الشاعرالمتاز ... قد تصل إبداعاته الى مستويات عالمية ، وهو ما برح قريته أو : " كصره" ، فالانسان المتاز ، ممتاز في أي زمان ومكان ، وبكل لغة ولسان .

فلقد كان قصد القصيدة في بادئ الامر ، ترغيب الآباء في تعليم أولادهم القرآن ، كما تفهم من بيت القصيد ، أي اللازمة أو "الحربا"

يَاللِّي عَنْدُو تَرِّيكَـــا حـــــلاَلْ تَقْـرَا الْقــــــرْآنِي رَاهْ فَضـــلُو فَضـــــلاَنِ

فَضْلْ فـ : الدُّنْيَا وَفْضَلْ الاخْرَى اكْثَرْ يَاهَلْ لَفْكَرْ

ولا شك عندي أن هذا البيت هو أول ما خطر بباله ... وبشيء من التأمل فيه رأى أن عليه أ ن يبين بعض أفضال القرآن على أهله في الدنيا ، ففعل وأوضح أنه يصلح الحال والمال ، ويصلح ما فسد في الزمان وييسر العيش النظيف، ثم رأى أن يوضح بعض أفضال القرءان في الآخرة ... فحاول ... فإذا به في هذا السياق ... فاستمر فيه وانساق معه الى النهاية ولكأني بالقصيدة كلها ماقامت إلا على تداعي الافكار و الفكرة عن الفكرة من بدايتها الى نهايتها ، وهي في مجموعها لا أثر فيها لاي لغم .. فـ : الشاعر مثلا لم يجد في الجنة أصحابه ، وفي النار خصومه ... بل وجد العجب ، وجد في النار من كان بعض الناس يعتقدون فيهم الخير ، ويرون أنهم من أهل الجنة ، ووجد في الجنة العكس تماما ...

ثم أنه جعلنا في بداية القصيدة نتكره من الابوين ، ونشمئز من مآتيهما وفي نهايتها نتعاطف مع الشاب ونتمنى أن يعتقهما الله من النار بفضله ، وان يدخلهما الجنة ورحمته .

بل وفرحنا له ولهما بالخروج ، ثم فوجئنا معه بتكره أهل الجنة لروائح أهل النار ، وأصبحت القضية وكأنها قضيتنا ، أو على الاقل هكذا تكون مع هذه القصيدة ، ونحن نستمع إليها بأصوات فيلالية شجية رخيمة ، وبإلقاء معبر يوصل المعنى الى أعمق أغوار النفس ...

حسبنا هذا القدر من "الترجمات" والحديث عليها ، بل حسبنا هذا القدر من الحديث عن الاغراض ، لان معظم شعر ما تبقى منها ومعظم نثره ... هو للمتأخرين ، وسوف نفتتح به الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .. لنبني حاضر الملحون على أسس ماضيه ، ولنؤكد على أن الصلة بين حاضره وماضيه هي صلة وصل ... لاصلة فصل .



الفصل الثالث

البديع في فنون الملحون

※ البديع في فنون الملحون ※

إن إشغال الفكر بالبديع يكاد يكون ضياعا، لان عهد البديع ولى وانقضى ... ولكن هذا لا يعني أن الكتابة عنه وخاصة في الملحون هي عديمة الجدوى ، لاسيما إذا علمنا أن البديع ، كان الى الامس القريب قد سجل في الادب الشعبي من التحف الرائعة ما الله به أعلم ، وأرى أن لا أغفلها في هذا الكتاب . وأن النقاد العرب قد أسهبوا في الكتابة عن بديعيات الادب العربي ، سواء في المشرق أو في المغرب في حين بقي بديع الملحون في زاوية النسيان ، ولذلك احببت أن يطل القارئ ولو إطلالة قصيرة على هذا الجانب الذي كان في وقت مضى مهما بالنسبة للابداعات الملحونة .

ولقد عرف الملحون كل المحسنات اللفظية والبديعية بدون استثناء وسنتناولها جميعا في هذا الفصل ، ولو بنفس الاختصار الشديد الذي تناولنا به الجوانب الاخرى

التضمـــــين

ضمن أهل الملحون شعرهم بعض الآيات من القرآن الكريم ، يقول مريفق في الحسناء التي يرمز بها الى "العروبة" ، وقد جاءتنا من شبه الجزيرة العربية ممتطية صهوة جوادها ، تماما كما وصفها "بجيوات" في قصيدة : "الضيف"

مَكْتُوبْ عْلَى جْبِينْهَا : "أَلَمْ نَشْـــرَحْ" وَحــرُوفْ الزِّينْ شَرْحْ وبْكُلْ فْصَاحـــا

سَعْدْ اللِّي حَبْهَا بْقَلْبُو : "قَدْ افْلَـــحْ" يْنَامْ اَفَرْحْتُو عْلــى جَنْبْ الرَّاحـــا

هذا عن التضمين الحرفي ... أما تضمين المعاني ، فحدث عن البحر ولا حرج .

استوحى السي التهامي من قول الله عز وجل : "والتف الساق بالساق" قوله :

"وَالْتَفْ السَّاقْ مَنْ الْفَرْقَا بَالسَّاقِي وَرْجَايَـا فَالْجْلِيـلْ لَكْـرِيمْ البـــاقِي

ووظف المشهد القرآني للكيفية التي غرق بها فرعون :

"رْمَانِي فَـ : الْبْحُورْ وَجْمَعْ لَمْلاَقِي"

وضمنوا شعرهم أمثال سائرة .. اقرأوا هذا المثل البدوي ، وقد تكرر عند مريفق في أكثر من قصيدة :

هَاذُوكْ يْضَايْفُوكْ يَاوَلْدْ الْعْرِيـــفْ ؟ مَا فِيهُمْ غِيرْ : فُمْ صِيفْ وْكَلْبْ خْرِيفْ"

وهذا المثل ... وهو أيضا من البادية ... "الصبْعْ لَعْوَجْ مَاوَاتَاوَهْ الْخْوَاتَمْ"

وقد سبق تضمينه في لامية العلمي ... بل ضمنوا شعرهم بعض الامثال العربية ... وأيضا مريفق في الحالية "

كُلْ مَنْ قَالْ مَنَ مْطِيرَا مْلِيتْ لَمــــرَاسْ قُلْ "صَدَقْتْ حــــدَامِي" وْلاَ تْعَــــاكَسْ

وعند لعميري في أول الاغراض

فِي " حِيصــــــَا بِيـــــضْ " ليس نَفْعَاتـــُو حِيـــلاَ

التجــــــــريــــد

يجرد الشاعر نفسه من المسألة ، ويتحدث بضمير الغائب ، كما لو أن الواقع ليس واقعه ، وإنما هو واقع غيره ، فإذا اطمأن الى أنه أثار انتباه المستمع ، وأنه اهتم بالمسألة الى حد أن اندمج معه فيها وانفعل بها ، وبدأ يتعجل النهاية ... حينئذ فقط ... يقول له : "أنا المعني بالامر"

نجد مثل هذا التجريد عند "التهامي لمدغري "في "طالق المسروح مثلا" ، استعمل ضمير الغائب لا في المقطع الاول .. ولا في المقطع الثاني :

دِيمـــــَا مْدَامْعـُــو مَجْرِيــــًا   تَجْـرِي علَـى الْخْدُودْ سْخِيـــــًا

أَلِيعْتُو .. وتَزْلَاعُو .. وَدْمُوعُو .. وكْيِّتُو وَوْجَاعُو .. وفْرَايْحُو وْسَهْرُو ، وَمْحَانُو فـَ : الْهْوَى وْعَشْقُو ، وَاشْوَاقُو وَالشّْغَابْ .

وَالـتّْلْحَاحْ أوتَقْطِيـعْ خَاطْرُو ، ولْهِيبُو وَمْحَاوْرُو وْفَقْدُو ، وغْرْبْتُو .وَالـنُّوَاحْ وَحْدُو مثْلْ الْمَلْيُوحْ بِينْ الْعْدَا ، مَنْ تَخْمَامُو ... مْعَا غْرَامُو .. طَارْ مْنَامُو .. مَنْ نْيَامُو .

هَايَمْ مَهْمُومْ مَنْ هْجَرْتُو نَايَحْ ، يْشَفِّي الـــنْصَارَا وَلاَ مثْلُو حْمَامْ فـَ : الـــتّْنْوَاحْ مَنْ فَقْدْ لاَ مْتُو مَجْيُوحْ .. فـَ اللِّيلْ وَالنْهَارْ يْغرّْدْ مَسْكِينْ مَا يْصِيبْ الصّبْرَا مَنْ اللِّي تْقَاطْعُو الارْيَاحْ .

☆☆★

نـَـــــارُو افْخَاطـــرُوا مَكْـدِيــًا   فِـــي قَلْبْ مُهْجْـتُو مَكْمِيًّـــــــا

وَحْدُو عْلَى اجْمَرْ يَتْكَلَّبْ ، فَانِي عْلَى اللْهِيبْ مْصَلَّبْ ، بَمْحَاوْر الْجْفَا مْتْعَذَّبْ قَلْبُو هْمِيمْ .

هَايَمْ وَالَهْ عَطْشَانْ .. مَنْ فْرَاقْ احْبَابُو ولْهَانْ .. حَالْتُو عْدَاتْ الْيرْقَانْ ، مَا يْطِيقْ صْدُودْ الْهُجْرَانْ .. وَقْتْ مَا يَتْكَلَّبْ ، يُوقَعْ فِي غْيَارُو .. مَنْ تَمْرَارُو قْوَا كْدَارُو .. فُوقْ اسْيَارُو .

مَا يْحَنْ وْلاَ يَشْفَقْ .. مَا يْرُوفْ ، وَمْصَمَّمْ يَا لَطِيفْ مَا يَطْلَقْ سْرَاحْ مَا دَارْ دُونْ : دُونْ الرُّوحْ . قَلْبُو مَنَ الْحْجَرْ وَالْهَنْدْ وْصَمْ أوحْدِيدْ زَادْ قْصَاحْ

فإذا كان المقطع الثالث يباغتنا بقوله : "شللا نصيف صايرْ بي" أي أنه يصف حاله هو ... وليس حال غيره .

ونجد مثل هذا التجريد عند الحاج ادريس ، في مثل قصيدة زينب :

أهْ علَى مَنْ شَافْ وَنْكْوَى بَالجَمْرْ اللَّهَّـــابْ مَنْ نَارْ الْخَدْ الْمْنِيــرْ كَيْ علَـــى جَــرْحْ صْعِيـــبْ

جَــرْحْ بْسِيـــفْ سْقِيـــلْ عَنْتْرِي مَسْقــُـولْ مْهَدَّبْ

اَهْ علَى مَنْ كَانْ شُوفْ عيْنُو لَبْــلاَهْ سْبَبْ وَلاَ صَابْ اَشُومْ لِيعتُو دُونْ الْوَصـلْ طْبِيـــبْ

وَالْهَاجَرْ خَلاَّهْ رَايْحْ وْقَـــايَمْ يَتْـعَذَّبْ

اَهْ علَى مَجْرُوحْ جَايْحْ وْنَايَحْ عَنْدْ الْبَـــابْ دَمْعُـــو فُـــوقْ الْخَـدْ مَا فْتَـــرْ مَثْلْ الْمَطَرْ سْكِيـــــبْ

يَشْبَهْ قَيْسْ فْ : حَالْ غُرْبْتُو مَفْقُودْ مْغَرَّبْ

فهو حتى الآن لا يتحدث إلا بضمير الغائب ، وأن الآهات الثلاث التي افتتح بها الابيات الثلاثة كانت وكأنها عن غيره ، فإذا ما اطمأن إلى أن المستمع بدأ يهتم بالقضية ... وبدأ يتساءل : من هو هذا التعس الذي عاش هذا الواقع ، سارع الى القول في البيت الرابع :

حَالِي مَنْ حَالُو وْلاَ يْشَـــابَهْ لِــيْ فَ : عْذَابْ مَنْ فَكّْ اللِّي حبْهَا تْرْكْنِــي نَحضَرْ وْنْغِيـــبْ
ضَبْيًا تَلْعَـــبْ بَ : الاسدْ لَعْبْ الْخَمــرْ بَ : اللَّبّْ

هذا هو التجريد كما تعارف عليه شيوخ الملحون الاوائل ... بل وكما عرف به ناقد عربي كابن كثير في كتابه "المثل السائر" وهو - في نظر شعراء العصر من أمثال عبد المجيد وهبي ، وبوشعيب مجبور وأمثالهما - تجريد شكلي متجاوز ... إذ التجريد الحق هو تجريد معنى الصورة من الصورة نفسها ، وعرضه للناس على حدة . تجريد المضامين من أشكالها وطرحها بمفردها .تجريد الاحاسيس من الاحساس ، تجريد المشاعر من الشعور ، تجريد الخلجات من الاعماق التي تختلج فيها ، ومحاولة استخراج كل ذلك من قلب ظلمات أغوار النفس ، ونشره في العراء ، تحت أشعة الشمس

والحق أن بعض شعراء العصر - وسنتعامل معهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله - نفذوا الى المرثيات وعادوا

منها بمشاهدات ، فهم لا ينظرون بالنظر بقدر ما يبصرون بالبصيرة .

فالمنظورات عندهم إذا لم تفضي الى مشاهدات ، فهي لا تستحق أن ينظروا إليها ... ألهمهم الله الى ما يحبه ويرضاه ، فلقد زودوا الملحون المعاصر ، بكل ما يمكنه من البقاء في محله الرفيع ، بين سائر الفنون المعاصرة ، كما كان في كل عهوده الزاهرة ، ولنعد الى البديع وكما كان في الماضي .

"الجناس" ويعرف بين أهل الملحون بالتجنيس .. وهو اللفظ المشترك أو بعبارة أوضح : أن يكون اللفظ واحدا ، والمعنى مختلفا .

فعندما يقول أبو تمام مثلا :

فأصبحت "غرر" الايـــــام مشرقة

باليمـــين تضحك من أيـــــامك "الغرر"

تكون "الغرر" الاولى استعارة من غرر الوجه ، و "الغرر" الثانية مأخوذة من غرة الشيء ، وكذلك عند ما يقول شاعرنا الكندوز :

مَاشَفَّكْ تَعــــــذَابِـــي وْلاَ "مْحَــــانِي"

سِيـــفْ الْجْفَــــا "مْحَـــــــانِي"

تكون "محاني" الاولى جمع محنة ، و "محاني" الثانية : لم يترك لي أثر .

وعندما يقول البحتري :

إذا "العين" راحـــت وهـــي "عين" علـــى الهوى

فليس بسر مــــا تسر الاضــــــــالع

تكون "العين" الاولى : العين المعروفة ، و "العين" الثانية "الجاسوس" ، وكذلك عندما يقول شاعرنا امتيرد :

"كْتَافِي" مَنْ الْهَجْرْ يَا شَــارْدْ الْعْفَــا خَفَّفْ حَمْلْ الْجْفَى اللِّي هَدّْ "اكْتَافــِي"

وانْعَمْ لِي بَالسْرَاحْ مَنْ قَيْدْ "اكْتَافِي"

تكون "كتافي" الاولى بمعنى : كفاك ، والثانية بمعنى : كتفاي أما الثالثة فتعني قيدي

وهكذا أشرك "الجيلالي امتيرد "ثلاث معان في لفظة واحدة لم تتغير ، ولست أريد أن أطيل في الاتيان بالامثلة والنماذج ، إذ خير الكلام ما قل ودل .

وحسبي أن أسجل هنا : أن القصيدة التي تسمى بهذا الاسم : "قصيدة مجنسة" تكون جميعها مجنسة" ، ولا يخلو أي بيت من جناس ، أضف الى هذا أن الجناس في "القصائد المجنسة" يلزم أن يكون في آخر لفظة في الصدر ، وآخر لفظة في العجز هذا إذا لم يكن البحر ثلاثيا أو رباعيا ، فما فوق ، أما إذا كان كذلك ، فالجناس يكون في لفظة قافية كل شطر من الاشطار الثلاثة ، أو الاربعة ، أو ما فوق ، ذلك في حين ، أن الجناس في الشعر العربي يكون دائما حيثما اتفق ، وأينما تيسر ، هذا باختصار هو الجناس ، أو التجنس في الشعر الملحون ، ومن أراد المزيد فليراجع "القصائد المجنسة" ـ غاسق الانجال للكندوز راحة المهج للزفري ـ الهيفا للجيلالي متيرد ـ الهيفاء للحاج ادريس ، ومجنسات أخرى لشعراء آخرين .

"التلزيم" إنه لزوم مالايلزم ، ولابي العلاء المعري فيه صولات وجولات وكذلك الحاج أحمد الغرابلي في "مليكة" وبن سليمان في الرعد ، والعميري في "الغربة" والكندوز في أكثر قصائده وغيرهم كثير.

ومن أمثلة هذا النوع من البديع ، أعني لزوم مالا يلزم ، هذه الابيات من قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي :

ايلاَ وفَى ميعـــــــادَكْ

رُوحِي نْهِيبْ لَفْــــــدَاكْ

نَنْكِي اعدَايْ وَعْــــدَاكْ

★✪☆

نَبْغِي تْوَدْنِي ونْــــودَّكْ

وَزْيَارتِي اجْعَلْــهَا وردَكْ

حَتَّى حْبِيبْ مَا هُوَ بْعَدَكْ

يَامَنْ قْوَامْ قَـــــدَّكْ

مَرْهَافْ اسقِيلْ هَارَمْ اعدُوكْ

وِيحَدْ نَاسْ حَـــــدُّوكْ

تلاحظون أن كل شطر من هذا المقطع ينتهي ب : "الدال" قبل "الكاف" فاذا كان في مقطع آخر يعوض "الدال" ب : "الراء" ويترك "الكاف" على حاله كقافية رئيسية ثابتة ويقول :

مْحَـــاسنَكْ وَسْـــــرَارَكْ

فَتْنَة لَكُلْ مـــــنْ رَاكْ

وبْهَاكْ ليس يـــــــدْرَاكْ

لاَ زَلْتْ أرْتَجِي بَشــــــأرَكْ

يَأتِي لْمَنْزْلِي بَخْبـــــارَكْ

ويفِيـــــدْنِي بْصَحْ امـــزْارَكْ

وهكذا يمضي بالقصيدة من بدايتها الى نهايتها الكاف هو الكاف والحرف الثاني ، الذي يلازمه يعوض بآخر في كل مقطع .ومنهم من يلتزم بحرفين اثنين لا يتغير أي حرف منهما في كل القصيدة ، وذلك ما فعله أحد المتأخرين في قصيدة القلب :

الْيُومْ أقْلْبِي رَايْدْ نْسَالَكْ

تَسْـــــوَالْ مَنْ تْعَـــذْبْ بعْـــذَابَكْ يَالْقَلْبْ ورَّثْتْ لِـي لَهْـــلاَكْ

لَلَّهْ احْكِيلِي شَايَنْ جْرَالَكْ

ورَوِي قْصِيتْكْ يـــا قَلْبِي نَصْغـــاكْ لاَ يِنْي مَا عَنـــــــدْي إلاَّكْ

أنَا الْمَمْلُوكْ انْتَ اللِّي مَالَكْ

إلَـــــى سَعْدَتِـــــيْ نَسْعَدْ وِيـــلاَ نَبْلِيتْ لاَ غْنَا نَتْبْلاَ بَيـــــلاَكْ

شُوفْ لْجَسْمِي مَنْ حُرْقْتَكْ هَالَكْ

وَالْعقَلْ يــــا قَلْبِي سَاكَنْ بِينْ الْكَـــوَاكَبْ أو الانْجمْ أو الافـــلاَكْ

وَالدَّمْعْ فْ : خَدِّي شَاقْ مْسَالَكْ

هُـــوَادْ مَنْ جْفُونِـــي غَلْيَانْ تْقُولْ طَابْ عَنْ صَهَدْ لْهِيبْ صْـــلاَكْ

ومن بديعيات الشعر الملحون كذلك "النشب" ، وهو أن يكون أول الشطر يبتدئ بأخر الشطر الذي قبله كما فعل بوزيان في قصيدة المحبوب.

اَمَنْ تْلُـــومْنِي شَعَلْتْ نــَارْ ادْخَالِي ادْخَالِي كَاوِي بْفَرْقَةْ الشَّمْـــــلاَلْ

شَمْلاَلْ مَنْ فْرَاقُه لْعْقِيلْ مْشَــــــالِي مْشَالِي وَالنَّومْ ضَحْ مَنْ الانْجَـــالْ

الانْجَالْ عْلَى الْخَدْ دْمَعْهَا سَلْســـَالِي سَلْسَالِي يَهْوَى كْمَا الْمْطَرْ هَطَّالْ

أو أن يكون أول البيت يبتدئ ، بآخر شطر من البيت الذي قبله أو ما قبل الآخر .. مثل ما فعل "التهامي لمدغري "في قصيدة" فارحة" :

سَـــألْتَكْ بَبْهَـــاكْ يَالْـــرَّايَحْ مَـــــالَكْ سكْــرَانْ دُونْ رَاحْ

ونَـــا عَقْلِـــي مْعَـــاكْ رَاحْ "بْـــايَتْ مَنْ لِيعَـةْ الْقَـــرَايَحْ"

سَـــاهَرْ وَالنَّـــاسْ رَايْحَـــةْ

" بْـــايَتْ مَنْ لِيعْتْ الْقْـــرَايَحْ"

عَقْلِـــي بَهْــــوَاكْ مَـــا ارْتَـــاحْ

ونْبَـــرَّدْ غِيـــرْ بْـــاحْ اَحْ

" بِـــينْ التَّنْهَــــادْ وَالْجـــــوَايَـــحْ"

كـــاوِي بَجْمَـــارْ لاَفْحَة

بَالشُّـــــوقْ نْكَمَـــدْ الْجْـــــرَاحْ

ونْصَـــارَعْ دَقَّةْ اللّْمَـاحْ "

وَالْغْـــالَبْ مَابْغَـــا يْسَـــامَـــحْ "

وْلاَ يَـــدْرِي امْسَـــامْحَة

وَالْغَالَبْ مَا ابْغَا يْسَامَحْ ... وهكذا .. سلسلة أبيات متصلة الحلقات من أول القصيدة الى آخرها .

"أما التصريع" لا من ناحية الشكل ، ولا من ناحية المضمون ، لا تخلو منه اية قصيدة من قصائد الملحون على الاطلاق .

أقول التصريع" من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون لعلمي : إن التصريع من ناحيةالشكل ، هو أن تكون القافية من البيت في الصدر والعجز معا ، وعلى هذا قامت قصائد الملحون جميعها ، وليست في مطلع القصيدة فقط ـ كما هو الشأن في الشعر العربي ، وإنما في القصائد كلها ـ ومن أولها إلى آخرها ، ومن دون أدنى تكلف أو تصنع وهذه وحدها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة القدرة في أفانين الكلام عند جميع شعراء الملحون .

أما التصريع من ناحية المضمون ، ففيه مراتب منها :

أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج الى صاحبه الذي يليه .

مثال ذلك ، قول امرىء القيس :

أفـــاطم مهـلا بعد هذا التـدلل　　وإن كنت قد أزمعت صرمـي فأجمـلـــي

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج الى مايليه ومثله قول : "عبد القادر العلمي" يناجي خالقه

بـــــابْ الاجـــابة عنْدَكْ مَا تْسدْ بَقْفَــالْ

مْخـــازْنَكْ مَفْتُــوحة لَلســاعِي بْحَــــالِ

ومنها : أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه ، غير محتاج الى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به

كقول المتنبي مثلا :

الرأي قبل شجـــاعة الشجعـــان　　هـــو أول وهـي المحل الثـــــاني

أو كقول المدغري :

يَا الْعَرْصَة صوُلِي ، صوُلِي بْطِيبْ الاطْيَابْ　　سَاكْنَكْ سِيدِي وَلْدْ السَّاكْنِينْ طِيبـــةَ

فالمصراع الاول في كلا البيتين ، غير محتاج للثاني في فهم معناه ، لكن لما جاء الثاني ، صار مرتبطا به .

على العموم ، التصريع بكل مراتبه المعروفة في الشعر العربي ، له نماذج كثيرة في الشعر الملحون ، بل ان قصائد الملحون جميعها نماذج له .

وهذه القصيدة لعبد القادر العلمي خير دليل :

يَـــاللِّي قَلْبُه بَعْدْ زَيَانْ عَاوِدْ شْيَـــانْ　　يَاللِّي عَدْتِي مَنْ شُورِي حْذِرْ نَـــــافَرْ

يَــاكْمَا دَخْلُواْ مَا بِنَاتْنَا الْعَذْيَـــانْ　　يَــاكْ مَا عَوَّلْتِي مَنْ جَانْبِي تْسَــــافَرْ

قْصَدْتْ شَاطْ نَهْرَكْ زَعْمَا نْعُودْ رَيَّــانْ　　مْشَارْبَكْ نَدْيرِهَا وَنْعُودْ بِكْ ظَـــــافَرْ

احْسَنْتْ فِيـــكْ النِّيَّة وَقْــرِيتْ فِيكْ الامَانْ حِيتْ كُنْتِــــي تَاتِــينِي كُلْ يومْ زَايَرْ

الِيكْ حَزْتْ اكْتَافِي وَحْيِيتْ بِكْ فَرْحَانْ　　عَلْ الْكَلْمَة وَالطَّـــاعَة مَا نْخَـــالَفْ أَمَرْ

حَاجْتَكْ نَقْضِيهَا دَغْيَا بْشُوفْ الاعْيَانْ　　مْعَنْتَــكْ نَفْهَمْ دُونْ الرَّمْزْ وَالاشَـــايَرْ

الَى حْضَرْتِ تَحْضَرْ لِيَّ مْعَاكْ الادْهَانْ　　الَى تْغَيَّبْ نَدْهَلْ وِيغِيبْ لِي الْخَـــاطَرْ

بَاشْ نَطْفِي نِيرَانَكْ مَنْ صَمِيمْ الاكْنَـــانْ	وبَاشْ يَبْرَدْ مَنْ قَلْبِي حَرْهَا الزَّافَـــرْ
نَارْ حُبَّكْ مَا تَطْفِهَا مْيَاهْ وِيـــــدَانْ	وْلاَ تْحَدْ جَمْرْهَا مُوجَاتْ بَحْرْ زَاخَـــرْ
مْحَبْتَكْ يَشْهَدْ لِي بِهَا الإِنْسْ وَالْجَـــانْ	مَا بْقَا لِي مَا نَكْتَمْ بَحْتْ بَالســـــرَايَرْ
جِيتْ نَكْتَمْ حُبَّكْ مَا فَادْ فِيهْ كُتْــــمَانْ	ولُونْ نَكْتُمْ عَشْقِي حَالْ الْعْشِيقْ ظَاهَـرْ
لِيعَةْ الْقَلْبْ سَفُورْتْهَا فِي الْوَجْهْ تَبَـــانْ	وَاللْسَانْ يْخَبَّرْ بَالنَّعْتْ وَالاشَـــــايَرْ
تْزُورْنِي حَتَّى يَشْرَقْ مَنْ ضَيَاكْ الْمْكَانْ	تْغِيبْ حَتَّى مَا يَبْقَى مَنْ بْهَـــاكْ أَثَــرْ
تْرُوفْ حَتَّى يَبْدَا حَالِي مْعَكْ يَزْيَـــانْ	وْجِيتْ تَهْجَرْ يَرْجَعْ سَعْدِي مْعَكْ خَاسَـرْ
الَى هْدَاكْ عْلِيَّ الرَّحْمَانْ يَالْغَيْـضَانْ	رَدْ سِيفْ صَدُودَكْ لَجْوَاهْ يَالْقَـــاصَرْ
إِلَى اخْطَأْتْ ، أَوْ اغْلَطْتْ مْعَكْ يَا الفَتَّانْ	رَانْتَ قَطَّعْتِي قَلْبِي بَسِيــفْ بــــاتَرْ
دَرْتْ مَدْحَكْ مَا بِينْ بَدْرُو أَرْضْنَا شَـانْ	كِيفْ يَفْخَرْ بَمَــدِيحْ الزِّيـنْ كُلْ شَـــاعَرْ
فْرَحْتْ سَاعَةْ زَرْتْنِي يَا هْلاَلْ الْمْكَـــانْ	بَتْ ذِيكْ اللِّيلَةْ مَنْ دُونْ خَمْرْ ســـــاكَرْ
نْكَدْتْ سَاعَ شَرَّبْتْنِي اكْؤُوسْ هَجْرَانْ	بَاتْ دَمْعِي فُوقْ خْدُودِي سَكِيبْ كَـاطَرْ
يَاكْ الْوفَا الْعَفَّةْ مَنْ شْرُوطْ الاحْسَانْ	وَالسْمَاحَةْ مَنْ بَعْدْ الْغَلْبْ طَبْعْ وَافَـــرْ؟
يَالِّي مَا يْعْيَا لِي مَنْ مْدِيحَكْ لْسَـانْ	وَاشْ تَعْذَابِي يَطْلَعْ لِيكْ فِيهْ الاجْـــرْ؟

هذه واحدة من عشرات الالاف ، من قصائد الملحون المبعثرة هنا وهناك فماذا في هذه القصيدة يا ترى ؟

لا جدال في أن فيها عاطفة صادقة ، وحرارة انفعال جد مرتفعة ، وتعبيرا عن هذا الانفعال كأقوى ما يكون التعبير. أضف الى ذلك التصريع الرائع الذي يتجلى في كل شطر من أشطارها ...

أعيدوا قراءتها يا أعزائي القراء ، لتلاحظوا أن ليس من بين أشطارها شطر واحد لا يظهر معناه كاملا الا ببعض الذي يليه أو كل الذي يليه كما هو الشأن مثلا في هذا البيت للمعري :

يغادر غابه الضرغام كيمـــا	ينـــــازع ظبي رمـــل في كنـــــاس

يعتبر في عرف أهل الملحون رديء التصريع ، وأرد أمنه في فهمهم هذا البيت لبشار :

حـــــوراء ان نظـــرت اليك سقتـــــ ك بالعيـــــنين خمـــــــرا

ويعلقون عليه بقولهم : "ماكفاه تمزاق المعنى قطع الكلمة"

وخلاصة القول ، هي أن "فن القول" قد خضع لشعراء الملحون ، ودان لهم بالطاعة دون غيرهم ، فاستعملوه وأحسنوا استعماله .. لكن بالدارجة .. انما ماذا يضير الشعر والادب اذا كان بالدارجة أو بالسوسية ، أو بتمازيغت الشعر والادب ، هو الشعر والادب في أي زمان ومكان ، وبأي لغة ولسان ... هو :

هِبَةْ هَـاذْ الشَّعْرْ لَلْعْبَادْ وْهَبْهَا مُولَاهُمْ رَوْحْ وْرَحْمَةْ لَلْقْلُوبْ وَضْيَا نُورْ الافْهَامْ

بَرْدْ وْسَلَامْ أُونْسِيمْ فِيهْ لْلأَرْوَاحْ دْوَاهُمْ فِيهْ الرَّاحَةْ لَلنْفُوسْ لاَ تْحَاسَبُوهْ وْهَامْ

رحم الله السي اسماعيل ، لقد عرف كيف يعرف بالشعر ، في بيتين اثنين فقط أنها قصيدته "لمزركشة" تلك التي أعتبرها شخصيا لوحات رائعة من معرض الكون الهائل ، تحدث فيها عن البحر ، والليل ، والمطر والشعر ، والحب ، والحياة ، والناس والشقاء والبؤس ، وعن السعادة والهناء والامل ، واليأس .. و .. أشياء كثيرة ، لابد أن أطلع القراء عليها عند تناولي للشعر المعاصر إنشاء الله .

بقي أن أقول عنها أنها من لزوميات السي اسماعيل ، ولكان التلزيم ما خلق الا لها ... وأن تصريع أبياتها في منتهى الروعة ... وبها وبأمثالها من القصائد الخالدة ، كتب الخلود للشعر الملحون.

ومن بديعيات الشعر الملحون "السجع" أو التسجيع على حد تعبير أهل الملحون .

يقول التهامي المدغري في قطعة : "طالق المسروح" وهي قطعة من "أدب السجع الملحون" كما سبق القول "رَحْمِيهْ ، وْسَالِي فِيهْ ، عَالْجِيهْ ، وْدَاوِيهْ وْسَاعْفِيهْ" "كَافِيهْ ، لاَ تْحَافِيهْ ، تْعَالِي لِيهْ ، مْعَ الطّفْلاَتْ لَرْسَامْ" ويقف هنا ، وأحس به يلهث من كثر ما هرول ، ويبطئ الجرس الموسيقي ويطيل جمل السجع شيئا ما .

"تْعَالُوا لِي بَجْمِيعْكُمْ ، نَتْوَصَلْ بِيْهَا زِينْكُمْ حَرْمَةْ مُولَاكُمْ" "مَنْ انْشَاكُمْ وْصَوَّرْكُمْ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمْ"

وْلاَحْنِي فْي عَشْقْ هْوَاكُمْ ، وْدْرَانِي يْسِيرْ بْهَاكُمْ الى آخره .

ويقول "بلقاسم" في "مينة" وهي أيضا قطعة من أدب السجع الملحون"

"مِينَةْ فِي رْيَاضِي كُلْ أنْ ، تَتْمَايَلْ مَا بِينْ الاغْصَانْ ، فِي حْرَايَجْ بْلَعْمَانْ"

"بِينْ وَرْدْ وْيَاس وْسُوسَانْ ، وَالاغْصَانْ بْتِيهُوا تِيهَانْ ، بَاهْتِينْ احْدَاهَا"

"جَمْعْ الالْوَانْ ، فَاقَتْ بَالْقَدْ الْخَيْزْرَانْ ، وَالْبَانْ امْنِينْ تْبَانْ ، وَسْطْ"

"بْسْتَانِي بِينْ أغْصَانْ ، كَايْتَنْدَقْ لِيهَا .. "الى آخره .

الاشتقاق في الشعر الملحون .. أو التشقيق كما يسمى عندهم . ومثال ذلك قصيدة "مسعودة للتهامي المدغري

قُولُوا لْمَسْعُودَة يَا "طْلُوعْ كْوَاكَبْ الاسْعَادْ"

أَنَا مَنْ "سَعْدِي" "سْعَادْتَكْ وَنْتِ مَسْعُودَة" "وَنْتِي" سَعْدْ السْعُودْ" وَنْتِ هِلاَلْ اسْعُودْ"

فهو يشتق من اسم المحبوبة : "كواكب الاسعاد "و"سعده" أي حظه من سعاتها " ثم أنها مسعودة" أي محظوظة ، وبالتالي ، هي "سعد السعود" الذي يبشر بالربيع ، وهي هلال السعود .

وهكذا يمضي في شحد قصيده بمعطيات هذه المشتقات ، وهو لا يعدو التغزل في حبيبته ، والتغني بمحاسنها ، ومفاتنها ، فهو من مواليد ليالي كواكب الاسعاد ، ولهذا مسعودة من "سعده" أي من حظه ، وحيث أنها : "مسعودة" أي محظوظة ، كان من نصيبها هو ... ومن هو ؟ وهنا يمضي في التعريف بنفسه كشاعر مبدع وكانسان خلاق ، وكعبقري ملهم .

يرى أن الشعر والحسن توأمان وأن التغزل بمحاسن الجميل ، تعويذة لتلك المحاسن ، وهكذا الى أن ينتهي القصيد .

كذلك فعل المدغري في قصيدته "مسعودة وكذلك أيضا فعل أحد المتأخرين في "فاطمة" اشتق من اسمها "الفطام" .

وذهب يقول : إذا ما أفطموا الطفل عن لبن ثذي أمه ، عوضوه له بشيء آخر ... وأنا : أنا الذي ليس لي سواك ، ولا أستطيع أن أحب غيرك ، فبماذا يا ترى أعوض هواك ؟

أَنَا "فَطْمُونِي" عْلَى هْوَاكْ أَبَاشَةْ الأرْيَامْ

وَنْتِي مَفْطُومَة عْلَى عْذَابِي يَا فْطِيمــَا   وِيلاَ كُنْتْ اذْنَبْتْ فَايَنْ عَفْو صِيلَة لَكْرَامْ ؟

كان هذا هو فن البديع كما اتفق النقاد العرب على تسميته منذ القدم ، ومن الفنون البلاغية أيضا ، تجسيم مالا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد ... وسوف نكتفي بأغنية ملحونة واحدة "سرابا" .. كنموذج للدلالة على وجود هذا الفن في الملحون كغيره من سائر فنون البلاغة ... ما ذكرت منها ومالم أذكر .

فَصْلْ الرْبِيعْ أَقْبَلْ وَالْوَقْتْ زْيَانْ وَعْلاَمَاتْ الْخِيرْ لْلْوْرَى بَانُو

جَادْ الزْمَانْ وَ "ضْحَكْ ثْغَرْ السلْوَانْ "

من هنا نبدأ "وضحك ثغر السلوان" أو "السلوان" أو "السلوا " أو "السلوى" ماهي الاحالة شعورية مريحة جسمها الشاعر ، وجعل لها الثغر ... وتركها تضحك تماما كما تعامل البحتري مع "الربيع الطلق" في هذا البيت :

«أتاك الربيع الطلق "يختال ضاحكا" من الحسن حتى كاد أن يتكلم " » فهنا جسم البحتري الربيع الطلق وجعله يختال ويضحك ، هناك جسم رجل الملحون "السلوان" وأكسبه الثغر ، وجعله يضحك ، وكلاهما لا يجسم لا "السلوان" ولا الربيع .

جَادْ الزْمــَانْ وَضْحَكْ ثْغَرْ السلْــوَانْ   وَالنْكَدْ تْفـَاجَا وْزَالْتْ احــــزَانُو

وبْطَـــايَحْ الزّهَرْ عْلَى كُلْ الالــْوَانْ تَسْبِي مَنْ رَاهَا بْشُوفَتْ اعْيَـــــانُو

وَالارْضْ غير حُورِيًا مَنْ رَضْــــوَانْ لَبْسَتْ مَنْ ثُوبْ الدّبَاجْ حِيجَــــــانُو

"صَبْحَتْ" بَارْزَا فَـ : كْسَاوِي حَسَانْ دَامْ اللّهْ جْمَــــالْهَا وْحَسَـــــــانُو

وهنا أيضا يجعل من الارض ، العروس الحسناء ، وقد تزينت بأفخر الازياء ، وتزينت بأثمن الحلي .. و .. "صبحت" "بارزا" لفظ "صبحت" لا علاقة له بالظرف الزماني على الاطلاق ... بل هو اصطلاح يطلق على تقليد ... الصبوحي " أو "الصباح" هو الحفل الذي يقام للعروس البكر المصون وقد جعل منها زوجها امرأة .. ربما لا يقام حفل "الصبوحي" أو "الصباح" إلا بعد الظهر ويبقى إسمه "الصبوحي" وبعد أن يأتي الفطور " من دار لعروسة" وبعد أن يقدم الزوج لزوجته هدايا "الصبوحي" ... يبدأ الاستعداد ل " البرزا" أو "أبراز" وهو تقليد آخر من تقاليد "العرس المغربي

وشتان بين "بارزا" في البيت الاخير وبين "تبرجت في هذا البيت لابن الرومي ، والارض هي الارض لا عند شاعرنا ، ولا عند ابن الرومي

"تبـــرجت بعد حيـــاء وخفر تبـــرج الانثـــــــى ....

الحفر هو الخفر : "النكَّافَات" "التقّلات" "لْوزيرَات" إلاأن العروس عندنا تكون " بارزا" في حياء .. وحتى إذا ما جاءوا بالزوج لينظر إليها وهي في أكمل زينتها ... لا تنظر إليه ، لا تحييه ، بل لا تبتسم له حتى مجرد ابتسامة ...

لكنها عند ابن الرومي " تبرجت بعد حياء" وهذا كله لا يهم ... المهم هو أن شاعرنا جسم الارض وجعلها العروس البكر المصون "صَبْحْتْ بَارْزَا فَـ : كْسَاوِي حْسَانْ " وابن الرومي جسم الارض وجعلها غانية من الغواني الحسان وقد تبرجت بعد حياء وخفر ... والشعر يقبل هذه الصورة كما يقبل تلك والمعول ليس إلاّ على صدق التعبير ، وجمال العرض وأن تكون كل صورة في إطارها الحقيقي .

مَهْمَــــا نْظَرْتْ بَاعْيَانـــي فَـ : كْمَالْ زِينْهَا وَمْحَاسَنْهَا بَاحْ كُلْ مَكْنُـــونْ

طَبْعِي مَنَ الصغُرْ فـــَانِي وقْتْ الرْبِيعْ تُوجَدْنِي مَا بِينْ الْحْرَاجْ مَشْطُـونْ

نَنْشي الْفَاظْ وَمْعَـــــانِي وَاهْلَ الْهْوَى يعَرْفُونِي مَاهَرْ مَنْ أَصْحَابْ لَفْنُونْ

وَالْيُومْ هَزْنِي سلْطَانْ الْغِيوَانْ "وَنْطَقْ مُولَايْ الرْبِيـــعْ بَلْســـــانُو"

لاشك قد لاحظ القارئ الكريم عند البحتري قوله عن الربيع : حتى كاد أن يتكلم " لكن الربيع هنا تكلم .. بل أطال في الكلام :

دْوَاوْ قَال لْي : عوَلْ يَا إنْسَانْ تَقْطَفْ وَرْدْا رْيـــــاضْنَا وْسُوسَــــانُو

وأطال في الكلام :

شُوفْ الرِّيَاضْ فَاحْ وْزَهْرَتْ الاغْصَانْ | كُلْ غْصَنْ يَهْجِي بْ : رِيحَتْ افْنَانُو
وَاطْيَارْ نَاطْقَا فَ : دْوَاحْ الْبُسْتَانْ | وْكُلْ عْشِيقْ افْشَا سْرَارْ كَتْمَانُو
لَلَّهْ كِيفْ مَا تَزْهَا يَا حَسَنْ | يَامَنْ سَاكَنْ فْ : الاسْيَارْ غِيوَانُو

كل ذلك قاله الربيع ، واستمع إليه شاعرنا ووعاه ... ونقله إلينا بالحرف الواحد قاله بلسان حاله ، أو لنقل ... بعطر زهوره ، بزقزقة عصافيره ، برنين نحله بتراقص فراشاته ... ولمن يقول كل ذلك مولاي الربيع ؟ للانسان ... والانسان في نظر مولاي الربيع هو الرقيق الشعور ، المرهف الاحساس :

"اللِّي سَاكَنْ فَ : الاسْيَارْ غِيوَانُو" هذا نموذج من الابداعات الملحونة التي استعمل أصحابها هذا الفن من فنون البلاغة وأجادوا استعماله ... تجسيم ما لا يجسم ، أو تجسيد مالا يجسد .

ولعمري أن مثل هذه الابداعات ، جعلت العوام من هواة الملحون ، يجيدون الاستماع الى القراءن ، وهذه وحدها فضيلة وأنعم بها من فضيلة .

استمع بنعيسى اسوَايْنِي في مقهى بلفيلالي بسلا .... الى مقرئ الاذاعة يقرأ قوله تعالى : "والليل إذا يسري" فضحك وقال : "ابْحَالْ الَى اللِّيلْ عَنْدُو الاخْتِيَارْ الَى بْغَا يَسْرِي يَسْرِي ، وِيلَا مَا ابْغَاشِي مَايَسْرِيشِ ... الله يرحم البري :

يَسْرِي لِيَّ فَ : الاسْفَاقْ | سْرَى اللِّيلْ فَ : الآفَاقْ

تفطن البستاني الامي الى ما في الاية الكريمة من جمال ... بل واستحضر من محفوظاته التي جعلته يتذوق هذا الجمال النموذج المناسب ، وبسرعة فائقة استمع "لكحيلي وأنا معه في "الفرناتشي" الذي يعمل فيه - الى قوله تعالى "حمر مستنفرة فرت من قسورة" فقال : وَاللَّهْ الَى اتْخَيْلَتْهُمْ مْطَنْشِينْ فْزَازْبْهُمْ وْمْقَلْشِينْ وْذْنِيهُمْ ، وْكَايْزْعَرْطُوا وَالسْبَعْ وْرَاهُمْ " والله إنه مجرد "قطاب ف : الفرناتشي" ولا يقرأ ولا يكتب .

ودخل علينا ابن الفيلالي مرة - ونحن بدار الحسن بن زايرا - يقول : علمني هذا الشطر الازموري : "انْفَاسْ الصُّبْحْ انْسَامْ مَنْ عْبِيرْ الْجَنَّة" كيف أتذوق وبتلدد قوله تبارك وتعالى "والصبح إذا تنفس"

أما الاستعارات ، والتشبيهات ، والتعبيرات المجازية

أما الرؤى و الاخيلة والصور ، فكل "الربيعيات" "العشاقيات" و "والخمريات" وكل قصائد الاصائل والبكور ، والصبوح والغبوق ، هي نماذج لها .

وقد أثبتت منها في فصل الاغراض الكثير من النصوص الكاملة .

بقي أن أشير فقط : الى الاسم الذي أطلقه الشيوخ الاوائل على هذا الارث الحضاري الثمين : "الملحون" فما معنى كلمة "ملحون" ؟

ربما كان يتعين علي أن أشير هذه الاشارة الى الاسم منذ البداية ... الا أنني فضلت أن أجعل القراء يتعرفون على حقيقة المسمى ، قبل أن أطلعهم على الاقوال التي حاول أصحابها تؤويل الاسم الذي يطلق على هذا المسمى والان وقد تم لي بعض ما أريد ، وتعرف القراء على حقيقة الملحون ولو باختصار شديد ، نرجع الى الاسم : "الملحون" .

ذهب بعضهم الى القول : أن كلمة "ملحون" تعني الخطأ اللغوي ... فما دام غير خاضع لاصول النحو وقواعد الصرف ، فهو القول "الملحون" أي القول "المغلوط" أو القول "المخطوء" ... وأنا أرى أن "الخطأ اللغوي" لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الصواب اللغوي . نقرأ قصيدة شعرية فصيحة ، أو قطعة أدبية فصيحة ويكون في القراءة بعض الخطأ .. فذلك هو اللحن أما الملحون فلغة الخطاب فيه هي الدارجة المغربية ، وتلك طبيعتها .

نعم أن الدارجة المغربية هي الابنة البكر - أي الاولى - للعربية الفصحى ولقد ورثت عن أمها سائر مقومات التعبير العربي ، وقيمه ، وخصائصه وخصوصياته .

إلا أنها تحررت وبصفة نهائية من كل قيود النحو ، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" الذي ينبثق عنها في الاستعمال اليومي السريع ، والذي يمكن أن نعتبره "فقه الدارجة المغربية" ولغة هذه طبيعتها ... لا يستساغ أبدا أن نعتبر آدابها مغلوطة أو مخطوءة .

وذهب البعض الاخر الى القول أن كلمة "ملحون" أصلها من "اللحن الموسيقي" فهو القول الملحون ... أي الملحّن بتشديد الحاء ...

ولا أنكر أنني سبق وأن اقتنعت بهذا الرأي بل وروجت له في مستهل حياتي العملية ... يوم أن كنت لا أزال اخذ المعلومات من أفواه الشيوخ ، وأعمل بها دون أن أجرؤ حتى على مناقشة أصحابها ، لكن الآن ، وأنا أستجوب القصيدة،فتبوح بأسرارها ، واستنطق السرابة،فتفصح عن مكنوناتها ، تَعَيَّنَ عليَّ أن أعيد النظر في كل المعلومات التي أخذتها من هنا وهناك،على ضوء المعلومات التي بدأت أجدها في الابداعات نفسها .

فمثلا أول من وجدنا كلمة . "ملحون" في بعض آثاره الشعرية ... هو مولاي عبد الله واحساين ... ويرجع عهده الى العصر السعدي ... نقرأ له "الهدونا" فنجده يقول في بعض ابياتها :

وَالْكُــــــولْ كُلْ "مَلْحـــــُونْ" أُوفَ : النَّظْــــــاَمْ مَـــــــــــــوْزُونْ

ويقول في ختام وصية له

" مَلْحُونْ" فَـ : الْمْعَانِي مَوْزُونْ عْلاَ نْظَامْتْ النُّظَّامْ"

وكلمة "ملحون" في البيت الاول كما في البيت الثاني لا تشير أبدا الى الالحان الموسيقية ، وإنما تشير الى ما في هذا القول من فصاحة وبلاغة وبيان .

وهكذا فإن القول الملحون هو القول البليغ ، الواصل المقنع .

ومولاي عبد الله واحساين الذي ثبت أنه كان يفصل بين الناس في قضاياهم اليومية ، وأنه كان يفتيهم في شؤون دينهم ودنياهم ... لا أظنه كان يجهل معنى الحديث النبوي الشريف :

"لعل أحدهم يكون "الحن" بحجته من أخيه فاقضى له ...."

صلى الله على الصادق الامين ، وعلى اله وصحابته أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .







الإيداع القانوني رقم 1993/982